بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة الأردنية الهاشمية

جامعة آل البيت

كلية الشريعة

قسم : أصول الدين

الاقتران الثنائي بين اسم الله الحكيم وأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم

Binary association between the name of god "the wise"and the names of god in the holy quran

إعداد الطالب:

عبد الله حسين راجح مقدادي

التخصص : أصول دين

الرقم الجامعي: ١١٢٠١٠٥٠٠٣

المشرف:

الأستاذ الدكتور زياد الدغامين

الفصل الدراسي الثاني
٢٠١٥/٢٠١٤

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- الأستاذ الدكتور : زياد الدغمين	(رئيساً ومشرفاً)	....
٢- الدكتور :	(عضواً)	....
٣- الدكتور :	(عضواً)	....
٤- الدكتور :	(عضواً)	....

الإهداء

إلى من سهر عليّ صغيرا وحمل همّي كبيرا

إلى من أفنى شبابه وأبلى أيامه وكابد أعوامه

إلى أمي وأبي حفظهما الله

وإلى رفيقة دربي زوجتي

أهدي هذا البحث

الشكر والتقدير

لا يسعني في نهاية هذا البحث إلاّ وأن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور زياد الدغامين لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة ، وبما قدمه لي من نصائح وأسدل لي من توجيهات كان لها – بعد توفيق الله تعالى – كل الأثر في إخراج هذه الرسالة إلى ما هي عليه.

كما ويطيب لي أن أتوجه بالشكر إلى أساتذتي في كلية الشريعة عامة ممثلة بعميدها، وإلى قسم أصول الدين خاصة ممثلة برئيس قسمها وأعضاء الهيئة الدراسية وأخص بالذكر الدكتور عماد الخصاونه و الدكتور محمد الدومي والدكتور علي عجين والدكتور قصي أبو شريعة والدكتور شريف الخطيب والدكتور محمد الشريفين ، كما أتقدم بالشكر والثناء للأساتذة الأفاضل الذين تكرموا بقبول مناقشة هذه الرسالة .

ولكل من أسهم وقدم لي يد العون والمساعدة خالص الشكر والتقدير.

دليل المحتويات

ملخص الرسالة

باللغة العربية

حمل هذا البحث عنوان الاقتران الثنائي بين اسم الله الحكيم وأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول.

اقترن اسم الله الحكيم مع أسماء الله الحسنى في إحدى وتسعين آية ، جاء منها ثماني وخمسين آية مدنية وثلاث وثلاثين آية مكية .

وأمّا الأسماء التي اقترن معها اسم الله الحكيم ، فقد اقترن مع اسم الله العزيز في سبعة وأربعين موضعاً ، ومع اسم الله العليم في ستةٍ وثلاثين موضعاً ، ومع اسم الله الخبير في أربعة مواضع ، في حين جاء اسم الله الحكيم مقترناً مع أربعة أسماء أخرى ، في أربع مواضع في كل موضع جاء مقترناً مع اسمٍ من هذه الأسماء ، وهي التوّاب والحميد والواسع والعلي .

وقد حمل كل اسم من هذه الأسماء فصلاً عدا الأسماء الأربعة الأخيرة وضعناها جميعها في فصل واحد .

وقد حملت هذه الاقترانات عدة دلالات، عند جمع هذه الدلالات فإنها تغطي مجموعة من الأصول والفروع ، فقد بيّنت هذه الدلالات أركان العقيدة بكل جوانبها، الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والنبوات، فبيّنت أعمال الملائكة ووظائفهم، والرسل ومعجزاتهم، واليوم الآخر وأحواله، والقدر، كما تناولت الجانب التشريعي فحمل الكثير من الأحكام الشرعية والأوامر الربانيّة،، وكما بيّنت هذه الدلالات صفات المنافقين وأفعالهم وحذرت منهم، وبيّنت صفات المؤمنين، كما ذكرت التوبة وبيّنت شروطها، وحثت عليها، كما تحدثت عن القرآن الكريم وبيّنت مكانته ومصدره، وإحكامه من التحريف والتبديل ، كما حملت هذه الاقترانات في دلالاتها حسن الدعاء والطلب،

وتناولت في كثيرٍ من جوانبها، كمال قدرة الله تعالى، وبيّنت كرامته على أنبيائه وأوليائه، وختمت الرسالة بنتائج عديدة من أبرزها:

- كثرة معاني هذا الاسم –الحكيم –دليل على شموليته معظمته وغزارة معناه.
- إنّ اسم الله الحكيم لم يرد في كتاب الله تعالى مفرداً غير مقترن، بل جاء في جميع الآيات مقترناً مع أسماءٍ أخرى.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق والمرسلين سيدنا محمد على اله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد

فإنّ خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، واجل علم هو العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال الوقوف على أسراره وأحكامه.

والعلم بأسماء الله تعالى هو أشرف العلوم لأن من كان بالله أعلم كان له أتقى وأخشى ، ومن هذا الباب كانت الانطلاقة الأولى ، فكثيراً ما نقرأ في كتاب الله تعالى فنرى الآية تنتهي باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته تعالى، أو بأسماءٍ مقترنة بعضها ببعض ، وهذا ما دعانا للبحث وللدراسة.

وقد عمدت في هذا البحث إلى الوقوف على اسم الله الحكيم – وذلك لكثرة وروده في كتاب الله تعالى مقترناً بغيره من الأسماء الحسنى – ودراسته دراسة تفسيرية تحليلية، ودراسة الأسماء التي اقترن معها وبيان المكي والمدني والصيغ التي جاء بها كل اقتران من هذه الأسماء، ودراسة الدلالات التي تضمنها هذا الاقتران وربط الدلالات بعضها ببعض ، وأثر هذه الدلالات.

أهمية الدراسة

إنّ جمالية القرآن الكريم تظهر عند كل آية من هذا الكلام الخالد، ومعنى كل لفظة من هذا النسيج البديع، كيف لا وهو الكلام الذي تحدى الله به الإنس والجن على مر العصور فلم يحركوا ساكناً، ولا تظهر هذه الجمالية إلاّ بعد التأمل العميق والفهم دقيق للآيات القرآنية، ومن خلال فهم سياق الآية القرآنية نفهم مدلول أسماء الله الحسنى في هذه الآيات ومدلول اقترانها ، فقد يُظن للوهلة الأولى عدم التوافق بين اقتران هذه الأسماء وبين سياق الآية القرآنية ، أو حتى قد يضن أنّه ليس هناك توافق بين الأسماء المقترنة بعضها ببعض، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة ، فبيّنت الدّراسة أنّ الاقتران بين الأسماء الحسنى جاء في غاية الدقة والإتقان فلا قيمة للعزة دون حكمة، ولا قيمة للحكمة دون عزة ، وكذلك العليم والخبير والتواب وباقي الأسماء التي اقترن معها اسم الله الحكيم ، كما بيّنت الدراسة أنّ في اقتران أسماء الله تعالى كمالاً فوق الكمال وجمالاً فوق الجمال وأوضحت الدراسة أيضاً الترابط بين سياق الآية وصيغة الاقتران.

إشكالية الدراسة ومسوغاتها

إن من قرأ وتدبر هذا الكتاب الخالد، يجد فيه الكثير من الآيات التي تختتم باسم من أسماء الله الحسنى، سواءً مقترنة باسم آخر أو مفردة، وعندها لابد أن يسأل الإنسان نفسه أو غيره عن سر هذا الاقتران، ولماذا جاء هذان الاسمان معا؟ ولماذا تقدم إحداهما على الأخر وليس العكس؟ ولماذا جاء هذا الاسم من أسماء الله ولم يأتِ غيره من الأسماء؟.

١- ما الحكمة من وجود هذا الاقتران وما علاقته بسياق الآية؟

٢- ما الحكمة من اقتران هذا الاسم من أسماء الله الحسنى مع غيره من الأسماء الحسنى؟

٣- ما هذه الأسماء الحسنى التي اقترن معها هذا الاسم؟

٤- ما هو السر في التقديم والتأخير في هذا الاقتران؟

٥- ما اثر الاقتران في المكي والمدني؟

٦- ما دلالة هذه الاقترانات وما الرابط بينها؟

أهداف الدراسة ومسوغاتها

١- تهدف الدراسة إلى بيان أسرار ورود هذا الاسم في القرآن الكريم من خلال الآيات القرآنية.

٢- تهدف الدراسة للوقوف على التساؤلات التي يثيرها كثرة ورود أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، ومن بينها اسم الله الحكيم واقترانه بغيره من الأسماء، وعن دلالته وآثاره.

٣- تهدف الدراسة لبيان الأسلوب القرآني وكيف تناول هذا الاسم من أسماء الله الحسنى.

٤- كما وتهدف الدراسة لبيان نوعٍ جديدٍ في الطرح العلمي في البحث في أسماء الله الحسنى.

منهج الدراسة

- المنهج الاستقرائي: حيث تم استقراء الآيات القرآنية التي ورد ذكر اسم الله الحكيم فيها، وحصرها والوقوف عليها.
- المنهج التحليلي : يتمّ جمع الآيات القرآنية وتقسيمها إلى فصول ومباحث حسب صيغة الاقتران ، ثمّ تقسيمها إلى مطالب ، ومن ثمّ تقسيم الآيات حسب دلالة السياق، من بعد ذلك تمّ دراسة الآيات القرآنية دراسة تحليلية ، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المتخصصة للنظر فيما قاله علماء التفسير وتسجيل الأثر من ورود هذا الاقتران.
- المنهج الاستنباطي : بعد جمع الآيات ودراستها دراسة تحليلية، تمّ تسجيل النتائج التي تم التوصل إليها.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى الفصول التالية.

الفصل التمهيد : توضيح مفاهيم الدراسة ومصطلحات البحث

المبحث الأول : تعريف بالمصطلحات

المطلب الأول: التعريف بالاقتران

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم

المطلب الثالث: التعريف باسم الله الحكيم

المطلب الرابع : ورود لفظ الحكيم في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الصيغ التي ورد بها اسم الله الحاكم في القرآن الكريم

المطلب الأول :التعريف باسم الله الحاكم

المطلب الثاني: الآيات التي ورد فيها اسم الله الحكم

المطلب الثالث : سياق الآيات التي ورود فيها صيغ اسم الله الحاكم والموضوعات التي تناولتها.

الدراسات السابقة

هناك الكثير من الدراسات التي تناولت أسماء الله الحسنى في شرحها وتحديدها وبيان فضلها وقواعد إثباتها ومن هذه الدراسات التحليلية رسائل ماجستير نوقشت في جامعة الوصل لفخري الجريسي سنة ١٩٩٨ تحت عنوان الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ولكن

للأسف الشديد لم نتمكن من الإطلاع عليها لسبب البعد والوضع هناك، ورسالة دكتوراه لنجلاء الكردي عام ١٤٣١ في كلية التربية لبنان، وهي أيضاّ لم نتمكن من الإطلاع عليها بسبب بعد المسافة، وهناك بعض الرسائل التي نوقشت في جامعة آل البيت وهي .

١- اسم الله العليم في ضوء القرآن الكريم – دراسة عقدية تحليلية – للطالب : سامي فلاح طنش ،عام ٢٠١٢م بإشراف الدكتور شريف الخطيب، حيث قام الطالب بإبراز الجانب العقدي في الآيات القرآنية التي تناولت اسم الله العليم وأثره الوجداني في السلوك الإنساني، حيث قام الباحث باستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله العليم ومن ثمّ ربطها بأركان الإيمان ثمّ سجل أبرز النتائج التي توصل إليه ، لكن لم يتناول اسم الله الحكيم ،وسوف أعمد إن شاء الله في هذا البحث إلى دراسة اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله العليم في فصل من فصول البحث.

٢- الآثار الوجدانية والسلوكية للإيمان بأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم –دراسة عقدية – للطالب عبد الحميد كردي بإشراف الدكتور شريف الخطيب للعام٢٠٠٤م ، وهي دراسة تحاول ابراز معاني لأسماء الله الحسنى وآثار الإيمان بها بصورة إجمالية دون تفصيل أو استفاضة، وقد تناولت اسم الله الحكيم ولكن بصورة مختصرة اقتصرت على التعريف باسم الله الحكيم وذكر عدد المرات التي ورد فيها اسم الله الحكيم في القرآن الكريم، والأسماء الحسنى التي اقترنت مع هذا الاسم، دون الوقوف على هذه الآيات وأسرار الاقتران ودلالاته.

٣- مناسبة بعض أسماء الله الحسنى للآيات القرآنية ودلالاتها للطالبة سارة محمد الحروب بإشراف الدكتور زياد الدغامين ، حيث تناولت بعض أسماء الله الحسنى وقد تناولتها بصورة إجمالية دون استفاضة ، ولكنها لم تتناول اسم الله الحكيم

المصادر والمراجع

١- جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ ، ٨٣٩ - ٩٢٣م).

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين. ولد بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان.

أحد أئمة أهل السنة الكبار، يؤخذ بأقواله، ويُرجع إليه لسعة علمه، وسلامة منهجه. ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره، حيث أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا التفسير، وله كتابًا كبيرًا في التاريخ لم يؤلَّف مثله، وسماه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضًا: تهذيب الآثار وغير ذلك ،

يعتبر تفسيره من أشهر التفاسير، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين اعتنوا بالتفسير النقلي والمأثور، الذي يقوم بروايته بسنده إلى الصحابي أو التابعي ، وإذا كان هناك أكثر من رواية فإنّه يروي جميع الأقوال التي قيلت ويرجح بعضها على بعض ، كما ويتعرض للجانب اللغوي والإعرابي بالإضافة إلى الجانب النقلي والعقلي ، يقع تفسيره في ثلاثين مجلداً .

٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ ، ١٠٧٤ - ١١٤٣م).

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى. ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة. وكان معتزلي المذهب ، له مؤلفات كثيرة بالإضافة إلى تفسيره الكشاف ، وله في تفسير الحديث كتاب الفائق، وله في اللغة كتاب أساس البلاغة، أما في النحو فقد صنف كتبًا كثيرة منها: المفصل، والمفرد ، وشرح أبيات كتاب سيبويه، وله في الأمثال: المستقصي في أمثال العرب. كما أن له كتبًا في علم الفرائض، والأصول، والفقه.

يعد هذا التفسير أول التفاسير التي اهتمت بالنظم القرآني وبلاغته وبيان وجوه الإعجاز فيه مع ما أبانه من دقة تراكيب اللفظة القرآنية وجمالياتها ، وقد استفاد من هذا التفسير الكثير من المفسرين الذين جاءوا من بعده ،يقع في أربع مجلدات .

٣ – تفسير مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرَّازي، (٥٤٤ – ٦٠٦هـ، ١١٥٠ – ١٢١٠م).

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم ، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي ، يقع في ٣٢ مجلد .

يمتاز هذا التفسير بذكر المناسبات بين الآية والآية وذكر الجانب البلاغي والنحوي ، كما يكثر في هذا التفسير كثرة الأبحاث الواسعة في شتى ألوان العلوم من فلك ورياضيات وطب وغيرها وعلوم كونية ، يستطرد في ذكر مسائل الأصولية والفقهية والعقدية ،كما اهتم بعرض كثير من أقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد.

٤- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (؟ – ٦٩١هـ، ؟ – ١٢٩٢م). هو :ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد. قاضٍ وإمام مبرِّز من بلاد فارس. تولى قضاء شيراز، وكان صالحًا متعبدًا، أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته ، لخصه من تفسيري الزمخشري –الذي أزال ما به من اعتزال –والرازي، وأضاف إليهما ملاحظات في مواضع كثيرة .

ولد البيضاوي في مدينة البيضاء قرب شيراز. ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. توفي في تبريز: وهو تفسير يقع في خمس مجلدات ، يهتم بالجانب البياني واللغوي .

٥ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ = ١٤٠٦- ١٤٨٠ م)، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب ، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق.

وهو تفسير يبحث في ترابط الآيات بعضها ببعض وترابط والسور القرآنية بعضها ببعض ، كما أنه يهتم بالجانب البلاغي واللفظة القرآنية وهو مهم للباحث في فهم الترابط الآي والسور ، يقع في ٢٢ مجلد .

٦- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٢٨٢- ١٣٥٤ هـ ، ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م)

هو : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس.

وهو تفسير غني بالمأثور عن سالف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، وبأساليب اللغة العربية، وبسنن الله الاجتماعية ، يشرح الآيات بأسلوب رائع ، ويكشف عن المعاني بعبارة سهلة، ويوضح كثيرا من المشكلات، ويرد على ما أثير حول الإسلام من شبهات خصومه ، ويعالج أمراض المجتمع بهدي القرآن، وقد بدأ تفسيره من أول القرآن، وانتهى عند قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السماوات والأرض توفني مسلما وألحقني بالصالحين) ، ومات – رحمه الله – قبل أن يتم التفسير ، يقع في اثني عشر مجلد.

ومما أخذ على الكتاب : وقع في إنكار بعض علامات الساعة : كنزول عيسى عليه السلام ، وخروج الدجال ، والمعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله والملائكة والجن وقتال الملائكة مع المؤمنين .

٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣م)

يعتبر هذا التفسير في الجملة تفسيرا بلاغيا بيانا لغويا عقلانيا لا يغفل المأثور ويهتم بالقراءات، وطريقة مؤلفه فيه أن يذكر مقطعا من السورة ثم يشرع في تفسيره مبتدئا بذكر المناسبة ثم لغويات المقطع ثم التفسير الإجمالي ويتعرض فيه للقراءات والفقهيات وغيرها. وهو يقدم عرضا تفصيليا لما في السورة ويتحدث عن ارتباط آياتها، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها، يقع هذا التفسير في ثلاثين مجلد .

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي (١٩٢٨ - ٢٠١٠) ولد بقرية سليم الشرقية مركز طما محافظة سوهاج ١٩٢٨ م، تلقى تعليمه الأساسي بقريته وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الإسكندرية الدينى ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم يقع في أكثر من خمسة عشر مجلدا، وهو تفسير محرر من الأقوال الضعيفة والشبه الباطلة والمعانى السقيمة والآراء التى لا سند لها من النقل الصحيح أو العقل السليم وكان منهجه البدء في شرح الألفاظ القرآنية شرحا لغويا مناسبا ثم بيان سبب النزول إن وجد ثم ذكر المعنى الإجمالى للآية أو الآيات ثم تفصيل ما اشتملت عليه الآية أو الآيات من وجوه بلاغية، ومن أحكام شرعية، ومن آداب سليمة، وعظات بليغة وتوجيهات حكيمة مدعما كل ذلك بالآيات الأخرى وبالأحاديث النبوية الشريفة ومن أقوال المحققين من علماء السلف والخلف.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بها من قرأها

إنه نعم المولى ونعم المجيب

والحمد لله رب العالمين

الفصل التمهيدي

توضيح مفاهيم الدراسة والمصطلحات البحث

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات

المطلب الأول

التعريف بالاقتران

تعريف الاقتران في اللغة

قال ابن فارس : الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، فتقول: قَارَنْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، أي : جمعت بينهما ، وَالْقِرَانُ : أَنْ تَقْرِنَ بَيْنَ تَمْرَتَيْنِ تَأْكُلُهُمَا، وَالْقِرَانُ: أَنْ تَقْرِنَ حَجَّةً بِعُمْرَةٍ، وَقَرِينَةُ الرَّجُلِ: امْرَأَتُهُ[١].

وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَنْتَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، [٢] وهو ما برز وظهر عما حوله.

قال الراغب : "الِاقْتِرَانُ كالازدواج في كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى من المعاني."[٣]

([1]) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٥، ص٧٦.

([2]) وهو ناتئ قوي، نحو القرن للشاة وغيرها، والقرن: جبيل صغير منفرد. ويقولون: قد أقرن رمحه، إذا رفعه،انظر ابن فارس، مقاييس اللغة،مصدر سابق، ج٥، ص٧٧.

([3]) الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، ت صفوان عدنان الداودي، الأولى، دار القلم، الدار الشامية،دمشق، بيروت،١٤١٢ هـ، ص٦٦٧.

وقَرَنَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ : الجمع بينهما ، ومنها اقْتَرَنَ الشَّيْءُ بِغَيْرِهِ. وَ قَارَنْتُهُ قِرَانًا صَاحَبْتُهُ.(١)

ومن خلال المعاني السابقة نخلص إلى القول أنّ الاقتران هو جمع الشيء إلى الشيء لوجود علاقةٍ بينهما أو لوجود رابطٍ يربطهما .

تعريف الاقتران في الاصطلاح

قال الزركشي : " قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه فسمى بذلك القرآن، لقرآن السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قران."(٢)

وأمّا عند الفقهاء الْقِرَانِ: "أَنْ يَقْرُنَ الشَّارِعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ لَفْظًا، لا يَقْتَضِي تَسْوِيَةً بَيْنَهُمَا في الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ إلاّ بِدَلِيلٍ"(٣)

---

(1) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)،مختار الصحاح،يوسف الشيخ محمد، الخامسة، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، لبنان،١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م،ص٢٥٢.

(2) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (المتوفى –٧٩٤)، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم،الأولى،: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩١، ج١، ص٢٧٨.

(3) تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، شرح الكوكب المنير، ت. محمد الزحيلي ونزيه حماد،الطبعة الثانية،مكتبة العبيكان، د.م، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ مـ، ج٣، ص٢٥٩.

المطلب الثاني

تعريف بالقرآن

في اللغة

قال ابن فارس: الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جُمَعٍ وَاجْتِمَاعٍ، وَمِنْهُ الْقُرْآنُ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجَمْعِهِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.(١)

وقيل: القُرْآن من قَرَأَ، قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، وقال أبو عبيدة: سمِّي القرآن لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها. وقوله ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ (القيامة: ١٧) أي جمعه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ (القيامة: ١٨).

مما سبق يظهر أنّ المعنى اللغوي متقارب سواء من القراءة وهي جمع الحروف بعضها إلى بعض، أو من القران وهو قرن الشيء بالشيء ، كذالك القرآن جمع السور بعضها إلى بعض في معنى من المعاني .

في الاصطلاح :

القرآن: هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- باللفظ العربي، المعجز، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.(٢)

قال القرطبي : "هو كلام الله تعالى، الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة، المكتوب في المصاحف."(٣)

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج٥، ص ٧٩.

(2) انظر: عبد الله بن أحمد بن ابن قدامة المقدسي أبو محمد (٦٢٠ هـ)،البرهان في بيان القرآن،ت.أحمد فريد المزيدي،الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص٥.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م،ج١، ص٨٠.

المطلب الثالث

التعريف باسم الله الحكيم

تعريف" الحكيم" في اللغة:

يحمل الجذر الثلاثي لِ حَكَمَ عدة معاني :

العلم ، قال تعالى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾ (مريم: ١٢) قال الهروي:أي عِلْماً وفِقهاً،[١]

والحُكم أَيْضا: القضاءُ بِالْعَدْلِ، والحَكَم، والحَكِيم والحاكِمُ وَأَحكُم الْحَاكِمين، معاني هَذِه الْأَسْمَاء مُتَقَارِبَة ،وهو المنع، وَمن هَذَا قيل للْحَاكِم بَين النَّاس حَاكم: لِأَنَّهُ يمْنَع الظَّالِم من الظُّلم. وَالله أعلم. [٢]

عن ابن الأعرابي أنه قال: حَكَم فلانٌ عَن الشَّيْء أَي رَجَعَ، وأَحْكَمْتُه أَنا أَي : رَجَعْتُه. قلت: جعل ابن الأعرابي (حَكَمَ) لازماً كما ترى كما يقال: رجعته فرجع ونقصته فنقص،[٣]

وقيل : حَكَم الرجلُ يَحْكُم حُكْماً إِذا بَلَغ النِّهايَة فِي مَعْناه مَدْحاً لازِماً .[٤]

وقيل: حَكَّمْتُ فُلانا، أَي: أَطْلَقْتُ يَدَه فِيمَا شَاءَ.[٥]

والآيات المُحْكَمَات: التي أُحْكِمَت فلا يحتاج سامعها إلى تأويلها لبيانها.[٦]

---

(1) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ت محمد عوض، مرعب، الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م،ج٤، ص٦٩.

(2) الهروي، تهذيب اللغة، مصدر سابق،ج٤،ص٦٩.

(3) الهروي، تهذيب اللغة، مصدر سابق،ج٤،ص٧١.

(4) الهروي، تهذيب اللغة، مصدر سابق،ج٤،ص٧١.

(5) المصدر السابق نفسه.

(6) المصدر السابق نفسه.

قال ابن فارس: حَكَمَ: الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ. وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يقال حكمت الدابة. (١)

وقيل: أَحْكَمَ الشَّيْءَ إِذَا أَتْقَنَهُ وَمَنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ عَمَّا يُرِيدُ. فَهُوَ مُحْكَمٌ وَحَكِيمٌ على التكثير،(٢) وقيل: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم.(٣)

وقيل: رفع الله حِكْمَتَه :أي قدره ومنزلته، يقال: له عندنا حكمة أي قدر،وفلان عالي الحكمة.(٤)

والحِكْمَةُ، بالكسر: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.(٥)

من خلال المعاني الكثيرة التي يحملها هذا الجذر، نخلص إلى القول: إن الحكم هو المنع ،سواء أكان منع الظلم، أو منع العلم من التّفلّت ،أو منع النفس من التهور وهو الحلم ،أو الإتقان ومنع الخروج عن الصواب، أو إطلاق اليد وهو القضاء ومنع الجور، أو حتى الرجوع ،فهو المنع من الاستمرار على أمر معين، فالأصل واحد كما هو واضح من خلال ما تقدم.

التعريف باسم الله الحكيم في الاصطلاح

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٢، ص٩١.

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الثانية، ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، د.ط، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م،ج١، ص٢٨٨.

(3) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الثالثة،دار صادر، بيروت،١٤١٤ هـ، ج١٢، ص١٤٠.

(4) ابن منظور، لسان العرب،مصدر سابق،ج١٢، ص١٤٤.

(5) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص١٠٩٥.

قال الخطابي : الحكيم هو: المحكم لخلق الأشياء ... ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها.[١]

قال الغزالي: الحكيم هو: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، وأجل الأشياء هو الله سبحانه، وأنه لا يعرف كنه معرفته غيره ، فهو الحكيم الحق، لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم، إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة، ولا يتصف بذلك إلا علم الله سبحانه وتعالى ، وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم ، وكمال ذلك أيضا ليس إلا لله تعالى فهو الحكيم الحق.[٢]

فالحكيم: هو الذي يفعل ما يشاء وكيف يشاء وفق علمه وحكمته، والعقول البشرية عاجزة عن إدراك حكمته تعالى في خلقه وشرعه، وإن أدركت بعض الحكمة من شرعه وخلقه إلاّ أنها عاجزة عن إدراك جميع حكمته تعالى .

---

[1] أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، شأن الدعاء، ت أحمد يوسف الدّقاق،الأولى،دار الثقافة العربية،١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م، ص٧٣.

[2] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى،ت بسام عبد الوهاب الجابي، الأولى، الجفان والجابي، قبرص،١٤٠٧ – ١٩٨٧، ص ١٢٠.

المطلب الرابع

ورود لفظ الحكيم في القرآن الكريم

يدرك المتأمل في كتاب الله تعالى واستعمال الكلمات فيه، روعة لفظه، وجمال سحره وإعجاز معانيه، فالكلمة الواحدة في كتاب الله تعالى تأتي بصيغٍ ، وتحمل من معاني ودلالات مالا يمكن أن يحمله غيرها من الكلمات والألفاظ، فلفظ الحكيم ورد في كتاب الله تعالى كثيراً، وقد جاء مضافاً إلى ألفاظٍ أخرى بأكثر من موضعٍ، فمرةً يأتي وصفاً للقرآن الكريم بأنّه محكم كالبناء الرصين، ومرة يأتي وصفاً للأمر المقدّر؛ وهي من الإحكام من التغيير والتبديل، وأخرى وصفاً لله تعالى الذي يضع الأمور في نصابها، كل ذلك لما تحتويه هذه اللفظة من شموليةٍ في المعنى والدلالة.

يقول الفيروز أبادي: وأَمّا الحكيم فقد ورد في القرآن على خمسة أَوجه:

الأَوّل: بمعنى الأُمور المقّضيَةِ على وجه الحكمة قَالَ تَعَالَىٰ: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾) (الدخان:٤)

الثاني: بمعنى اللَّوح المحفوظ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الزخرف:٤)

الثالث: بمعنى الكتاب المشتمل على قبول المصالح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ (يونس:١)

الرّابع: بمعنى القرآن العظيم المبيّن لأَحكام الشَّريعة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (يس: ٢)

الخامس: المخصوص بصفة الله عزَّ وجلّ .[١]

فقد جعل الفيروز آبادي كل من الكتاب الحكيم والقرآن الحكيم مختلفاً عن الآخر مع أنّ المعنى واحد وهو وصف للقرآن الكريم .

كل هذه المعاني الجليلة، والعبارات الكريمة حملها لفظ الحكيم في كتاب الله تعالى، فمرة يأتي وصفاً للأمر المقضي "أَمْرٍ حكيم"، أي محكم، لا تغيير فيه ولا تبديل.[٢]

ومرة وصفاً للّوح المحفوظ قال البيضاوي:أم الكتاب : اللوح المحفوظ ، لعلي: رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها. حكيم ذو حكمة بالغة، أو محكم لا ينسخه غيره.[٣]

وأخرى وصفاً للقرآن الكريم، وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة.[٤] ، ومرة وصفاً لله تعالى وهو الأكثر شيوعا في كتاب الله تعالى.

وأمّا اسم الله الحكيم فقد وردِ في القرآن الكريم في إحدى وتسعين موضعاً، جاءت جميعها مقترنة بأسماءٍ أخرى، ولم يأتِ اسم الله الحكيم منفرداً (غير مقترن) في أي آيةٍ من كتاب الله تعالى، بل جاء في جميع الآيات مقترناً مع غيره من الأسماء.

وأمّا الأسماء الحسنى التي اقترن معها اسم الله الحكيم فهي سبع أسماء وهي : العزيز، والعليم، والخبير، والواسع، والعلي، والتواب، والحميد.

---

(1) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،ت محمد علي النجار،الأولى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،مصر،١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ،ج٢، ص٤٩٢.

(2) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م،ج٧، ص١٧٢.

(3) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ت محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى – ١٤١٨ هـ،ج٥، ص٧٦.

(4) الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق ، ص٢٤٩.

ولم يقترن اسم الله الحكيم مع غير هذه الأسماء، وذلك لأن معاني هذه الأسماء متقارب، من حيث المعنى اللغوي من جانب، ومن جانبٍ آخر فالحكمة لابد لها من رابط يربطها ويقيدها لتكون أكمل وأجمل.

فالعزة من المنع، وإنما سمي الحاكم حاكما لأنه يمنع من الظلم، قال الخطابي العزيز: فهو المنيع الذي لا يغلب.[١]

وأنّ من معاني الحكمة العلم، والعليم من العلم، قال الرازي: الحكمة هي العلم بالأمور العملية.[٢]

والحكيم الذي يعرف بدقائق الأمور والخبير هو الذي يعلم دقائق الأمور، يقول البيهقي: الخبير هو الذي يعلم ما يكون قبل أن يكون.[٣]

والتوبة: هي الرجوع عن الذنب وهي: من معاني الحكم إذا حكمت عن الشيء أي رجعت عنه، و قال البيهقي: "التوبة هي: عودة العبد إلى الطاعة بعد المعصية ."[٤] مع العلم أنّ المعنى حكمت عن الشيء أي : رجعت عنه لم يستعمل في كتاب الله تعالى.

وأمّا الواسع، فنقول واسع العطاء، أي: أطلق يده في العطاء، ومن معاني الجذر حكم إطلاق اليد، قال الخطابي الواسع: "هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده ووسع رزقه جميع خلقه."[١]

([1]) الخطابي ، شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٤٧-٤٨.

([2]) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـ،،ج٢٤،ص٥٤٣.

([3]) **أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الأسماء والصفات للبيهقي، ت عبد الله بن محمد الحاشدي، الأولى، مكتبة السوادي، جدة،المملكة العربية السعودية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م ، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٤.**

([4]) البيهقي، الأسماء و الصفات، مصدر سابق، ص١٩٤.

والحميد من المدح ،وكذالك حكم فهي بلوغ النهاية مدحاً، يقول الغزالي : " هو المحمود المثنى عليه والله عز وجل هو الحميد بحمده لنفسه أزلا وبحمد عباده له أبدا."[٢]

والعلي من العلو هي بلوغ النهاية، ولا يكون الرجل حاكم أو حكيما حتى يكون من علية القوم، ونقول رجل عالي الحكمة، وقال الغزالي : " والعلي : هو الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه وذلك لأن العلي مشتق من العلو والعلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل ."[٣]

من خلال هذه المعاني، يظهر أنّ الاقتران بين هذه الأسماء جاء بأسلوب دقيق ونسيج فريدٍ، وأنّ كل لفظةٍ من كتاب الله جاءت متناسقة في سياقها.

وقد ورد اسم الله الحكيم في ثمانٍ وخمسين موضعاً مقترناً بأسماء الله الحسنى في الآيات المدنية، في حين لم يرد في الآيات المكية سوى ثلاثٍ وثلاثين موضعاً.

([1]) الخطابي،شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٧٢.

([2]) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص١٣٠.

([3]) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص١٠٦.

المبحث الثاني

الصيغ التي ورد بها اسم الله الحاكم في القرآن الكريم

المطلب الأول

التعريف باسم الله الحاكم

التعريف باسم الله الحاكم في اللغة

الحاكم: وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعل.(١)

الحاكم من الجذر الثلاثي حكم وهي بمعنى المنع، ومنها سمي الحاكم لأنّه يمنع الظلم والجور.

التعريف باسم الله الحاكم بالاصطلاح

قال الخطابي: هو الذي سلم له الحكم، ورد إليه فيه الأمر، وقيل: للحاكم حاكم؛ لمنعه الناس عن التظالم، وردعه إياهم.(٢)

وقال الغزالي:"وَهُوَ الْمُحكم وَالقاضِي الْمُسلم الَّذِي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه."(٣)

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٢،ص١٤٠.

(2) الخطابي، شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٦١.

(3) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص٩٢.

المطلب الثاني

الآيات التي ورد فيها اسم الله الحكم

لم يرد اسم الله الحكم في كتاب الله تعالى إلاّ مرة واحدة و هي: قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾(الأنعام: ١١٤) حيث جاء مجرداً من أل التعريف منكراً، ولم يرد في كتاب الله في غير هذه الآية.

قال الرازي: في بيان وجه الحكمة من مجيء هذا الاسم في هذا المكان: " أفغير الله أبتغي حكما ، الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة، غير أن بعض أهل التأويل قال: الحكم أكمل من الحاكم ،لأن الحاكم كل من يحكم، وأما الحكم: فهو الذي لا يحكم إلا بالحق، والمعنى أنه تعالى حكم حق لا يحكم إلا بالحق، فلما أظهر المعجز الواحد وهو القرآن، فقد حكم بصحة هذه النبوة ولا مرتبة فوق حكمه فوجب القطع بصحة هذه النبوة."[١]

من هنا يظهر أثر ورود اسم الله الحكم دون أسماء الله الأخرى، فحكمه تعالى الحق الذي لا مرية فيه، والصدق الذي لا جور فيه، وإنّ كل ما يصدر عنه يكون حق وصدق وعدل.

([1]) الرازي،مفاتيح الغيب،مرجع سابق، ج١٣، ص١٢٤.

المطلب الثالث

سياق الآيات التي ورد فيها صيغ اسم الله الحاكم والموضوعات التي تناولتها

ورد اسم الله الحاكم في خمس آيات في كتاب الله تعالى، وهي آيات مكية، لم يرد اسم الله الحاكم في الآيات مدنية مطلقاً، وقد جاءت جميع هذه الصيغ بصيغة الجمع، معرفاً بال التعريف ليفيد الاستغراق.

وأمّا الصيغة التي جاء بها هذا الاسم، فقد جاء على صيغتين : الصيغة الأولى "خير الحاكمين" وأمّا الصيغة الثانية فهي :"أحكم الحاكمين" وهما من صيغ التفضيل كما نعلم، فالإنسان قد يحكم بين شخصين فيميل مع طرف على حساب طرف وقد يحكم من غير ميل أو جور، ومع ذلك فهو معرض للخطأ والنسيان، ولكن الأمر مع الله تعالى مختلف تماماً، فهو سبحانه خير الحاكمين وأحكم الحاكمين، فلا جور ولا ظلم ولا خطأ ولا نسيان في حكمه، ففي الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه قال، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا،)[١] فالحق سبحانه قد نفى الظلم عن نفسه وحرمه على خلقه، ومن خلال النظرة الأولية، تُظهر الآيات نفي أحكام الجاهلية جميعا، وإثبات أنّ الحكم لله تعالى وحده.

أولاً- صيغة (خير الحاكمين)

فقد وردت في كتاب الله تعالى في ثلاث آيات قرآنية وقد حملت الدلالات التالية:

أ- الوعد والوعيد .

([1]) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري٢٦١ هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،د.ط، دار الجيل – بيروت،١٣٣٤ هـ، كتاب الأدب،باب تحريم الظلم،١٣،٦٦٦٤، ج٨، ص ١٦.

ب- التودد والاستعطاف.

أ- الوعد والوعيد، حملت هذه الصيغة أسلوب الوعيد والتهديد لمنكري الرسالة والنبوة من جانب، والوعد والنصر والتمكين للمؤمنين من جانبٍ آخر، وذلك أنها تخاطب مجتمعاً جاهلياً، فهي آيات مكية، وقد جاءت الآيات على النحو الأتي:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٧)

قضية التوحيد هي القضية التي قامت عليها السموات والأرض، وهي القضية التي جاهد من أجلها الأنبياء واستشهد في أثرها المؤمنون، هي محور الحياة والكون، وطريق السعادة إلى الدنيا والآخرة، جاءت الآية الكريمة تظهر كلام شعيب -عليه السلام- مع قومه، وما أمرهم به من فضائل الأخلاق وحثّهم عليها، ونهيهم عن رذائل الأخلاق وتحذيرهم منها، قال أبو حيان :" بيّنت الآية الكريمة ما أمرهم به من إفراد الله تعالى بالعبادة وإيفاء الكيل والميزان وما نهاهم عنه من البخس والإفساد والقعود المذكور."(١) فكان حاله مع قومه كحال الأنبياء مع أقوامهم من تكذيبٍ ونفورٍ ورفضٍ لرسالته جملةً وتفصيلاً، ثمّ بيّن لهم أنّ أمر الله نافذ فيهم، وأنّ الحكم لله تعالى يحكم بينهم؛ فحكم له وحده وهو خير الحاكمين.

لمّا كانت سنة الله تعالى في خلقه أن ينصر رسله والذين أمنوا معهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكانت وظيفة الرسل الأساسية التبليغ عن رب العالمين، مع تسليمهم وانقيادهم لحكمه تعالى وأمره، وأنّهم لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم إذا قضى الله تعالى أمراً، جاء الكلام على

([1]) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، ت صدقي محمد جميل، د.ط،دار الفكر، بيروت،،١٤٢٠ هـ،ج٥،ص١٠٩.

لسان شعيب –عليه السلام – لقومه بالتسليم لأمر الله تعالى وقضائه مع ما فيه من التهديد والوعيد إذا ما استمروا بكفرهم وطغيانهم، قال ابن عاشور:" وحكم الله أريد به حكم في الدنيا بإظهار أثر غضبه على أحد الفريقين ورضاه على الذين خالفوهم، فيظهر المحق من المبطل، وهذا صدر عن ثقة شعيب عليه السلام بأن الله سيحكم بينه وبين قومه استنادا لوعد الله إياه بالنصر على قومه، أو لعلمه بسنة الله في رسله ومن كذبهم بإخبار الله تعالى إياه بذلك، ولولا ذلك لجاز أن يتأخر الحكم بين الفريقين إلى يوم الحساب، ... وجملة: وهو خير الحاكمين تذييل بالثناء على الله بأن حكمه عدل محض لا يحتمل الظلم عمدا ولا خطأ، وغيره من الحاكمين يقع منه أحد الأمرين أو كلاهما."(١)

جاءت الآيات القرآنية في سورة الأعراف لتبيّن حال الأنبياء مع أقوامهم وكيف كان صبرهم وثباتهم على هذه الدعوة، مع ما يلقونه من إعراضٍ وجفاء، فهذه الآية ترسم للقارئ لوحة عن مُعاناة شعيب –عليه السلام – مع قومه، وكيفية تكذيبهم، فكان السياق ليحمل الوعد له ولقومه الذين أمنوا بالنصر والتمكين في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة ، والوعيد للمعاندين المكذبين من بني قومه، بالعذاب والتنكيل في الدنيا مع ما ينتظرهم من الخزي والعار في الآخرة ، فبيّنت الفاصلة القرآنية أنّ حكم الله تعالى هو الحكم العدل الذي لا جور فيه ولا ظلم، فكانت دلالة هذه الآيات تحمل أسلوباً توجيهياً تربوياً لهذه الأمة، وتحذرهم من هذه الأفعال الشنيعة.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (يونس: ١٠٩)

امتدت دعوة الإيمان هذا الامتداد الزمني من عهد نوح –عليه السلام– إلى آخر الأنبياء محمد–صلى الله عليه وسلم– وهي تنادي بحقيقةٍ واحدة وهي حقيقة التوحيد، وتحطم كل الأعراف

---

(1) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د.ط،الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤ هـ،ج٨، ص٢٥٠–٢٥١.

الشركية، والعادات الجاهلية، فجاء الخطاب إلى النبي– صلى الله عليه وسلم – باتّباع ما أنزل إليه، والصبر على المشركين وتحمل أذاهم؛ فالأمر شاق، والطريق طويل، ثمّ ذكّرهم أنّ الأمر لله تعالى فهو الحكم العدل الذي لا جور ولا محاباة في حكمه .

يقول الشيخ المراغي : بعد أن قرر سبحانه دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ختم السورة بهذا البلاغ للناس كافة بمقتضى البعثة العامة ، واتبع أيها الرسول وحي الله الذي أنزله إليك في كتابه، واعمل به وعلّمه أمتك، واصبر على ما يصيبك من الأذى والمكاره وعلى ما ينالك من قومك، حتى يقضى الله بينك وبين المكذبين لك، وينجز لك ما وعدك. وهو خير القاضين، وأعدل الفاصلين، فهو لا يحكم إلا بالحق، وغيره قد يحكم بالباطل، إما لجهله بالحق أو مخالفته له باتباع الهوى، مع ما في هذه الآيات من التسلية لنبيه ووعده للمؤمنين ووعيده للكافرين.[١]

بعد أن أمر الله تعالى نبيه بالصبر وحثه عليه، جاءت الفاصلة القرآنية لتبيّن أن حكم الله تعالى هو الحكم العدل، يقول ابن عاشور: " وهو خير الحاكمين ثناء وتذييل لما فيه من العموم، أي: وهو خير الحاكمين بين كل خصمين في هذه القضية وفي غيرها، فالتعريف في الحاكمين للاستغراق بقرينة التذييل. وخير تفضيل، أصله أخير فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال. والخيرية من الحاكمين خيرية وفاء الإنصاف في إعطاء الحقوق، وهي هنا كناية عن معاقبة الظالم؛ لأن الأمر بالصبر مشعر بأن المأمور به معتدى عليه، ففي الإخبار بأن الله خير الحاكمين إيماء بأن الله ناصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الذين كذبوا وعاندوا. وهذا كلام جامع فيه براعة المقطع."[٢]

([1]) انظر المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده،مصر،١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، ج١١، ص١٦٥-١٦٦

([2])ابن عاشور،التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج١١،ص٣١٠

جاء الخطاب في هذه الآية القرآنية من الله تعالى لنبيّه –صلى الله عليه وسلم – مشبهاً للآية السابقة من حيث المضمون بالأمر بالصبر على الأذى، والثبات على الدعوة، وبما يحمله من وعد ووعيد ، فلا داعي للإعادة ، ومن خلال الآيتين السابقتين يبرز الأسلوب المكي من عدة أوجه، من تثبيت لفؤاد النبي–صلى الله عليه وسلم – ، وتصبيره على أذى المشركين، والوعد بالنصر للتحفيز والثبات على دعوته ومنهاجه، والله أعلم .

ب– التودد والاستعطاف

١- قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِىۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (يوسف: ٨٠)

رسمت الآية الكريمة الحالة النفسية التي يعيش بها أبناء يعقوب –عليه السلام– بعدما فعلوا ما فعلوا مع يوسف وأخيه، فجاءت الآية على لسان أكبرهم تحمل الندم والخوف، فذكّرهم الميثاق الذي أُخذ عليهم، ثم أخذه الميثاق على نفسه أنه لن يبرح الأرض حتى يأذن له والده، أو يأتي حكم الله تعالى، مع ما في هذه الآية من تعريض واستعطاف وشعور بالتقصير تجاه أخيهم وخالقهم.

قال ابن عاشور وقوله: "أو يحكم الله لي ترديد بين ما رسمه هو لنفسه وبين ما عسى أن يكون الله قد قدره له مما لا قبل له بدفعه، فحذف متعلق يحكم المجرور بالباء لتنزيل فعل يحكم منزلة ما لا يطلب متعلقا، واللام للأجل، أي يحكم الله بما فيه نفعي ، والمراد بالحكم التقدير، وجملة وهو خير الحاكمين تذييل ، وخير الحاكمين إن كان على التعميم فهو الذي حكمه لا جور فيه ، أو الذي حكمه لا يستطيع أحد نقضه، وإن كان على إرادة ، وهو خير الحاكمين لي ، فالخبر مستعمل في الثناء للتعريض بالسؤال أن يقدر له ما فيه رأفة في رد غربته."[١]

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٣،ص٤٠

يبرز الأثر النفسي جلياً في هذه الآية وهو وشعورٌ بالذنب اتجاه أنفسهم، أولاً ولتقصيرهم في حق أخيهم ثانياً، مع ما فيها من تضرعٍ واستعطافٍ إلى الله تعالى أن يستجيب لهم ويحقق لهم ما يصبون إليه، مع إيمانهم وتسليمهم وانقيادهم لأمره تعالى، وإقرارهم له بالعبودية والحاكميّة، أما الآيات السابقة الأولى والثانية فكانت تخاطب جموع المشركين الذين ينكرون البعث والنشور، والحساب والعقاب، وقد جاءت على لسان رسلهم.

وأمّا الصيغة الثانية فقد جاءت بصيغة (أحكم الحاكمين) وقد حملت الدلالات على النحو الآتي :

أ- التودد والاستعطاف والتعريض بالطلب تأدباً مع الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (هود: ٤٥)

لمّا كان من أمر قوم نوح ما كان من النفور والجفاء لنوح –عليه السلام – ولدعوته ، وكان من أمر نوح ما كان من الدعاء عليهم أن لا يبقي الله على الأرض من الكافرين ديارا، جاءت هذه الآية القرآنية تبيّن دعاء نوح– عليه السلام – وهو متضرع إلى الله تعالى أن ينجز له ما وعده به، وأن ينجي أهله مما حل بهم، ثمّ ألمح أنّ ابنه من أهله فجاء بصيغة التعريض بالطلب.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية : أن نوحا– عليه السلام– لا يجهل أن ابنه كافر، ولذلك فسؤال المغفرة له عن علم بأنه كافر، ولكنه يطمع لعل الله أن يعفو عنه لأجل قرابته به، قوله: وأنت أحكم الحاكمين المفيد أنه لا راد لما حكم به وقضاه، ولكنه مقام تضرع وسؤال ما ليس بمحال، وقد كان نوح– عليه السلام– غير منهي عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعه العلم بعدم المغفرة للكافرين، والاقتصار على هذه الجمل الثلاث في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب لأنه لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التأدب والتردد في الإقدام على المسئول استغناء بعلم المسئول،

ومعنى أحكم الحاكمين أشدهم حكما. واسم التفضيل يتعلق بماهية الفعل، فيفيد أن حكمه لا يجوز وأنه لا يبطله أحد.(١)

فنوح –عليه السلام – في هذه الآية يطلب من الله تعالى أن ينجي ابنه بصيغة التعريض بالمطلوب ، مع إيمانه وتسليمه وانقياده لأمره وإقراره بالعبودية والحاكميّة لله والرضا بحكمه تعالى وقدره ، وهو نفس الحال مع إبراهيم –عليه السلام – لما استغفر لأبيه فنهاه الله عن الاستغفار له، فلما تبيّن أنه عدو لله تبرأ منه– تبرأ من أبيه–فكان الدعاء من نوح –عليه السلام –فيه استعطاف وتأدب مع الله تعالى بحسن الطلب مع الانقياد والتسليم ، من خلال النظرة في هذه الآية نرى أنها جاءت بطريقة توجيهيةٍ تربويةٍ لهذه الأمة سواءً في قصة شعيب –عليه السلام – مع قومه من نهيه لهم تطفيف المكيال الميزان أو في قصة نوح – عليه السلام – والتأدب بالدعاء والطلب من الله تعالى، والله أعلم.

ب– الوعد والوعيد

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (التين: ٨)

الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها الكون بأسره، وتسير عليها الحياة بكل جوانبها؛ هي توحيده تعالى، ولذا تناولت هذه الآية الحكم الكوني والحكم الشرعي، إذ أحكام الله عز وجل كونية وشرعية.(٢) وقد بيّنت الآية القرآنية أنّ أمر الله نافذ في خلقه مع ما فيها من وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله.(٣)

([1]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٢، ص٨٥.

([2]) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الأولى،: دار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٦ هـ، ص٤٧.

([3]) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)،مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ت يوسف علي بديوي، الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت،١٤١٩، لبنان، هـ – ١٩٩٨م، ج٣، ص٦٦١.

يقول ابن القيم :" ثم ختم السورة بقوله ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ (التين: ٨) وهذا تقرير لمضمون السورة من إثبات النبوة والتوحيد والمعاد وحكمه بتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالحجة والقدرة والظهور عليه ، وحكمه بين عباده في الدنيا بشرعه وأمره، وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه ، وإن أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونقله في أطوار التخليق حالاً بعد حال إلى أكمل الأحوال، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته."[١]

أما الآية الأخيرة فقد جاءت تحمل وعداً ووعيداً، فالخطاب من الله تعالى لنبيّه بالصبر والثبات على دعوته، مع ما فيها من تثبيت لفؤاد النبي– صلى الله عليه وسلم– وتهديداً للمشركين المعاندين لهذه الدعوة، وتحفيزاً للمؤمنين للثبات على ما هم عليه من الإيمان واليقين .

([1]) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،التبيان في أقسام القرآن،ت محمد حامد الفقي،د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ص٥٤.

الفصل الأول

سياق آيات اقتران اسم الله الحكيم باسم الله العليم في والموضوعات التي تناولها

المبحث الأول

الآيات المكية والمدنية الواردة في الاقتران

المطلب الأول

التعريف باسم الله العليم

التعريف في اللغة : العليم من علم يعلم علما

قال الهروي : " رجل علاَّمة إِذا بالغت فِي وَصفه بِالْعلمِ. والعِلْم نقيض الْجَهْل. وَإنَّهُ لعالم، وَقد علِم يعلَم عِلماً... عَلِمْتُ الشيء بمعنى عرفته وخبرته."(١)

وقال ابن فارس :"الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْعَلَامَةُ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ. يُقَالُ: عَلَّمْتُ عَلَى الشَّيْءِ عَلَامَةً. وَالْعَلَمُ: الرَّايَةُ، وَالْجَمْعُ أَعْلَامٌ. وَالْعَلَمُ: الْجَبَلُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ مَعْلَمًا... وَالْعَلَمُ: الشَّقُّ فِي الشَّفَةِ الْعُلْيَا، وَالرَّجُلُ أَعْلَمُ ، وَالْقِيَاسُ وَاحِدٌ." (٢)

وَالْعِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ، وَقِيَاسُهُ قِيَاسُ الْعَلَمِ وَالْعَلَامَةِ.(٣)

([1]) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة،مصدر سابق،ج٢، ص٢٥٤.

([2]) ابن فارس،مقاييس اللغة،مصدر سابق،ج٤، ص١٠٩.

([3]) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج٤، ص١١٠.

من خلال المعاني السابقة التي يحملها هذا الجذر(عَلَمَ) نخلص بالقول أنّ الأصل واحد وهو العلامة الدالة على الشيء ومن ذلك سمي العالم عالماً لأنّه تميز عن غيره من الناس لمعرفته لحقائق الأمور.

التعريف باسم الله العليم في الاصطلاح

قال الخطابي العليم:" هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق ، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم."[١]

وقال الغزالي : "هو العَالم بِجَمِيعِ الموجودات والمحيط بِكُل الْمَخْلُوقَات لَا يعزب عَن علمه مِثْقَال ذرة فِي الأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء."[٢]

وقال السعدي: "العليم هو المحيط علمه بكل شيء: بالواجبات، والممتنعات، والممكنات."[٣]

إذن هو الذي وسع علمه الموجودات، وأحاط علمه بكل المخلوقات، فلا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السموات .

---

(1) الخطابي، شأن الدعاء، مصدر سابق ، ص٥٧.

(2) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، قواعد العقائد، ت موسى محمد علي، الثانية، عالم الكتب، بيروت، لبنان،١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٧٨.

(3) عبد الرحمن السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى،ت عبيد بن علي العبيد، د.ط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،السعودية، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ –١٤٢١هـ،ج١، ص٤٢.

المطلب الثاني

أثر اقتران أسماء الله الحسنى على سياق الآيات

إن العلم بأسماء الله الحسنى هو أشرف العلوم وأجلها وأفضلها على الإطلاق ، وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته،[١] وذلك أنّ شرف العلم من شرف المعلوم وهو الحق جل جلاله، فلا أجل من أن يُعرف الله تعالى فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، وأسماء الله تعالى هي أشرف الأسماء، وصفاته هي أطهر الصفات، فأسماء الله تعالى كالشعلة التي تضيء للقارئ سياق الآية القرآنية، فيهتدي بها طريق الحق، ويبصر نور الإيمان، مما يجعل النفس تتوق للوقوف على دقائق وجزئيات الآية الكريمة.

وهذه الأسماء قد ترد في كتاب الله مفردة، وقد ترد مقترنة بغيرها من الأسماء الحسنى الدالة على صفات الكمال، مع العلم أنها أسماء حسنى إلاّ أنها تختلف في ألفاظها، وتتعدد في دلالة معناها لتعطي معنىً ثالثاً غير الأول والثاني، وهي سنة الله تعالى لتكن هذه الأسماء صالحة لكل زمان ومكان، فالكثير من المتدبرين لهذا الكتاب العظيم رأوا في هذه الأسماء سِحراً وبياناً، لا يراه إلا من فتح الله بصيرته ونوّر قلبه لذلك .

يقول ابن القيم رحمه الله في أثر الاقتران بين أسماء الله الحسنى بعضها ببعض : "صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما ، نحو : الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه وله

---

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت،ج٢، ص١٠٢.

ثناء من حمده والثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فإنه من أشرف المعارف."[١]

يفهم من كلام ابن القيم أنّ أسماء الله وصفاته صفات كمال في ذاتها، وعند اقترانها بغيرها من الأسماء الحسنى تعطي كمالاً آخر فوق الكمال وجمالاً فوق الجمال، ولكن مع غير الله تعالى فالأمر على نقيض ذلك، إذ ليس كل غني كريم، ولا كل كريم غني، فقد يكون الفقير كريما، وقد يكون الغني بخيلاً، ولكن إذا جاءت في وصف الله تعالى فالأمر مختلف تماماً.

تظهر أهمية الاقتران بين أسماء الله تعالى في الآية القرآنية بربط سياق الآية بالاقتران، حيث يرتبط السياق بالاقتران ارتباطاً وثيقاً، ولو تغير الاقتران بغيره لاختل المعنى وتغير السياق "حكى النقاش أن كعب الأحبار لما أسلم كان يتعلم القرآن، فأقرأه الذي كان يعلمه﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٩) "فاعلموا أن الله غفور رحيم" فقال كعب: إني لاستنكر أن يكون هكذا، ومر بهما رجل فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل:" فاعلموا أن الله عزيز حكيم" فقال كعب: هكذا ينبغي، عزيز لا يمتنع عليه ما يريده، حكيم فيما يفعله."[٢] فهذا حالهم مع القرآن، وهذا فهمهم للنص الكريم والسياق الآيات وعلاقتها بالاقتران.

---

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، هشام ت عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي، الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦ – ١٩٩٦، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م،ج٣، ص٢٤.

المطلب الثالث

الآيات المكية والمدنية الواردة في اقتران اسم الله الحكيم باسم الله العليم

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالفاصلة التي تختتم بها الآية القرآنية، ولقد ازداد الاهتمام في هذا العصر بهذا اللون، وذلك لتوافر التقنيات الحديثة في هذا الزمان ولسهولة استخدمها، ومن هذه الفواصل القرآنية الاقتران بين أسماء الله تعالى، حيث يكثر اقتران أسماء الله الحسنى بعضها ببعض في كتاب الله تعالى وخاصةً في أواخر الآيات القرآنية، وهذا ما يدعو الباحث إلى البحث عن سر هذا الاقتران، وعلاقته بسياق الآية الكريمة.

بينا في المطلب السابق أنّ في اقتران أسماء الله الحسنى كمالاً فوق الكمال، وهو الأمر نفسه في اقتران اسم الله الحكيم باسم الله العليم، فما قيمة العلم إن لم توجهه الحكمة، وما قيمة الحكمة إن لم تضبطها بضابط العلم، فالعليم صفة كمال، والحكيم كذلك، وفي اقتران العليم مع الحكيم كمال آخر.

يقول ابن القيم : "وكذلك العلم كماله أن تقترن به الحكمة وإلا فالعالم الذي لا يريد ما تقتضيه الحكمة وتوجبه، بل يريد ما يهواه، سيفه غاوٍ، وعلمه عون له على الشر والفساد هذا إذا كان عالماً قادراً مريداً له إرادة من غير حكمة ... والمقصود أَن العلم والقدرة المجردين عن الحكمة لا يحصل بهما الكمال والصلاح وإِنما يحصل ذلك بالحكمة معها، واسمه سبحانه الحكيم يتضمن حكمته في خلقه وأَمره في إرادته الدينية الكونية وهو حكيم في كل ما خلقه وأَمر به."[١]

([1]) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الثانية،: دار السلفية، القاهرة، مصر،١٣٩٤هـ، ص١٠٨.

اقترن اسم الله العليم مع اسم الله الحكيم في القرآن الكريم في ستةٍ وثلاثين موضعاً، نزل منها آيات المكية إحدى عشرة آية ، في حين كان النصيب الأكبر في الآيات المدنية حيث بلغت خمساً وعشرين آية ، وقد جاءت على النحو الأتي:

الآيات	الآيات المكية	الآيات المدنية	المجموع
العليم الحكيم	٢	٢	٤
عليم حكيم	٢	١٣	١٥
عليما حكيما	٠	١٠	١٠
الحكيم العليم	٢	٠	٢
حكيم عليم	٥	٠	٥
المجموع	١١	٢٥	٣٦

جاء هذا الاقتران في كتاب الله تعالى ليصقل النفوس ويهذبها بهذا العلم، ويحيي العقول والقلوب بنور الحكمة، ليسموا هذا الإنسان بعقله عن كل نقص ورذيلة، فيكون خليفة الله في أرضه كما أراده، ولكي تحول هذه الأسماء بينه وبين المنزلقات والمعاصي، فيسموا بروحه وأخلاقه إلى مرتبة الملائكة.

المبحث الثاني

تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله العليم وأثره

من الجماليات في كتاب الله تعالى انك ترى اللفظة القرآنية متقدمةً في موضع ومتأخرةً في موضع آخر، ومُعرّفةً في موضع ومُنكّرةً في أخر، فهذا الامتياز في الأسلوب، والرونق في الجملة، والجمال في سحر الإيقاع، وتأثير في نفس قارئه لا يكون إلاّ في كتاب الله تعالى، وذلك لما يحويه هذا الكتاب من البياني، فمرة يتقدم اسم الله الحكيم على اسمه العليم، وأخرى يأتي متأخراَ عنه، ومرة يأتي معرفاً، وأخرى منكراً، وكلٌ له سياقه المختلف عن الآخر في الدلالة والمعنى، ومن هنا تبرز جماليات كتاب الله تعالى من حيث التغاير في الأسلوب، وجمال في الأداء، مما يجعل لهذا الكتاب لذةً والحلاوةً في النفس مالا يجده في غيره من كتب الدنيا بأسرها.

التقديم والتأخير في اللفظة القرآنية من الموضوعات التي لفتت أنظار المفسرين قديماً، فبيّنوا أسبابها، ووقفوا على دلالتها، يقول ابن القيم: "تتقدم المعاني بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال، فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخفة والثقل بأحد هذه الأسباب الخمسة، أو بأكثرها، سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتب الألفاظ بحسب ذلك، نعم وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل، لا بحسب المعنى، كقولهم ربيعة ومضر،وكان تقديم مضر أولى من جهة الفضل، ولكن آثروا الخفة لأنك لو قدمت مضر في اللفظ كثرت الحركات وتوالت، فلما أخرت وقف عليها بالسكون." (١)

يفهم من كلام ابن القيم أن المعاني في كتاب الله تعالى جاءت في غاية الدقة، فلا تتقدم لفظة على لفظة ولا تتأخر عنها إلاّ لسبب، وذلك لداعٍ أسلوبي ومعان تقتضيها طبيعة السياق، ومن ذلك تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله العليم .

---

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد، مصدر سابق،ج١، ص٦٥.

وأمّا عن تقدم اسم الله الحكيم على اسمه العليم فيقول القيعي[١] : "والأصل أن يقدم العلم؛ لكن لما كان المقام تشريع أحكام أو تبيين عقائد –يطلب الحكمة من ورائها– قدم الحكيم...وقد يقدم اللفظ في موضع ويؤخره في موضع...ومن الأمور المسلمة تقديم ما يُعتنَى به.. ولكل مقام مقال."[٢] فيكون الأصل والأساس الذي تقوم عليه الآية هي الحكمة أولاً ثمّ العلم ثانيا.

ويقول ابن القيم حول هذا الاقتران :"إخباره سبحانه عن صدور الخلق والأمر عن حكمته وعلمه فيذكر هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيها على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام."[٣]

فعلمه تعالى محيط، وحكمته مطلقة، يجري الأمور في غاية الإحكام والإتقان، دون أن يلتبس عليه من الأمر شيئاً.

وقد تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله العليم في سبعة مواضع، جاءت جميعها مكية، لم يرد منها في الآيات مدنية شيئاً، وقد جاءت صيغ هذا الاقتران على صيغتين، الصيغة الأولى "الحكيم العليم"، والصيغة الثانية "حكيمٌ عليم" .

---

[1] محمد عبد المنعم القيعي، أستاذ دكتور، ورئيس قسم التفسير سابقاً بكلية أصول الدين،في جامعة الأزهر.

[2] محمد عبد المنعم القيعي، الأصلان في علوم القرآن، الرابعة، د.دار نشر، د. مدينة ، ١٤١٧ هـ– ١٩٩٦م، ص٣٤٣.

[3] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ت محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي،د.ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢٠٠.

المطلب الأول

سياق الآيات والموضوعات التي جاءت مع صيغة (الحكيم العليم)

ورد هذا الاقتران – الحكيم العليم – بصيغة التعريف ليفيد الاستغراق، فهو تعالى الحكيم المطلق، والعليم الذي أحاط علمه بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في آيتين مكيتين، جاءتا بصيغةٍ واحدةٍ وهي (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ) التعريف مع الضمير ليفيد الاستغراق والحصر، فجاءت الآيتان على نسقٍ واحد في إثبات كمال قدرة الله تعالى، المتصرف في هذا الكون، يجري وفق علمه وأمره تعالى، وقد جاءتا على النحو الآتي :

أ- إثبات كمال الألوهية لله تعالى.

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الزخرف: ٨٤)

تنوعت الآيات التي تعالج قضيت التوحيد، وتنوعت الصيغ التي جاءت بها هذه الآيات، وذلك تبعاً لما يتطلبه السياق، فالآيات السابقة من سورة الزخرف ذكرت مزاعم أهل الكتاب وعقائدهم الفاسدة من نسبة الولد إلى الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – فجاءت الآية القرآنية تبطل هذه المزاعم، وتثبت كمال ألوهيته تعالى، فبينت عظمة الله تعالى وعظمة ملكه، وأنّه المعبود في السموات والأرض، الغنيّ عن الشريك والولد .

وقد جاء الاقتران بصيغة التعريف والجملة الاسمية ليفيد الاستغراق، والضمير للاختصاص بإثبات كمال الحكمة وعلمه، ونفيه عن غيره.

يقول ابن عاشور: بعد أن وصف الله بالتفرد بالإلهية أتبع بوصفه بالحكيم العليم تدقيقا للدليل الذي في قوله: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، حيث دل على نفي إلهية غيره في السماء والأرض واختصاصه بالإلهية فيهما لما في صيغة القصر من إثبات الوصف له ونفيه عمن سواه، فكان قوله: وهو الحكيم العليم تتميما للدليل واستدلالا عليه، ولذلك سميناه تدقيقا إذ التدقيق في الاصطلاح هو ذكر الشيء بدليل دليله وأما التحقيق فذكر الشيء بدليله لأن الموصوف بتمام الحكمة وكمال العلم مستغن عما سواه فلا يحتاج إلى ولد ولا إلى بنت ولا إلى شريك.(١)

لمّا كان سبحانه وتعالى هو المعبود في السموات على عظمها واتساعها، كان من باب أولى أن يكون وحده المعبود في الأرض، فبيّنت الآية الكريمة أنّه المعبود في سماواته وأرضه، وإن أنكر وجوده بعض خلقه من الذين تجبروا عن عبادته وتكبروا ، فخلق السماوات والأرض مع ما فيهما من إبداع وإحكام، تجري وفق نواميس دقيقة مقدرة بغاية الإتقان والإحكام لا تتغير ولا تتبدل، دليل دال على كمال عظمته وقدرته وأنه المستحق للعبودية وحده ، فجاءت صيغة الاقتران دليل على الدليل ، فإذا ثبت أنّه إله السماء والمعبود فيها – وهو كذلك – بدليل خلقه لها وإحكامه لها، وجب أن يكون هو وحده المعبود في الأرض؛ لأنّها جزء من خلقه العظيم المحكم، فلما ثبت أنه الإله في السماوات والأرض ثبت أنّه الحكيم العليم بدليل خلقه للكون وإحكامه له لما فيه من الآيات الدالة على كمال خلقه وعلمه.

ب- بيان كمال فضله على أنبيائه وأوليائه .

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الذاريات: ٣٠)

بعد أن بيّنت آية الزخرف كمال عظمة الله تعالى، وأنه وحده المستحق للعبودية ، جاءت آية الذاريات لتبين كمال قدرة الله تعالى في الخلق والرزق، فهو سبحانه يعطي بحكمة ويمنع

---

(1)ابن عاشور،التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٢٥،ص٢٦٨

بحكمة، فلا يعطي في موضع المنع، ولا يمنع في موضع العطاء، فعطاؤه دائم بدوامه، فبيّنت هذه الآية من قصة إبراهيم كمال فضله تعالى على أنبيائه، وكيف رُزِق إبراهيم –عليه السلام –الولد في آخر عمره.

يقول ابن القيم : تتضمن هذه الآية إثبات صفة الحكمة والعلم اللذين هما مصدر الخلق والأمر، فجميع ما خلقه سبحانه صادر عن علمه وحكمته، وكذلك أمره وشرعه مصدره عن علمه وحكمته ، والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال ، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من القيومية والقدرة والبقاء والسمع والبصر وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التام ، والحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل والرحمة والإحسان والجود والبر ، ووضع الأشياء في مواضعها على أحسن وجوهها ... ثم قال : واختصت هذه القصة بذكر هذين الاسمين لاقتضائهما لتعجب النفوس من تولد مولود بين أبوين لا يولد لمثلهما عادة ، وخفاء العلم بسبب هذا الإيلاد وكون الحكمة اقتضت جريان هذه الولادة على غير العادة المعروفة فذكر في الآية اسم العلم والحكمة المتضمن لعلمه سبحانه بسبب هذا الخلق وغايته وحكمته في وضعه موضعه من غير إخلال بموجب الحكمة.(١)

ليزول استغراب زوجه –عليه السلام – وتعجبها وأنها إرادة الله تعالى وإرادة الله نافذة.

ورد هذا الاقتران على لسان الملائكة –عليهم السلام – بصيغة التعريف والتأكيد ليفيد الاستغراق، فالملائكة تثبت لله تعالى أعلى درجات الحكمة والعلم، فحكمته مطلقة وعلمه كذلك، مع ما فيه من تعليم لإبراهيم –عليه السلام – وزوجه عدم القنوط من رحمة الله تعالى، وأمّا صيغة

---

(1) انظر ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الرسالة التبوكية، محمد جميل غازي، د.ط، مكتبة المدني، جدة، السعودية، ص٧٠.

الاقتران فقد جاءت جملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠﴾ تعليل لما قبلها، أي: حكيم في أفعاله وأقواله عليم بكل شيء.(١)

فالقوانين الكونية تجري وفق أمره تعالى وحكمته، فلا يسكن ساكن ولا يتحرك متحرك إلاّ بأمره، فيعطي بحكمة وعلم ويحرم كذلك، ويعطي وقت يشاء ويحرم وقت يشاء، و ما على المسلم إلاّ الثقة بالله، وحسن التوكل عليه.

وأما الأثر الثاني في هذا الاقتران فجاء ليبين قدرته تعالى وأن أمره نافذ في خلقه لا يعجزه شيئ، فهو يرزق بالأسباب وبعكس الأسباب، فجاءت الآية الكريمة تبيّن فضله تعالى على أنبيائه وأوليائه برزقهم المولود في مثل هذا الوقت .

من خلال الآيتين السابقتين يبرز الجانب العقدي، بتفرده تعالى بالإلوهية واستغنائه عن الشريك والولد، أمّا الآية الثانية فبيّنت كمال قدرته وكرامته على عباده وأنبيائه، فهو القادر على أن يرزق بلا أسباب؛ لأنه تعالى غني عن الأسباب.

المطلب الثاني

سياق الآيات التي وردت فيها صيغة "حكيم عليم"

والموضوعات التي تناولتها

جاء هذا الاقتران في كتاب الله في خمسة مواضع، جميعها مكية، ثلاث منها في سورة الأنعام، وهي سورة جاءت لتصحح المعتقدات الجاهلية والأفكار الشركية، والموضع الرابع في سورة

---

(1) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن،ت عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، د.ط، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت،١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م،ج١٣، ص٢٠٢.

النمل، والخامس في سورة الحجر، فورد هذا الاقتران –حكيم عليم – بصيغة التنكير والنكرة قد تفيد التعظيم أو التحقير، وقد تفيد التكثير أو التقليل، وذلك حسب سياق الآية وموقعها من الجملة، وقد جاءت دلالات الاقتران على النحو الأتي:

١– استعمال الحجة والبرهان العقلي.

٢- ذكر الحشر وأحوال القيامة.

٣– نفي أحكام الجاهلية وبيان أنّ الحاكمية لله تعالى وحده .

٤– بيان مصدر القرآن.

أولاً – استعمال الحجة والبرهان العقلي.

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٣)

جمعت الآية الكريمة مهمة الداعي إلى الله تعالى وهي التفكر والتدبر في خلق الله تعالى وآلاء، ليكون مطمئن الفؤاد رابط الجأش، سليم الفطرة صادق السريرة، فاثبت الله تعالى وجوده على لسان نبيه بطريق المحاجة بالدليل العقلي والمشاهد، وختم الآية بقوله: (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فجاء الخطاب إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– بصيغة التوكيد بأداة التوكيد والجملة الاسمية، ثم جاء بالاقتران منكراً لتثبت كمال حكمته وكمال علمه.

يقول صاحب المنار في تفسيره لهذه الآية : " فالعلم النظري درجة كمال، والحكمة العلمية والعملية درجتا كمال، وفصل الخطاب وقوة العارضة في الحجاج من درجات الكمال، والسيادة والحكم بالحق درجة كمال، والنبوة والرسالة أعلى من كل هذه الدرجات ؛ لأنها تشتمل عليها وتزيد

عنها ... إن ربك الذي رباك وآواك، وعلمك وهداك، ورفع ذكرك بجوده وكرمه، وجعلك خاتم رسله لجميع خلقه، حكيم في فعله وصنعه، عليم بشئون خلقه وسياسة عباده."[١]

ولمّا كانت حجة إبراهيم–عليه السلام – مبنية على الحكمة أولاً، وعلى العلم ثانياً، فلا غنى للحكمة عن العلم، جاءت صيغة الاقتران يتقدم اسم الله الحكيم على العليم، ويقول ابن عاشور : "وقدم حكيم على عليم لأن هذا التفضيل مظهر للحكمة ثم عقب ب (عليم) ليشير إلى أن ذلك الإحكام جار على وفق العلم."[٢]

ففي هذه الآية يبرز الجانب العقدي جلياً في إثبات وجود الله تعالى بالحجة والبرهان العقلي، فالمحاجة تحتاج إلى حكمة أولاً وإلى علم ثانياً، إذ لا غنى للعالم عن الحكمة، ولا غنى للحكيم عن العلم، ومن هنا يظهر سر في اقتران هذين الاسمين دون غيرهما، وأمّا سر تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله العليم فهو من قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل ١٢٥) فالدعوة تحتاج إلى حكمة أولاً ثمّ إلى علم ثانياً، والله أعلم .

ثانياً – ذكر الحشر وأحوال القيامة وحقائقه.

١- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ ﴾ (الأنعام: ١٢٨)

---

(1) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، ١٩٩٠ م،ج٧، ص٤٨٦.

(2) ابن عاشور، التحرير و التنوير،مصدر سابق،ج٧،ص٣٣٦

تناولت هذه الآية حقيقة الحشر والحساب، وأنّ الله تعالى سيجازي كلاً بعمله وفق علمه وحكمته، المحسن بإحسانه، والمسيء بالإساءة، مع ما حملته الآية من الوعد والوعيد، فجاء الاقتران بالصيغة السابقة نفسها، مع زيادة في تهديد ووعيد، والثواب والعقاب.

ولمّا كان عذابهم لا يصدر إلاّ كمال حكمة وعلم، لا عن علم مجرد من الحكمة ختم الآية بصيغة الاقتران، قال ابن القيم : "فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات ، ورفعه عنهم في وقت يشاء، صادر عن كمال علمه وحكمته، لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل، إذ يستحيل تجرّد مشيئته عن ذلك."[١]

حمل الخطاب من الله تعالى لنبيّه –صلى الله عليه وسلم – التحبب والتلطف والطمأنة، وأنه سوف يجازي كلاً بعمله، يقول ابن عاشور وقوله: إن ربك حكيم عليم تذييل، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فإن كان قوله: خالدين فيها إلا ما شاء الله من بقية المقول لأولياء الجن في الحشر كان قوله: إن ربك حكيم عليم جملة معترضة بين الجُمل المقولة، لبيان أن ما رتبه الله على الشرك من الخلود رتبه بحكمته وعلمه، وإن كان قوله: خالدين إلخ كلاما مستقلا معترضا كان قوله: إن ربك حكيم عليم تذييلا للاعتراض، وتأكيدا للمقصود من المشيئة من جعل استحقاق الخلود في العذاب منوطا بالموافاة على الشرك، وجعل النجاة من ذلك الخلود منوطة بالإيمان، والحكيم: هو الذي يضع الأشياء في مناسباتها، والأسباب لمسبباتها، والعليم: الذي يعلم ما انطوى عليه جميع خلقه من الأحوال المستحقة للثواب والعقاب.[٢]

---

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ص٢٧٢.

(2) انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج٨،ص ص٧٢،٧٣.

تحدثت الآية الكريمة عن الحشر وحال الإنس والجن في المحشر، وما يدور بينهم من همز ولمز وحوار حول ما كان بينهم في الحياة الدنيا من منافع ومصالح في إغواء الإنس والجن، وضلالهم عن الهدى والحق، فجاءت صيغة الاقتران تبيّن أنّ جمعهم وحشرهم جاء عن كمال حكمة وقدرة، ليميز المحسن من المسيء، والصادق من الكاذب، وأنّ ما كان بينهم من منافع ومصالح في إغواء الناس وإضلالهم وما كنوا يدبرونه بالسر والعلانية، إنما كان بعلم الله تعالى واطّلاعه، فهو لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ثمّ بيّن أنّ إدخال أهل النار مع الخلود فيها إنّما هو وفق حكمه تعالى وأمره ومشيئته وعلمه، لا عن علم مجرد من الحكمة .

فسياق الاقتران في هذه الآية مقارب للاقتران السابق من حيث الألفاظ والدلالة (إن ربك حكيم عليم)مع تعلق الأمرين بمشيئة الله تعالى، فرفع الدرجات وفق مشيئته وعلمه وحكمته، وإدخال المشركين النار والخلود فيها أيضاً وفق علمه وحكمته ومشيئته، فجميع ما في الكون يجري وفق أمر الله تعالى ومشيئته.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحجر: ٢٥)

هذه الآية جاءت مقاربة للآية السابقة في الكلام عن الحشر والنشر وأحوال القيامة، مع ما فيها من المحاجة لمنكري البعث من أنّ الذي يحي الحياة الأولى قادر على الحياة الثانية، مع ما تحمله الآية من التهديد والوعيد لمنكري الآخرة.

يقول ابن عاشور: "فإن الذي يحيي الحياة الأولى قادر على الحياة الثانية بالأولى، والذي قدّر الموت ما قدره عبثا بعد أن أوجد الموجودات إلا لتستقبلوا حياة أبدية ولولا ذلك لقدر الدوام على الحياة الأولى، وللإشارة إلى هذا المعنى من حكمة الإحياء والإماتة أتبعه بقوله: إنه حكيم عليم

تعليلا لجملة وإن ربك هو يحشرهم لأن شأن (إنّ) إذا جاءت في غير معنى الرد على المنكر أن تفيد معنى التعليل والربط بما قبلها، وقد أكدت جملة وإن ربك هو يحشرهم بحرف التوكيد وبضمير الفصل لرد إنكارهم الشديد للحشر، وقد أسند الحشر إلى الله كونه رب محمد صلى الله عليه وسلم تنويها بشأن النبي- عليه الصلاة والسلام- لأنهم كذبوه في الخبر عن البعث."[١]

أوضحت الآية القرآنية كمال قدرته تعالى بإعادة الأرواح إلى أجسادها التي خرجت منها دون أن تختلط الأرواح بأجساد أخرى، على كثرة عددها وعدد الخلائق والمخلوقات، فكل روح تعود إلى الجسد الذي خرجت منه، فيا له من كبرياءٍ لا يجارى، ومن علمٍ لا يُضاهى، ثمّ دلل على ذلك بأنّ من أحيا الحياة الأولى فهو على إعادة الحياة الآخرة أقدر من باب أولى، فجاءت صيغة الاقتران بطريقة التعليل لتبيّن أنّ هذا الحشر إنّما هو عن كمال حكمته وعلمه، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فلا يصدر عن الحكيم إلاّ الحكمة، العليم بالمسيء من المحسن.

بعد الوقوف على الاقترانات الثلاث السابقة نرى أنّها جاءت بصيغة واحدة وهي قوله (إنّ ربك) إذ الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم- وهو للتربية والإنعام ، وتنويهاً بشأن النبي – صلى الله عليه وسلم-، وكأن الحق سبحانه يقول لا تحزن لكفرهم؛ فإنّ الله سوف يحشرهم يوم القيامة، ويوفيهم حسابهم بكفرهم وتعنتهم، وقولهم على الله غير الحق.

ثالثاً – نفي أحكام الجاهلية وبيان أنّ الحاكمية لله تعالى وحده، فقد كانت أحكام الجاهلية هي الأحكام السائدة في المجتمع العربي من غير حسيبٍ ولا رقيب، يشرعون حسب أهوائهم ورغباتهم، فيعطون ويمنعون ويخفضون ويرفعون.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج١٤، ص٤٠-٤١.

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (الأنعام: ١٣٩)

ذكرت الآيات الكريمة هذا المجتمع بسخافة عقولهم؛ لافترائهم على الله تعالى بما لم يشرع، ولتقولهم عليه بما لم يقل، فجاءت الآيات لتصحيح الخلل، وتقويم الزلل، ولتبيّن أنّ الحكم لله تعالى يحكم بما شاء، فكان منهاج السورة –سورة الأنعام– منهاجاً عقدياً بحتا، فهذه القسمة لا تخضع لميزان العقل، ولا لمقياس المنطق بأيّ صورة، فعن ابن عباس قال: "إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام"([1]) فكانت الآية بمنزلة دليل قاطع، ونورٍ ساطعٍ، على بطلان الأحكام التي لا تخضع لفكرٍ أو لعقلٍ، ولتبيّن صدق ما جاء به نبيّه ورسوله–صلى الله عليه وسلم –

وقد جاء الخطاب في قوله تعالى :(سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾) يحمل تهديداً ووعيداً لهم؛ لأنّهم فعلوا ما يستحق العقاب بشرعهم ما لم يأذن به الله تعالى، يقول الطنطاوي: "سيجزيهم بما هم أهله من العذاب المهين جزاء وصفهم أو بسبب وصفهم الكذب على الله في أمر التحليل والتحريم على سبيل التحكم والتهجم بالباطل على شرعه . إنه – سبحانه – حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه ، عليم بأعمال عباده من خير أو شر وسيجازيهم عليها."([2])

يبرز الجانب العقدي في هذا النص الكريم، حيث جاء بأحكام عقدية تشريعية؛ ليلغي ما كان سائداً عند العرب في الجاهلية من أحكام، ولهذا كان لابد من ذكر الحكمة أولاً من أنّ هذه الأحكام لا تخضع لميزان العقل، فكيف يكون ما في بطون الأنعام خالصاً للذكور محرم على الإناث حال

([1]) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، ت مصطفى ديب البغا ، الجامع الصحيح المختصر ، الثالثة، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ج٣، ص١٢٩٧، باب قصة زمزم، رقم الحديث ٠٣٣٣٤

([2]) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٧ ، ج٥، ص١٩١.

الحياة، شركاء فيها حال ما تكون ميتة ؟ فأين ميزان العقل والعدل؟ ، ثمّ أوضحت الآية الكريمة أنّ هذه الأحكام الربانية التي شرعها لكم، وأبطل بها ما كان سائداً في الجاهلية، صادرة عن علمٍ ثانياً، فهو أعلم بالمفسد من المصلح، فيجزيهم وفق حكمته تعالى وعلمه، ولهذا قدم اسم الله الحكيم على اسم الله العليم، فجاءت الآية القرآنية تنفي جميع الأحكام الجاهلية وتقطع دابرها، فلا يبقى لها وجود بين أفراد المجتمع المسلم.

جاءت الآيات الثلاث المتقدمة لهذه الآية من سورة الأنعام لتعالج الجانب العقدي وتلغي جميع الأحكام الجاهلية جملةً وتفصيلاً، ولتبيّن أنّ هذه الشريعة إنما جاءت مبنية على العقل والمنطق والحكمة والعلم والعدل،لا على الهوى والمزاج كما هي باقي الشرائع الوضعية .

رابعاً – بيان مصدر القرآن.

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ (النمل: ٦)

ابتدأت السورة الكريمة في بيان فضل هذا الكتاب، وأنّه كتاب هداية وبشرى للمؤمنين، فكان الخطاب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم – كالدليل على أنّ هذا القرآن من عند الله تعالى، لا كما يزعم المشركون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ (الفرقان –٥) ، فجاء السياق مؤكداً بأكثر من أداة توكيد، لينزل السامع منزلة المنكر فهو يخاطب مجتمعاً منكراً، فكانت الآية تحمل كل هذا التوكيد لتناسب مقام حالهم وما هم عليه من عناد وتكذيب، مع ما فيه من تثبيت لفؤاد النبي –صلى الله عليه وسلم–.

يقول ابن القيم :فمصدر خلقه تعالى وأمره عن كمال علمه وحكمته وبكمال هاتين الصفتين يكون المفعول الصادر عن الموصوف بهما حكمه كله مصلحة وحقا ولهذا قال تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فأخبر أن مصدر التلقي عن علم المتكلم وحكمته وما كان كذلك كان

صدقاً وعدلاً وهدىً وإرشاداً.[١] فجاء هذا الكتاب يحمل هذا الوصف لقوله تعالى ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ يس:(١ – ٢) وقوله تعالى:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ يونس: (١) فهو محكم من التحريف والتبديل منزه عن النقص والزيادة .

لمّا كان القرآن كلام الله تعالى حق لا مرية فيه ، وصدق بكل ما يحتويه، جاء بصيغة الاقتران مقرونة بقوله "من لدن" قال الراغب :" لَدُنْ أخصّ من «عند» ، لأنه يدلّ على ابتداء نهاية. نحو: أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضع لدن موضع نهاية الفعل "([٢]) فهو من الله تعالى ابتداءً وانتهاءً، مع ما فيه من زيادة في التأكيد على انتسابه إلى الله تعالى.

يقول ابن عاشور: وفي إقحام اسم لدن بين" من "و"حكيم" تنبيه على شدة انتساب القرآن إلى جانب الله تعالى ... والحكيم: القوي الحكمة، والعليم: الواسع العلم. وفي التنكير إيذان بتعظيم هذا الحكيم العليم كأنه قيل: من حكيم،أي: حكيم، وعليم، أي: عليم، وفي الوصفين الشريفين مناسبة للمعطوف عليه وللممهد إليه، فإن ما في القرآن دليل على حكمة وعلم من أوحى به، وأن ما يذكر هنا من القصص وما يستخلص منها من المغازي والأمثال والموعظة، من آثار حكمة وعلم حكيم عليم، وكذلك ما في ذلك من تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم.[٣]

أوضحت الآية الكريمة عن مصدر القرآن الكريم، أنّه من عند الله تعالى، ثمّ بيّنت صفة منزله وخصت هاتان الصفتان بالذكر دون سواهما، وهما صفتا الحكمة والعلم، فإذا كان مصدر القرآن من حكيم عليم فلا بد أن يحمل الكتاب صفة صاحبه، فجاء هذا الكتاب يحمل الكثير من العلوم الكونية، والأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، التي تنم عن كمال علمه وحكمته، فجاء الاقتران في هذه الآية منكراً ليفيد التعظيم ، وأن هذا الكتاب صادق بكل ما فيه من أمور غيبية، وأحكام تشريعية لأنّ مصدره الحكيم العليم، فهو حكيم أحكمه من الزيادة والنقصان من جانب، وحكيم في

---

(1) ابن قيم، بدائع الفوائد،مصدر سابق،ج٤، ص٩٦٩–ص٩٦٨.
(2)الراغب الأصفهاني ،المفردات ،مصدر سابق ، ص ٧٣٩.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق ،ج١٩، ص٢٢٣–٢٢٤.

اختيارك يا محمد لحمل هذه الرسالة لبني البشر دون سائر خلقه، عليم بما يصلح هذه الأمة من الأحكام فبينها لهم وما لا يصلح فخففها عنهم .

من الملاحظ في آيات هذا الاقتران أنّ جميع الآيات جاءت بصيغة التوكيد والتنكير ، وذلك لأنها جاءت تخاطب مجتمعاً منكراً لجميع هذه العقائد، والمنكر لهذه الأمور لا بد له من التأكيد، فجاء الخطاب مؤكداً بأكثر من أداة توكيد في كل آية، فناسب المقام المقال، ولهذا جاء الخطاب الرباني مناسباً لمقام الحال الذي هم عليه، ثمّ إنّ استعمال الحجة والبرهان العقلي للدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلاّ بالحكمة والموعظة الحسنة المبنية على العلم، ولهذا قدم وصف الحكيم على العليم ، والله اعلم .

من خلال الوقوف على الآيات السابقة يظهر الجانب العقدي من جانبٍ، وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم– بكل ما جاء به وكل ما أخبر به عن ربه – جل جلاله – من جانبٍ آخر، وكيف عالجت الآيات هذه الجوانب، من حيث الإيمان بالله تعالى ، والتدليل على وجودة من خلال قصة إبراهيم مع قومه، والاحتكام إلى شرعه تعالى، ونفي الأحكام الجاهلية جميعاً، وإثبات البعث والقيامة، وأنّ من أوجد أول مرة فهو على إعادة الخلق أقدر، وإثبات صدق الكتاب –القرآن – الذي جاء به سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – وأنه من عند الله تعالى، وإذا كان من عند الله تعالى –وهو كذلك – فهو صدق، وإذا كان صدقاً –وهو كذلك – فإنّ جميع ما فيه صدق .

المبحث الثالث

تأخير اسم الله الحكيم على اسم الله العليم وأثره

حمل الاقتران السابق دلالات ومعاني لها أهداف كثيرة، وغايات متعددة، من خلال تقدم اسم الله الحكيم، وأمّا في هذا المبحث فجاء بصيغة مختلفة، حيث تقدم اسم الله العليم على اسم الله الحكيم، وهذه الظاهرة من شأنها أن تبعث في النفس الشوق للتدبر في أسباب هذا التقديم والتأخير، ويجعل النفس تتوق للوقوف على أسرار هذه الظاهرة القرآنية، فهي تبعث في النفس الحركة والحياة، والسعي والجد؛ لمعرفة هذه الأسرار العظيمة.

المطلب الأول

سياق الآيات التي اقترنت بها صيغة "العليم الحكيم"

ورد هذا الاقتران–العليم الحكيم – في كتاب الله تعالى في أربعة مواضع، آيتان مكيّتان، وآيتان مدنيّتان، جاء الاقتران معرفاً ليفيد الاستغراق، فهو تعالى مطلق العلم، فعلمه محيط بالممكنات والواجبات والمستحيلات، وحكمته تعالى مطلقة، والعقول قاصرة عن إدراكها.

يبرز على سياق آيات هذا الاقتران الجانب القصصي، فآيتان في قصة يوسف، والثالثة في قصة آدم، والرابعة في بيت النبي– صلى الله عليه وسلم – مع بعض أزواجه، إذن نستطيع أنّ نقول أنّه اقترانٌ قصصي بحت، وأمّا الآيات فنقسمها إلى آيات مكية وآيات مدنية ، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولاً: الآيات المكية

لم تكن القصة القرآنية يوماً مجرد قصةٍ تقرأ وتنسى، أو روايةً يتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل– مع ما يعتريها من الزيادة والنقص – دون أن يكون فيها عبرةً أو عظةً، بل إن القصة

القرآنية جاءت لتغرس في النفوس غايةً ساميةً، وهدفاً نبيلاً، ولتزرع في صدور هذه الأمة الأمل والحياة من جديد، ولتبني في قلوبهم العزم والتصميم، لخوض هذا البحر العميق في الدعوة إلى الله تعالى ، فالقصة القرآنية في كل سورة تعالج جانباً مهماً من جوانب الدعوة ، وتطرق إشكالاً من الإشكاليات التي تواجه مسيرة التوحيد، وكيف أنّ المحن والابتلاءات تكون على الأنبياء أكثر من غيرهم، ولا تطرق أبوابهم هذه المصائب إلاّ من اقرب الناس لهم صلةً ورحماً.

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في الآيات المكية في آيتين، وفي سورة يوسف بالتحديد، واحد على لسان يعقوب، والثاني على لسان يوسف –عليهما السلام – جاءا بأسلوب تعليمي توجيهي، يحملان الانقياد والتسليم لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه، وهما على النحو الآتي:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ ﴿ يوسف: ٨٣)

قضت سنة الله تعالى في الحياة الدنيا، ومضت مشيئته، أن تكون الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ودار اختبارٍ وتمحيص، كل هذا ليكشف معدن الناس وحقيقة أنفسهم، وصدق نيّاتهم، جاءت الآية الكريمة على لسان يعقوب –عليه السلام– تبيّن حاله بعد ما نزل به من المحن والمصائب ما نزل، وحل به من النوازل ما حلّ، ففقدانه ليوسف وشقيقه أمر جلل، وامتناع الأخ الأكبر عن العودة زاد الأمر شدةً وحرجاً، فجاء هذا الاقتران بهذه الصيغة؛ لأن يعقوب –عليه السلام– يجهل ما حلّ بيوسف وإخوته فنسب العلم إلى الله تعالى، ونفى العلم عن نفسه، ثم أضاف الحكيم إلى العليم كناية عن استسلامه لحكم الله تعالى، ورضائه بقضائه وأمره، والانقياد لحكمه ومشيئته.

قال البقاعي : ثم علل ذلك بقوله: "إنه هو" أي : وحده العليم ،أي: البليغ العلم بما خفي علينا من ذلك، فيعلم أسبابه الموصلة إلى المقاصد، الحكيم، أي :البليغ في إحكام الأمور في ترتيب الأسباب بحيث لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه منها، وترتيب الوصفين على غاية الإحكام – كما ترى – لأن الحال داع إلى العلم بما غاب من الأسباب أكثر من دعائه إلى معرفة حكمتها.[١]

جاء الاقتران بصيغة التعريف والتأكيد ليفيد الاستغراق، وجاء بصيغة القصر ليبيّن كمال العلم والحكمة لله تعالى ونفيها عن غيره، فيعقوب –عليه السلام – يقر لله تعالى بكمال العلم والحكمة، ويعلمنا حسن الصبر والانقياد والتسليم لأمر الله تعالى وحكمه.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٠)

تبرز الآية الكريمة الخلق العظيم الذي يتمتع به يوسف عليه السلام، والعزم الذي يملكه، ففاض الخير والبر من كل نواحيه، وتدفقت الرحمة من كل جوانبه، فعمّ الخير ديار مصر وبلادها، جاءت الآية بعد أن جمع الله شمل يوسف مع أهله، فبيّن تأويل الرؤيا التي رآها في أول السورة، ثم أخذ يذكر أنعم الله عليه بإخراجه من السجن، وجمعه مع أهله، ومجيئهم من البادية، ثم بين أنّ ما جرى معه كان بعلم الله وبحكمةٍ أرادها سبحانه، أمّا الاقتران في هذه الآية ففيه إظهار للنعمة، وشكر المنعم بلسان الحال ولسان المقال.

يقول البقاعي في تفسيره لصيغة الاقتران: " "إنه هو" أي: وحده العليم أي: البليغ العلم للدقائق والجلائل الحكيم، أي: البليغ الإتقان لما يصنعه طبق ما ختم به يعقوب عليه الصلاة

([1]) البقاعي ، نظم الدرر ،مصدر سابق،ج١٠، ص١٩٥.

والسلام بشراه في أول السورة، أي: هو منفرد بالاتصاف بذلك لا يدانيه أحد في علم ليتعرض إلى إبطال ما يقيمه من الأسباب، ولا في حكمة ليوقع الخلل في شيء منها."(١)

تحدثت الآية الكريمة على لسان يوسف –عليه السلام – فجاءت بصيغة التعريف والتأكيد ليفيد الاستغراق، وجاء بصيغة القصر ليفيد قصر العلم والحكمة لله تعالى، ونفيها عن غيره، فيوسف–عليه السلام– يقر لله تعالى بكمال العلم والحكمة، فناسب المقام المقال، فهو– عليه السلام– مع إقراره بعلم الله المطلق وحكمته المطلقة يعلمنا الصبر على المصائب، والشكر في السراء والضراء، والانقياد والاستسلام لأمر الله تعالى، فكان الاقتران قريباً من سابقه يحمل المعنى والدلالة السابقة، والله اعلم.

حملت صيغ الاقتران في الآيتين السابقتين صيغةً واحد وهي (إنّه هو الحكيم العليم) وذلك أنّ يعقوب ويوسف –عليهما السلام –مقرون لله تعالى بكمال العلم والحكمة، مع رضائهم بحكم الله تعالى في السراء و الضراء، وانقيادهم التام واستسلامهم لأمره تعالى، وأنّ الأمور تجري وفق علم الله وحكمته ومشيئته.

بعد الوقوف على هذا الاقتران في الآيات المكية نرى أنّ هذا الاقتران جاء مرة على لسان يعقوب والثاني على لسان يوسف– عليهما السلام– وأمّا سبب تقدم اسم الله العليم على اسمه الحكيم، أنّ هذه القصة جاءت بأمور غيبة، فيعقوب–عليه السلام– لا يعلم عن يوسف عليه السلام شيئاً –ويوسف –عليه السلام– لا يعلم شيئاً عن أهله، مع العلم أنّهما أنبياء، ويتنزّل عليهما الوحي، ومع ذلك فقد أخفى الله تعالى علمه عنهما وبقي كلٌ منهما لا يعرف أخبار الآخر، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى ، وأمّا الحكمة من تقدم اسم الله العليم على اسم الله الحكيم فهي: فالعقل والمنطق يدعوان إلى السؤال عن حال يوسف وإخوته، وعن الأمور الغيبية التي حلت بهم، لا عن الحكمة من غيابهم أو الحكمة مما سوف يحل بهم، والله اعلم.

---

(1) البقاعي ،نظم الدرر، مصدر سابق،ج١٠، ص٢١٩.

فجاء الاقتران ليبين لهذه الأمة كيف نرضى بقضاء الله تعالى، ونسلم لحكمه وأمره تعالى، لأنّ الأمور تجري وفق أمره، فهو وحده مجري الأسباب ومسببها، ثمّ من واجب المسلم أن يكون مطمئناً لقضاء الله تعالى في السراء والضراء.

ثانياً: وأمّا الآيات المدنية

وأمّا الآيات المدنية التي وردت فيها هذا الاقتران، فالآية الأولى في سورة البقرة في قصة آدم –عليه السلام – بالتحديد، وأمّا الآية الثانية ففي سورة التحريم.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣٢

بينت الآية الكريمة من خلال السياق القرآني في سورة البقرة من قصة آدم –عليه السلام – وكيف خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعن عمارة الأرض، واستخلافه فيها، وتسخير ما في السماوات والأرض له، وكيف أخفى الله تعالى عن ملائكته –عليهم السلام – الحكمة من خلق آدم –عليه السلام – مع أنّ الملائكة في الأصل لم تكن تعترض على أمر الله تعالى من خلق آدم، ولكن كانت تسأل بدليل أنّها أثبتت لله تعالى كمال العلم والحكمة ونفته عن غيره، وذلك من خلال صيغة القصر في قوله تعالى: (إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ).

جاء سياق الآيات يتحدث عن علم الله تعالى، وأنّ وراء هذا العلم حكمة باطنة لا تعلمها الملائكة، يقول السمين الحلبي عن سبب تقدم اسم الله العليم على اسمه الحكيم : "وقَدَّم العليم على الحكيم لأنه هو المتصل به في قولِه: علّم آدم وقولِه: لا عِلْمَ لنا ، فناسب اتّصاله به، ولأنَّ الحكمة ناشئةٌ عن العلم وأثرٌ له، وكثيراً ما تُقدّم صفة العلم عليها."(١)

---

(1) أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت أحمد محمد الخراط،د.ط، دار القلم، دمشق، د.ت،ج١، ص٢٦٧.

وقد جاء الاقتران مسبوقاً بأداة توكيد وضمير فصل ليفيد القصر العلم والحكمة له تعالى، يقول ابن عاشور في قوله : "إنك أنت العليم الحكيم ضمير فصل، وتوسيطه من صيغ القصر فالمعنى قصر العلم والحكمة على الله قصر قلب ، لردهم اعتقادهم أنفسهم أنهم على جانب من علم وحكمة حين راجعوا بقولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها أو تنزيلهم منزلة من يعتقد ذلك على الاحتمالين ، أو هو قصر حقيقي ادعائي مراد منه قصر كمال العلم والحكمة عليه تعالى."(١)

تحدثت الآية الكريمة عن أمور غيبية تتعلق بعلمه تعالى الذي لا يعلمه غيره، فلما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها، أبرز الحق سبحانه الغاية والحكمة من خلق آدم –عليه السلام – فطلب سبحانه من الملائكة أن ينبئوه بأسماء هؤلاء إن كانوا صادقين، فلما تبيّن كمال عجزهم عن ذلك نفوا عن أنفسهم صفة العلم، وأثبتوها لله وحده، فلسان حالهم يقول: أنّ علمك مطلق بالنسبة إلى علمنا، وحكمتك مطلقة لا ندركها، فناسب المقام المقال، فالمقام والسياق يتحدث عن العلم أولاً ، لا عن الحكمة من خلق آدم– عليه السلام – فجاء الخطاب على لسان الملائكة – عليهم السلام –لتعلم هذه الأمة كيف تصف الله تعالى بما يليق به سبحانه، وبما هو أهله، وأنّ نفوض الأمر صغيره وكبيره إليه، ونسلّم وننقاد لحكمه وأمره .

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ (التحريم: ٢)

ذكرت الآية القرآنية حكماً شرعياً– وهو كفارة اليمين–، فكان السياق القرآني في هذه الآية مختلفاً عن باقِ الاقترانات السابقة، من حيث أنه حمل حكماً شرعياً من جانب، ومن جانب آخر أنّ الخطاب جاء من الله تعالى إلى عباده، وأمّا ما تحدثت عنه سياق الآية فبالإضافة إلى ما سبق، فهي حادثة حدثت مع النبي –صلى الله عليه وسلم – في بيته ومع بعض أزواجه، ولها سبب نزول، وهي اقرب إلى القصة منها إلى غيرها، يقول الطبري: " كان الذي حرّمه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على نفسه شيئًا كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك جاريته ، وجائز أن يكون

---

(1)ابن عاشور،التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج١، ص٤١٦.

شرابًا من الأشربة ، وجائز أن يكون غير ذلك ، غير أنه أيّ ذلك كان ، فإنه كان تحريم شيئ كان له حلالا فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله ، وبين له تحلّة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه."(١)

إنّ الأحكام لا تأتي إلاّ من عليم حكيم، مطّلع على السرائر عالم بالضمائر، فهو الذي خلق الخلق ويعلم ما يُصلح لهم دينهم ودنياهم وآخرتهم،" وهو العليم الحكيم" يقول ابن عاشور: "أي: العليم بما يصلحكم فيحملكم على الصواب والرشد والسداد، وهو الحكيم فيما يشرعه، أي: يجري أحكامه على الحكمة. وهي إعطاء الأفعال ما تقتضيه حقائقها دون الأوهام والتخيلات."(٢)

من الملاحظ في آيات هذا الاقتران أنّ جميع الاقترانات جاءت بصيغة التعريف، وتقدم الضمير للقصر؛ وذلك لأنّ آيات هذا الاقتران جاءت ممن يقرون لله تعالى بالوحدانية، ويعترفون له بكمال علمه وحكمته، وجاء بالقصر لنفي هذه الصفات عن غيره، فجاء الاقتران ليبين لنا كيف نعظم الله تعالى وكيف نصفه بما يليق به سبحانه.

بعد الوقوف على هذا الاقتران نلمح أن جانب العلم برز على جانب الحكمة، فالملائكة تقر لله تعالى بعلمه وحكمته، ولكن لمّا شاهدت الملائكة آدم –عليه السلام – وكيفية خلقه، لم يتبادر إليها السؤال عن الحكمة من خلقه بل كان السؤال عن الأمور الغيبية بقولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فناسب تقدم اسم الله العليم على اسم الله الحكيم، وهي أنّ خلق آدم–عليه السلام – مبنيٌ عن علمٍ أولاً وعن حكمةٍ ثانياً، وهي عمارة الأرض والاستخلاف فيها، وأمّا الآية الثانية في هذا الاقتران، فقد بينت الآية أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قد أسر حديثاً لبعض أزواجه، ومن المعلوم أن السّر لا يصح أن يخرج من بين اثنين، فكيف بسر رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فالأمر أعظم، فلما حدثت زوج النبي صلى الله عليه وسلم– بسره لبعض أزواجه، كان لا بد أن يظهره الله تعالى – الذي يعلم السر وأخفى– لنبيه عليه الصلاة والسلام– ، فناسب

---

(1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، ت أحمد محمد شاكر، الأولى، مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م،ج٢٣، ص٤٨٠.

(2) ابن عاشور،التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج٢٨، ص٣٤٨.

تقدم اسم الله العليم على اسم الله الحكيم، وذلك أن السر أمر غيبي، والحديث الذي دار بين أزواج النبي لم يعلمه النبي فكان لابد أن تتدخل معية الله تعالى، وأمّا الحكمة من ذلك فهي أمرٌ شرعي وهي أنّ سر رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لا يصح أن يفصح عنه لأحد مهما كان ذلك الشخص، ولذلك عاتبهن الله تعالى، فقال : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ ﴾ (التحريم– ٤) وحذرهن من العودة لمثله.

المطلب الثاني

سياق الآيات التي اقترنت بها صيغة "عليما حكيما"

والموضوعات التي تناولها السياق

جاء هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في عشرة مواضع، تسع منها آيات مدنية والعاشرة قيل: أنّها مدنية، وقيل: غير ذلك، وهي سورة الإنسان، قال ابن عطية: قال بعض المفسرين هي مكية كلها قالها النقاش والثعلبي[١]، وعن مجاهد وقتادة أنها مدنية، وقال الحسن وعكرمة: منها آية مكية وهي قوله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا ٢٤ ﴾(الإنسان:٢٤) والباقي مدني.[٢] وقال الشوكاني قال الجمهور: هي مدنية.[٣]

([1]) أنظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن،ت ابن عاشور، الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢ م،ج١٠، ص٩٣.

([2]) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي(المتوفى:٥٤٢هـ)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،عبد السلام عبد الشافي محمد،الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢ هـ،ج٥، ص٤٠٨.

([3]) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الأولى، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب،دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٤١٤.

وعلى هذا يكون جميع آيات هذا الاقتران مدنية وليس فيه آية مكية ، فهي تخاطب مجتمعاً مسلما ، جاءت لتنظم الحياة المدنية والمجتمع المدني ، فجاء هذا الاقتران في سبع آيات من سورة النساء وهي سورة تحدثت عن تنظيم الأسرة والمجتمع بشكل عام، وعن أحكام تخص النساء بشكل خاص، وآية في سورة الأحزاب وآية في سورة الفتح والعاشرة في سورة الإنسان كما بينا سابقاً ،وقد حمل الاقتران الدلالات على النحو الآتي:

١- الجانب التشريعي.

٢- ذكر التوبة مع الحث عليها.

٣- مسائل في العقيدة والقضاء والقدر.

٤- أحكام توجيهية دعويةً.

٥- إظهار فضله ومنه على المؤمنين .

أولاً - الجانب التشريعي.

لا بد لكل شريعة من أحكام وقواعد وأصول تقوم عليها، ليكون الإنسان مطمئناً لها مقراً بها، تتمشى مع مصلحة الفرد والجماعة، فالشريعة إنما جاءت لمصلحة الأمة والمجتمع بأسره، لا لمصلحة قوم على حساب قوم، أو فئة على حساب فئة، ولقد كانت الشريعة الإسلامية كذلك بشهادة القاصي والداني، تخدم جميع أطياف المجتمع، وتتمشى مع جميع أطياف المجتمع، ذكره وأنثاه صغيره وكبيره، مسلمه ومعاهده، وقد حمل سياق الآيات مجموعةً من الأحكام جاءت على النحو الآتي:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ

فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ (النساء: ١١)

إنها مشيئة الله تعالى، مشيئة العدل الذي لا ظلم فيها، والصدق الذي لا جور معها، أورد النص القرآني بعض الأحكام شرعية الخاصة في المواريث، فقسّم سبحانه التركة وأعطى الأنصبة، ولم يجعل الأمر لأحد من بني البشرية في التقسيم، حتى يكون العطاء منه وحده، والمنع كذلك، فلا ظلم ولا جور في عطائه ومنعه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

يقول الرازي : " كانت قسمة العرب للمواريث أنهم يورثون الرجال الأقوياء، وما كانوا يورثون الصبيان والنسوان والضعفاء ، فالله تعالى أزال هذه الشبهة بأن قال : إنكم تعلمون أن عقولكم لا تحيط بمصالحكم، فربما اعتقدتم في شيء أنه صالح لكم وهو عين المضرة، وربما اعتقدتم فيه أنه عين المضرة ويكون عين المصلحة، وأما الإله الحكيم الرحيم فهو العالم بمغيبات الأمور وعواقبها، فكأنه قيل: أيها الناس اتركوا تقدير المواريث بالمقادير التي تستحسنها عقولكم، وكونوا مطيعين لأمر الله في هذه التقديرات التي قدرها لكم ... إن الله كان عليما حكيما، والمعنى أن قسمة الله لهذه المواريث أولى من القسمة التي تميل إليها طباعكم، لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات، فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد ،وأنه حكيم لا يأمر إلا بما هو الأصلح الأحسن، ومتى كان الأمر كذلك كانت قسمته لهذه المواريث أولى من قسمتكم... فإن قيل لم قال كان عليما حكيما مع أنه الآن كذلك قلنا: قال الخليل:الخبر عن الله بهذه الألفاظ كالخبر بالحال والاستقبال،لأنه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان، وقال سيبويه:القوم لما شاهدوا

علما وحكمة وفضلا وإحسانا تعجبوا، فقيل لهم: إن الله كان كذلك، ولم يزل موصوفا بهذه الصفات."[١]

جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) بعد أن أورد الحق سبحانه وتعالى أنصبة الورثة، وبين حق كل واحد منهم، فحمل الاقتران صيغة التعليل؛ لبيان أنّ هذه الأحكام الشرعية صادرة من عليم حكيم، وجاء بالفعل كان :أي كان ومازال وسيبقى عليماً حكيماً، فحكمه صالح في كل زمان ومكان، وأنّ هذه الشريعة ناسخةً لجميع الشرائع.

وقد قدم لفظ الجلالة–الله – على الفعل –كان – لتربية المهابة في النفوس ، وأنّ هذه الأنصبة حدٌ فاصل لا يصح مخالفتها أبداً، وكان الخطاب الرباني في هذا الاقتران مسبوقاً بقوله: "فريضة من الله " للتهويل وللتعظيم، وخاصة أنّ العرب كانوا يورثون الرجال الأقوياء، ويحرمون النساء والأطفال، فبيّن إنّه تعالى عالم بالمفسد من المصلح، فيحاسب المفسد على إفساده، ويكافئ المحسن على إحسانه، حكيماً، في شرعه وقسمته، وإن كنتم لا تعلمون الحكمة من هذه القسمة، فإنّ الله تعالى الموصوف بالحكمة يعلمها فلا يصدر عنه إلا كل محكم فثقوا به ، وتوكلوا عليه في أمور دينكم ودنياكم وآخرتكم ، والله أعلم.

بيّن الاقتران السابق (العليم الحكيم) حال الأنبياء والملائكة، وأنهم منقادون لأمر الله تعالى وحكمه، فلم يسألوا عن الحكمة مما جرى معهم من الأحداث وعينوه، بل سلموا الأمر لله تعالى، وانقادوا لحكمه وأمره بقولهم : "إنّه هو العليم الحكيم "و "إنك أنت العليم الحكيم "، فواجبكم أيها المؤمنون أن تسلموا وتنقادوا لحكمه تعالى وأمره مثلما انقاد الأنبياء والملائكة قبلكم، وأن لا تسألوا عن الحكمة من هذه الأحكام، كما لم يسألوا هم عنها، وأن تطمئن نفوسكم لحكمه وأمره لأنّ فيها سعادتكم في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق،ج٦، ص ٥١٩ –٥٢٠.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (النساء: ٢٤)

الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الإنساني، وهي الأساس المتين الذي يقوم عليه ذلك المجتمع، ولذا فقد اهتم الإسلام بها ووضع لها قواعدها وأحكامها الخاصة بها، وسورة النساء هي السورة التي جاءت بأحكام شرعية لتنظيم هذه الأسرة المسلمة في جميع شؤون حياتها اليومية، فجاءت هذه الآية تحمل بعضاً من الأحكام الشرعيةً التي تهم المجتمع المسلم بأسره، فبيّنت المحرمات من النساء، ومن يصح نكاحها، ووجوب دفع المهر ، والتراضي من بعد الفريضة.

يقول الرازي : "ثم إنه تعالى لما ذكر في هذه الآية أنواعا كثيرة من التكاليف والتحريم والإحلال، بين أنه عليم بجميع المعلومات لا يخفى عليه منها خافية أصلا، وحكيم لا يشرع الأحكام إلا على وفق الحكمة، وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأحكامه والله أعلم."[١]

بعد أن بيّن الحق مجموعة من الأوامر والنواهي ختم الآية بإسقاط الجناح عند التراضي والرضا أمر غيبي لا يعلمه إلاّ الله ، يقول البقاعي : " ذكر في هذه الآيات أنواعاً من التكاليف هي في غاية الحكمة، والتعبير عنها في الذروة العليا من العظمة، وختمها بإسقاط الجناح عند الرضا وكان الرضا أمراً باطناً لا يطلع على حقيقة إلا الله تعالى، حث على الورع في شأنه بنوط الحكم بغلبة الظن فقال مرغباً في امتثال أوامره ونواهيه:"إن الله" أي: الذي له الإحاطة التامة علماً وقدرة، "كان عليماً"، أي: بمن يقدم متحرياً لرضا صاحبه أو غير متحرٍّ لذلك، "حكيماً"، أي: يضع الأشياء في أمكن مواضعها من الجزاء على الذنوب وغيره."[٢]

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١٠، ص٤٥.

(2) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٥، ص٢٣٥.

جاء السياق في هذه الآية بأحكام شرعية متعددة، فبيّن المحرمات من النساء، ومن يصح نكاحهنّ، وأنّ تخصيص بعض النساء بالتحريم دون بعض مبني على كمال علم وحكمة لا على أمر مجرد من العلم والحكمة ، ثمّ أمر بوجوب ودفع المهر للزوجة، فحمل الاقتران نفس المدلول السابق والصيغة السابقة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) ، أي أنّه كان ومازال وسيبقى عليماً حكيماً، وتقدم لفظ الجلالة في هذا الاقتران لتربية المهابة في النفوس، وذلك لأنّ العرب في الجاهلية كانوا لا يجعلون للمرأة مهراً، وأن جعلوا لها شيئاً أخذوه منها عنوة، فتقدم لفظ الجلالة للتهويل والتخويف من العودة لمثل هذا الأمر ، وحث الحق سبحانه على أنّ تأخذ مهرها كاملا وسمّاه فريضة.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ النساء: ٩٢)

لمّا كانت العلاقة بين المسلمين مبنيةً على المحبة والأخوة المتبادلة بين الجميع، وانّ المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد يعضه بعضاً، بيّنت الآية الكريمة أنّ قتل المسلم للمسلم لا يكون إلاّ خطأً من غير قصد ولا سابق إصرار، ثمّ ذكرت الآية الأحكام المتعلقة به، والعقوبة المترتبة على القاتل، سواءً أكان المقتول مسلماً أو معاهداً، ثم حثّهم على التوبة، وأمرهم بها.

يقول ابن عاشور: "هول الله تعالى أمر قتل المسلم أخاه المسلم ، وجعله في حيز ما لا يكون ، فجاء بصيغة المبالغة في النفي ، وهي صيغة الجحود ، أي ما وجد لمؤمن أن يقتل مؤمنا في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ ."[١]

والقتل الخطأ آمر غيبي لا يعلمه إلا الله ، وإن علمه بعض الناس، فإنّ أغلب الناس تجهله، فناسب هذا الاقتران مضمون الآية، يقول الرازي في تفسيرها: (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) "والمعنى أنه تعالى عليم بأنه لم يقصد ولم يتعمد، حكيم في أنه ما يؤاخذه بذلك الفعل الخطأ، فإن الحكمة تقتضي أن لا يؤاخذ الإنسان إلا بما يختار ويتعمد."[٢]

لمّا كان القتل من غير إرادة ولا سابق إصرار كما أخبر الحق سبحانه، لأنّ أصل العلاقة بين السلم وغيره مبنية على المودة والنصح في أمر كله ، والله تعالى ما جعل على هذه الأمة في الدين من حرج، بل جاء بهذه الأحكام ليبيّن لهم كمال علمه وكمال حكمته، وذلك أنّ مدلول الآية جاء بحكم تخفيفي، لأنّ الأصل في القاتل القتل، ولكن لما علم الله تعالى من العبد الخطأ وعدم الرغبة في القتل خفف عليه بهذه الكفّارات، فجاء الاقتران في هذه الآية بصيغة (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) ومن الملاحظ أنَّ لفظ الجلالة جاء متأخراً عن الفعل (كان)، وذلك أنّ القتل وقع من غير إرادة ولا تعمد فناسب تأخير لفظ الجلالة، أمّا في الاقتران السابق فإنّ المخالفة إن وقعت تكون متعمدة وعن قصد، فناسب تقدم لفظ الجلالة في الاقتران السابق للتربية والترهيب، فكان التقديم والتأخير في لفظ الجلالة أمراً يتطلبه الموضوع وتقتضيه الحكمة، والله أعلم.

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (النساء: ١٠٤)

([1]) ابن عاشور ،التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٥،ص١٥٦

([2]) الرازي،مفاتيح الغيب، مصدر سابق،ج١٠، ص١٨١.

ذكرت الآيات السابقة لهذه الآية من سورة النساء بعضاً من الأحكام التي تتعلق بالجهاد، وتحث عليه، ثمّ بيّنت أهمية الصلاة، وأنّها لا تسقط عن المسلم في أيّ حال كان، حرباً أو لسلماً، حتى يكون المسلم دائم الاتّصال بربه تعالى، ثابتاً على مبادئه وقيمه، ثمّ حثّهم وحفّزهم على الجهاد ومتابعته، وحذرهم من الوهن والضعف بسبب الألم، لأنه ليس مانعاً لهم فكيف يكون مانعاً لكم، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجونً.

يقول الرازي : لما ذكر بعض الأحكام التي يحتاج المجاهد إلى معرفتها عاد مرة أخرى إلى الحث على الجهاد فقال :"ولا تهنوا" أي: ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم أي في طلب الكفار بالقتال، ثم أورد الحجة عليهم فقال: "إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون" والمعنى أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم، فلما لم يصر خوف الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف صار مانعا لكم، ثم زاد في الحجة وبيّن أن المؤمنين أولى بالمصابرة على القتال من المشركين، لأن المؤمنين مقرون بالثواب والعقاب والحشر والنشر، والمشركين لا يقرون بذلك، فإذا كانوا مع إنكارهم يجدّون في القتال فأنتم أيها المؤمنون المقرون بالثواب والعقاب أولى بأن تكونوا مجدّين في هذا الجهاد، ثم قال: "وكان الله عليماً حكيماً" أي: لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما هو عالم بأنه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم.[١]

بعد أن بيّن الحق ما يجب على المؤمنين اتجاه المشركين من قتال، وعدم تردد بسبب ما نزل بهم من الوهن والضعف، حفزهم بما عنده من أجر وثواب لصبرهم وثباتهم، فجاء الاقتران في هذه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لأنّ الوهن والضعف قد يكون ظاهراً وقد يكون غير ظاهر، فبيّن الحق سبحانه أنّ الوهن قد نزل بالمشركين كما نزل بكم، وإن كنتم لا ترونه ولا تعلمونه، فإنّ الله تعالى المطلع على السرائر العليم بالضمائر يراه ويعلمه، فناسب تقدم اسم الله العليم، ثمّ جاء باسم الله الحكيم

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١١، ص٢١٠.

،فهو حكيم: في شرعه وأحكامه، فلم يشرع لكم الجهاد وأحكامه إلاّ لمصلحتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة، لتكونوا أعزاء في الدنيا وخلفاء الله تعالى في أرضه، مع ما يدخره لكم في الآخرة من أجر وثواب.

ثانياً – ذكر التوبة مع الحث عليها .

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (النساء: ١٧)

بعد أن بينت الآيات السابقة من سورة النساء عقوبة من يرتكب فاحشة الزنا من الرجال والنساء على السواء، جاءت الآية الكريمة تحث على التوبة وتأمر بها، فبيّنت وقت التوبة واسببها، وشروط قبولها– التوبة –، فناسب الاقتران سياق الآية لأنّ التوبة آمر غيبي لا يعلمه إلاّ الله تعالى.

ذكر الحق سبحانه أن الذنب لا يكون إلاّ بجهالة من غير إصرارٍ عليه، وأنّ الصادقين بتوبتهم، المقبلين على ربهم، هم من وفقهم الله للتوبة، ويسر لهم أسبابها، فهو سبحانه لا يعاقب أحداً إلا بذنب، يقول السعدي: "ومن عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: **(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)** أي: له العلم الكامل والحكمة التامة، ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه سيغفر له ويوفقه للتوبة."(١)

---

(1) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، ص٢٠٠.

بيّن الآية القرآنية أنّ من ارتكب ذنباً بجهالة ومن غير إصرار عليه، فإنا الله تعالى يتوب عليه، فناسب تقدم اسم الله العليم؛ لأنّ التوبة أمر باطني لا يعلم حقيقتها إلاّ الله تعالى ، فيعلم الصادق في توبته من الكاذب، المرتكب للذنب بجهالة، من المصر عليه، "حكيم" في شرعه فشرع لكم التوبة للعودة إليه والإقبال عليه، وجاء بالفعل (كان) ليُشعر المؤمنين بأنّ باب التوبة مفتوح للتائبين في كل زمان ومكان، وجاء لفظ الجلالة متأخراً عن الفعل (كان) وذلك لأنّ مدلول الآية جاء بحكم تخفيفي وهو التوبة، فناسب تأخر لفظ الجلالة للتحبب والتلطف، مع ما في الآية من حث على التوبة والإسراع إليها، وعدم الإصرار على الذنب، والله أعلم.

ثالثاً – مسائل في العقيدة والقضاء والقدر.

١- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ ﴾ (النساء: ١١١)

أوضحت الآيات السابقة أنّ من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله تعالى يجد الله غفوراً رحيماً، قال تعالى:﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ (النساء: ١١٠) فجاءت الآية لتبين أنّ طاعة الطائع ومعصية العاصي لا يعود أثرها إلاّ على صاحبها، وأنّ الإثم إنما يعود وزره على مرتكبه في الدرجة الأولى، وأنّ الكسب يقع بفعل الشخص نفسه، وليس الفعل مقدراً عليه لا يملكنه دفعه أو منعه، مع ما فيهما من الوعد والوعيد ، فجاءت الآية تحمل جانباً عقدياً بالإضافة إلى التوبة والحث عليها.

يقول الرازي : والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة، ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك، والمقصود ، كأنه تعالى يقول: الذنب الذي أتيت به ما عادت مضرته إلي فإنني منزه عن النفع والضرر.[١]

كانت حكمة الله تعالى لهذه الأمة أن جعل باب التوبة مفتوحاً لهم، وذلك ترغيب وتحفيز لهم على التوبة، يقول سراج الدين الدمشقي في تفسير قوله:(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)" وَكَانَ الله عَلِيماً بما في قلب التَّائب عند إقدامه على التَّوبة، «حكيماً» تقتضي حكمته ورحمته أن يتجاوز عن التَّائب، والمقصود منه: ترغيب العاصي في الاستغفار، وألاّ ييأس من قبول التّوبة والاستغفار."[٢]

جاء سياق الآية مشابهاً للآية السابقة من حيث التوبة، تأمر بها وتحث عليها من جانب، وتبيّن أنّ الفعل يقع بكسب العبد وليس من باب القضاء والقدر، وأنّ أثر الفعل لا يعود وباله إلاّ على مرتكبه، فواجب المسلم أن لا يصر على الذنب، وان يبادر إلى التوبة قبل فوات وقتها، فجاء الاقتران يحمل المضمون السابق نفسه ، والله أعلم.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾ (الإنسان: ٣٠)

تحدثت الآية الكريمة السابقة في هذه الدلالة عن كسب العبد للفعل، وأنّ الفعل يقع بكسب العبد وليس من باب القضاء والقدر، فجاءت الآية الكريمة تبيّن أنّ فعل العبد لا يقع إلاّ وفق مشيئة الله تعالى وإرادته، فإذا وفقت إرادة الله تعالى لإرادة العبد وقع الفعل كما أراده الله، فتكون الإرادة من الله تعالى والكسب من العبد، فواجب المؤمن أن يكون متوكلاً على الله تعالى في كل شيء، معتمداً عليه في كل صغيرة وكبيرة، فحمل السياق أسلوباً توجيهياً للمؤمنين.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١١،ص ٢١٥

(2) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، ت عادل عبد الموجود و علي معوض، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان:، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م،ج٧، ص١١.

يقول ابن عاشور: وقد علل ارتباط حصول مشيئتهم بمشيئة الله، بأن الله عليم حكيم، أي: عليم، بوسائل إيجاد مشيئتهم الخير، حكيم، بدقائق ذلك مما لا تبلغ إلى معرفة دقائقه عقول الناس، لأن هنالك تصرفات علوية لا يبلغ الناس مبلغ الاطلاع على تفصيلها ولكن حسبهم الاهتداء بآثارها وتزكية أنفسهم للصد عن الإعراض عن التدبر فيها... ولهذا أطنب في وصف هذه المشيئة بالتذييل بقوله: إن الله كان عليما حكيما فهو تذييل أو تعليل لجملة يدخل من يشاء في رحمته ، أي لأنه واجب له العلم والحكمة فهو أعلم فمن شاء أن يدخله في رحمته ومن شاء أبعده عنها.[١]

لمّا وافق أمر الله تعالى ومشيئته فعل العبد، كان من اللزوم على العبد أن ّينقاد لأمر الله تعالى ومشيئته؛ لأنّ الأفعال تجري وفق علم الله تعالى وحكمته، فالمسلم الحق هو الذي يستسلم لحكم الله تعالى وقضائه، كما كان الحال مع يعقوب ويوسف -عليهم السلام -، فلا يسأل عن الحكمة من هذا الفعل أو ذاك بل يسلم لأمر الله تعالى ويذعن، مع ما في سياق الآية من طمأنة للمؤمن، أنّه يركن إلى عليم حكيم.

ورد الاقتران في هذه الآية بصيغة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) وهي الصيغة السابقة نفسها؛ من حيث التنكير ودخول كان بعد لفظ الجلالة، فقد أوضحت الآية التي سبقت الاقتران عمن يحبون العاجلة وهي الدنيا، ويذرون ويتركون الآخرة، وهي الأصل، فجاء للترهيب والترغيب، وناسب تقدم العليم على الحكيم لأنّ مشيئة الله أمر غيبي لا يعلمها أحد من عباده، وبينت الآية التي تليها أنّه تعالى يدخل من يشاء في رحمته، والظالمين أعد لهم عذاباً أليما، فناسب مجيء اسم الله الحكيم؛ لأنّه يدخلهم في رحمته من يشاء، ويعذب من يستحق العذاب وفق حكمته وأمره، والله أعلم .

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج٢٩، ص٤١٣.

رابعاً– أحكام توجيهية

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠ ﴾ (النساء: ١٧٠)

سنة الله أن يبعث في كل أمة نذيرا ليبشر وينذر، ويبين ويعلم، آية مدنية حملت أسلوب الآيات المكية في الخطابٌ فعمّ الناس جميعا، مؤمنهم ومشركهم، فكان خطاباً توجيهياً دعوياً للدخول في السلم كافة، لئلا يكون للناس على الله حجة بأنّ الخطاب موجه لجماعةٍ دون جماعة، أو فئةٍ دون فئة، فبينت الآية الكريمة أنّ الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – للناس كافة هي الشريعة الحق، وأنّ الله غني عن إيمان المؤمن ومعصية العاصي، فحمل السياق التهديد والوعيد.

حملت لفظة الحق في هذا السياق معنى القرآن من وجه، ومعنى الدعوة إلى الله تعالى من وجه آخر، يقول الرازي: وقوله تعالى: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ هذا الحق فيه وجهان: الأول: أنه جاء بالقرآن، والقرآن معجز فيلزم أنه جاء بالحق من ربه. والثاني:أنه جاء بالدعوة إلى عبادة الله والإعراض عن غيره، والعقل يدل على أن هذا هو الحق، فيلزم أنه جاء بالحق من ربه، ثم قال تعالى: (فآمنوا خيرا لكم) يعني فآمنوا يكن ذلك الإيمان خيرا لكم مما أنتم فيه، أي أحمد عاقبة من الكفر، وإن تكفروا فإن الله غني عن إيمانكم لأنه مالك السموات والأرض وخالقهما، ومن كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء، ويحتمل أن يكون المراد: فإن لله ما في السموات والأرض، ومن كان كذلك كان قادرا على إنزال العذاب الشديد عليكم لو كفرتم، ويحتمل أن يكون المراد: أنكم إن كفرتم فله ملك السموات والأرض وله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره وحكمه ، ثمّ قال تعالى: (وكان الله عليما حكيما) أي: (عليما) لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين

والكافرين شيء، و(حكيما) لا يضيع عمل عامل منهم ولا يسوي بين المؤمن والكافر، والمسيء والمحسن."[١]

ذكّر الحق تعالى في الآية الناس جميعا، أنّ ما جاء به رسوله ونبيه –عليه السلام –هو الحق الذي لا مرية فيه ، والعدل الذي لا جور فيه، وإذا كان كذلك فلا بد أن يصدر هذا الشرع عن (عليم حكيم)، علم بالطائع من العاصي، والمؤمن من الكافر، حكيماً فيما يشرع لكم، فيناسب حالكم، فلا يكلفكم ما لا تطيقون .

جاء الاقتران في هذه الآية القرآنية بالصيغة السابقة وهي: :(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) بعد خطابٍ عام للناس، وجاء بطريقة توجيهية دعوية مع ما يحمله من التهديد والوعيد بقوله((فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ) وذلك أنّ الخطاب موجه للمشركين، وهذا الاقتران فيه تحبب وتلطف وذلك بتأخر لفظ الجلالة، فكيف يستقيم المعنى؟

جاء هذا الاقتران بعد قوله تعالى: (فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) فحُمل التهديد والوعيد في الجملتين (فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ)والثانية (وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) فحمل السياق ما يمكن أن يحمله لفظ الجلالة من تهديدٍ ووعيدٍ، فناسب السياق مقام الحال، وما هم عليه من شركٍ وجحودٍ، ثم أبقى لهم باباً للعودة إلى الله تعالى، فأخر لفظ الجلالة للعودة إليه تعالى، لأنّ من الناس من هو طائع، ومنهم العاصي، وهو تعالى أعلم بمن أطاعه وبمن عصاه، ثمّ ختم الآية بقوله :(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) فحمل الاقتران ما يمكن حمله من الحث والتحفيز للعودة إلى الله تعالى، والدخول في دينه، وليبيّن أنّ باب الدعوة مفتوحة في كل زمان ومكان، والله أعلم.

---

[1] الرازي،مفاتيح الغيب،مصدر سابق،ج١١، ص٢٧٠.

٢ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ ﴾ (الأحزاب: ١)

أمر الحق سبحانه نبيه بتقواه وامتثال أمره، ثمّ نهاه عن طاعة المشركين والمنافقين، وذكّره بعلمه وحكمته من ذلك، فإذا كان النبي–عليه الصلاة والسلام– مأموراً بعدم طاعة المشركين والمنافقين، فإنّ أمته مأمورة بهذا الحكم من باب أولى، فحمل السياق حكماً توجيهياً تربوياً للنبي – صلى الله عليه وسلم –ولأمته من بعده.

يقول الزمخشري : جعل نداءه بالنبي والرسول كرامة له وتشريفا بمحله، وتنويها بفضله ، (اتق الله): واظب على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه، وازدد منه، (وَلا تُطع الكافرين والمنافقين)، لا تساعدهم على شيء، ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم، فإنهم أعداء الله وللمؤمنين، (إن الله كان عليما) بالصواب من الخطأ، والمصلحة من المفسدة (حكيما) لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا لحكمةٍ.[١]

التقوى هي مفتاح السعادة للدنيا، وطريق العبور إلى الآخرة، ولذا أمر الحق سبحانه نبيه– عليه الصلاة والسلام – بها، وحثه بالاستقامة عليها، يقول ابن القيم : "انظر كيف أمره بتقواه المتضمنة لإفراده بامتثال أمره ونهيه محبة له وخشية ورجاء، فإن التقوى لا تتم إلا بذلك، واتباع ما أوحي إليه المتضمن لتركه ما سوى ذلك، واتباع المنزل خاصة وبالتوكل عليه، وهو يتضمن اعتماد القلب عليه، وحده وثقته به، وسكونه إليه دون غيره."[٢]

من المعلوم أنّ النفاق من الأمورٌ الغيبية التي لا يعلم حقيقته إلاّ الله تعالى، ولذا أمر الحق سبحانه نبيه وهو الموحى إليه، والمؤيد بالوحي بعدم طاعة المشركين، فأنتم أيها المؤمنون أولى

([1]) انظر: الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،١٤٠٧هـ، ج٣، ص٥١٩.

([2]) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٨٨.

بهذا الأمر منه؛ لأنكم لا تعلمون عن مكرهم وخديعتهم شيئاً، فهو سبحانه أعلم بهم منكم، وهو أعلم بمن أطاعه، وبمن عصاه، "الحكيم" فيما شرع لكم من الأوامر والنواهي بعدم طاعة المشركين، فإنّ طاعتهم تجر الويلات والحسرات على المؤمنين، فكان أمره عن حكمة أرادها بكم.

جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) وقلنا إنّ في تقدم لفظ الجلالة تربية للمهابة مع أنّ الخطاب للنبي ولأمته من بعده ، في حين كان الخطاب السابق للناس جميعا مسلمهم ومشركهم ، بالصيغة تأخر لفظ الجلالة فما السر في ذلك؟

من خلال النظرة الأولى يبرز لنا الجانب الدعوي، فهذا الاقتران جاء للمجتمع المسلم ، فليس من المعقول ولا من المقبول من مسلم أياً كان، أن يطيع مشركاً،قَالَ تَعَـالَىٰ:﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإنسان: ٢٤) ولا أن يتخذه ولياً من دون الله تعالى، ومن يفعل ذلك فإنه يستحق الجزاء في الدنيا والآخرة، ولذلك ناسب تقدم لفظ الجلالة وللتهويل والتخويف بإنزال العقوبة على مستحقيها لفعلهم الشنيع، ولأنّ هذا الأمر من الله تعالى فيجب طاعته في كل ما يأمر به، وأما تأخر لفظ الجلالة في الاقتران السابق فهو للترغيب في الدعوة إلى الله تعالى وللتحبب إليه والإقبال عليه تعالى، والله أعلم.

وقد جاء هذا الاقتران بنفس الصيغة والدلالة السابقة، في آية المواريث، وآية الزواج ، فظلم الورثة، وهضم حقوقهم، وسلب المرأة حقها ومهرها، لا يكون إلاّ عن عمد وإصرار وتدبير، ثمّ نلمح في هذه الصيغة أنّ هذا الفعل متجدد فهو قديم حديث، فظلم الورثة وأكل حقوقهم وسلب المرأة مهرها كان في الماضي ومازال أثره في هذا العصر، وهو الحال نفسه مع من أطاع المشركين وتبع أمرهم، فلا يكون إلا عن عمد وإصرار من جانب، وهو فعل متجدد قديم حديث والتاريخ يشهد بذلك من جانب آخر، فناسب حمل التهديد والوعيد على هذه الأفعال.

خامساً – إظهار فضله ومنّه على المؤمنين.

١- قال تعالى : (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾) (الفتح: ٤)

تحدثت الآية عن نعمة الله على المؤمنين؛ بإنزال السكينة عليهم، وتثبيتهم بها، وهي أمرٌ معنوي محسوس وغير ملموس، والسكينة أمر ضروري للنفس الإنسانية، إذ بالسكينة تسكن النفس عن الريب والشك، وتخضع الجوارح وتخشع، وتنقاد للأحكام الإلهية، وللأوامر الربانية.

يقول ابن القيم:"والسكينة: سكينة الإيمان، وهي سكينة تسكن القلوب عن الريب والشك، ولهذا أنزلها الله على المؤمنين في أصعب المواطن أحوج ما كانوا إليها، فذكر نعمته عليهم بالجنود الخارجة عنهم، والجنود الداخلة فيهم، وهي السكينة عند القلق والاضطراب ... وتحتمل الآية وجها آخر، وهو أنه – سبحانه – علم ما في قلوبهم من الإيمان والخير ومحبته ومحبة رسوله فثبتها بالسكينة وقت قلقها واضطرابها، والظاهر أن الآية تعم الأمرين، ... وثمرة هذه السكينة الطمأنينة للخير تصديقا وإيقانا وللأمر تسليما وإذعانا، فلا تدع شبهة تعارض الخير ولا إرادة تعارض الأمر، فلا تمر معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة من مرور الوساوس الشيطانية التي يبتلى بها العبد ليقوى إيمانه، ويعلو عند الله ميزانه."(١)

بعد أن بيّن سبحانه إنزاله السكينة على المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، والإيمان أمر غيبي مكانه القلب، ذكّرهم أنّ له جنود السماوات والأرض، وأنّ حكمه وأمره نفذ فيهما ، يقول الرازي في قوله تعالى : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا) " لما ذكر أمر القلوب بقوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب

---

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،إعلام الموقعين عن رب العالمين،ت محمد عبد السلام إبراهيم، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١١هـ – ١٩٩١م، ج٤، ص١٥٤.

المؤمنين ، والإيمان من عمل القلوب ذكر العلم إشارة إلى أنه يعلم السر وأخفى، وقوله حكيما بعد قوله عليما إشارة إلى أنه يفعل على وفق العلم فإن الحكيم من يعمل شيئا متقنا ويعلمه، فإن من يقع منه صنع عجيب اتفاقا لا يقال له حكيم ومن يعلم ويعمل على خلاف العلم لا يقال له حكيم."[١]

بيّنت الآية الكريمة فضله تعالى على عباده، ويذكّرهم منّه وكرمه عليهم، بإنزال السكينة في قلوبهم: في أحوج الأوقات، وأدق اللحظات، لتطمئن نفوسهم لأوامره ، وينقادوا ويذعنوا لحكمه، إذ بالسكينة تسكن النفوس، وتطمئن القلوب، وتخضع الجوارح، وتنقاد لأوامر الله تعالى ونواهيه، فيكون الاقتران منسجماً مع دلالة الآية القرآنية، لما فيه من تأخر لفظ الجلالة، وتقدم الفعل والتنكير، وأما تقدم اسم الله العليم : فقد جاء مناسباً لأنّ إنزال السكينة أمر غيبي غير مشاهد دلّ عليه الحق سبحانه وإلاّ فمن أين أن نعلم ذلك، وحكيم في إنزالها في الوقت المناسب، والمكان المناسب، والله تعالى أعلم .

([1]) فخر الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٨، ص٦٨.

المطلب الثالث

سياق الآيات التي اقترنت بها صيغة "عليم حكيم"

والموضوعات التي تناولها السياق

لمّا كانت أسماؤه سبحانه هي أكمل الأسماء، فلا يقوم غيرها من الأسماء مقامها، وصفاته هي أكمل الصفات، فلا يؤدي غيرها من الصفات معناها، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، ولذا وردت هذه الأسماء والصفات بصيغ متعددة، وجاءت مع سياقات متنوعة، ورد الاقتران "عليم حكيم" في كتاب الله تعالى في خمسة عشر موضعاً، ثلاثة عشر منها مدنياً ، وآيتان مكيّتان، حيث ورد هذا الاقتران منكراً ليفيد أغراض التنكير، وقد جاءت آيات هذا الاقتران على النحو الآتي .

أ – الآيات المكية

ورد هذا الاقتران(عليم حكيم) في الآيات المكية في موضعين، واحد في سورة يوسف، والثاني في سورة الحج، وقد جاء السياق يحمل دلالةً واحدة، وهي إظهار فضله تعالى ومنّه على أنبيائه وأوليائه، وهما على النحو الآتي :

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ (يوسف: ٦)

لا يكون الاجتباء إلاّ لمن طابت نفسه، وعليت همته، وصدقت سيرته، صفت سريرته، ذكرت الآيات الكريمة ما دار بين يوسف ويعقوب- عليهما السلام – من حوار حول الرؤيا، وبيان عداوة الشيطان للإنسان، جاء الخطاب الرباني في هذه الآية على لسان يعقوب-عليه السلام- لبيان فضل الله تعالى على يوسف وآل يعقوب ومن قبلهم إبراهيم وإسحاق –عليهما السلام-.

يقول البيضاوي: (وكذلك) أيّ: وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس، يجتبيك ربك للنبوة والملك أو لأمور عظام، والاجتباء من جَبَيْتُ الشيء إذا حصلته لنفسك. ويعلمك من تأويل الأحاديث من تعبير الرؤيا، أو من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء، ويتم نعمته عليك بالنبوة، أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، (وعلى آل يعقوب يريد) به سائر بنيه، (كما أتمها على أبويك) بالرسالة من قبل، أي: من قبلك ، إبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك. إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء. حكيماً يفعل الأشياء على ما ينبغي.[١]

كان من اجتباء الله تعالى ليوسف أن علمه تأويل الأحاديث، ومن تمام النعمة عليه أن شرفه بالنبوة، كما كان الحال من قبل لأبويه، يقول ابن عاشور : وتصدير الجملة ب "إن" للاهتمام لا للتأكيد إذ لا يشك يوسف- عليه السلام- في علم الله وحكمته. والاهتمام ذريعة إلى إفادة التعليل، والتفريع في ذلك تعريض بالثناء على يوسف- عليه السلام - وتأهله لمثل تلك الفضائل.[٢]

جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) على لسان يعقوب -عليه السلام - من باب الشكر لله تعالى، وإظهاراً للنعمة على هذا الاجتباء، وقدم اسم الله العليم لأنّ السياق يتحدث عن العلم والتأويل فناسب المقام المقال، الحكيم الذي يضع الأشياء في مكانها ويختار الشخص المناسب للمكان المناسب، وجاء بلفظ الرب لإظهار المنّة والفضل، وللتحبب والتلطف، وإضافة الضمير للتشريف والتنويه بشأن يوسف -عليه السلام - والله اعلم.

([1]) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، مصدر سابق، ج٣، ص١٥٦.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير،مرجع سابق،ج١٢، ص٢١٧.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الحج: ٥٢)

هذه الآية من الفروع التي اختلف فيها علماء العقائد بين من يقول أن النبي والرسول واحد، وأن النبي غير الرسول على أقوال، وهو خارج عن الموضوع، والأمر الثاني: سبب نزول الآية- قصة الغرانيق- وما ذكره الكثير من المفسرين عن سبب نزولها [1]، وهي باطلة كما ذكره الرازي في تفسيره [2] وقد استدل على بطلانها من عدة أوجه.

---

[1] عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا بلغ: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لترجى، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك، قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام، فعرض عليه السورة؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل،الطبري،جامع البيان، مصدر سابق،ج١٨،ص٦٦٣ .الثعالبي،كشف البيان،ج٧،ص٢٩ .الوجيز للواحدي،ج١،ص٧٣٧

[2] يقول الرازي : أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول. أما القرآن فوجوه: أحدها: قوله تعالى: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين [الحاقة: ٤٤- ٤٦]، وثانيها: قوله: قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي [يونس: ١٥] وثالثها: قوله: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (النجم٣-٤)فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهره الله تعالى في الحال وذلك لا يقوله مسلم ورابعها: قوله تعالى: وإن كادوا ليفتنونك عن الذي =أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا [الإسراء: ٧٣] وكلمة كاد عند بعضهم معناه قرب أن يكون الأمر كذلك مع أنه لم يحصل وخامسها: قوله: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا [الإسراء: ٧٤] وكلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل وسادسها: قوله: كذلك لنثبت به فؤادك [الفرقان: ٣٢] . وسابعها: قوله: سنقرئك فلا تنسى [الأعلى: ٦] . وأما السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتابا. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم، وأما المعقول فمن وجوه: أحدها: أن من جوز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان وثانيها:

يقول الرازي : أن الغرض من هذه الآية بيان أن الرسل الذين أرسلهم الله تعالى وإن عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم من جواز السهو، بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر ، فالواجب أن لا يتبعوا إلا فيما يفعلونه عن علم فذلك هو المحكم... واعلم أنه سبحانه لما شرح حال هذه الوسوسة أردف ذلك بكيفية إزالتها وذلك هو قوله تعالى: فينسخ الله ما يلقي الشيطان فالمراد إزالته وإزالة تأثيره فهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام .(١)

إذا كان الله تعالى قد أحكم آياته فكيف يكون للشيطان ولأتباعه أن يغيروا أمر الله تعالى أو يبدلوه، يقول البقاعي : ولذا عبر بأداة التراخي فقال: (ثم يحكم الله) أي: الملك الذي لا كفء له، (آياته) أي: يجعلها جلية فيما أريد منها، وأدل دليل على أن هذا هو المراد مع الافتتاح بالمعجزة في الآيات، وختم بقوله عطفا على ما تقديره: فالله على ما يشاء قدير: (والله) أي: الذي له الأمر كله ،(عليم)أي: بنفي الشبه ،(حكيم) بإيراد الكلام على وجه لا تؤثر فيه عند من له أدنى بصيرة.(٢)

أنه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلا أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم وثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجدا معأنه لم يظهر عندهم موافقته لهم ورابعها قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآنا، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى وخامسها: وهو أقوى الوجوه/ أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس [المائدة: ٦٧] فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة فخر، انظر : الرازي، مفاتيح الغيب،مصدر سابق، ج٢٣، ص٢٣٧.

(1) الرازي،مفاتيح الغيب،مصدر سابق، ج٢٣، ص٢٤١.

(2) انظر : البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق،ج١٣، ص٧١-٧٢.

جاء هذا الاقتران بصيغة (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)بعدما تحدثت الآية عن كيد الشيطان ووسوسته، وهو أمر غيبي غير مشاهد، ثم بينت أن كيد الشيطان كان مع جميع الأنبياء والمرسلين، وليس فقط مع النبي –صلى الله عليه وسلم – وهذا أمرٌ غيبي لا يعلمه إلاّ الله تعالى، فناسب تقدم اسم الله العليم، ثم بينت الآية أن الله تعالى يحكم آياته من التحريف والتبديل، فجاء بالاسم الحكيم، ويكون التذييل بقوله عليم حكيم مناسب لسياق الآية، مع ما يحمله التنكير في كمال العلم والحكمة والله أعلم .

بعد الوقوف على سياق الآيات يبرز أثر نعمة الله تعالى على أنبيائه، سواءً على يوسف ويعقوب –عليهما السلام – كما بينت الآية الأولى في هذا الاقتران، أو على جميع الأنبياء، وخصوصاً رسوله – صلى الله عليه وسلم – لأن شريعته هي أخر الشرائع، بأن عصمه الله تعالى من شبهات الشياطين، وإحكامه الآيات، وإبطاله الشبهات، ثم نسخه لما يلقي الشيطان وإزالة أثره، مع ما في هذا الاقتران من تثبيتٍ لفؤاد النبي –صلى الله عليه وسلم–، وطمأنة له ولأمته من بعده على أن هذه الشريعة محفوظة من التحريف والتبديل بحفظ الله تعالى لها.

ب- الآيات المدنية.

وأمّا الآيات المدنية في هذا الاقتران فهي ثلاث عشرة آية، جاء منها ست آيات في سورة التوبة، وهي–كما نعلم – سورة تتحدث عن المنافقين، فكان مضمون السورة يتحدث عن أمر النفاق وخباياه إذ هو أمر غيبي غير مشاهد وإن ظهرت بعض صفات المنافقين وآياتهم، وثلاث آيات في سورة النور وهي سورة نزلت في براءة عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها –بعد ما قال المنافقون ما قالوه من الإفك عنها، وباقي الاقترانات جاءت متفرقاً في كتاب الله تعالى، حيث حملت الاقترانات صيغة واحدة وهي(وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) باستثناء آية واحدة تقدم فيها حرف التوكيد إنّ على صيغة الاقتران، وقد جاءت آيات هذا الاقتران تحمل الدلالات على النحو الآتي:

١- إبراز الجانب التشريعي .

٢- ذكر التوبة والحث عليها.

٣-ذكر المنافقين وأوصافهم.

أولاً- الجانب التشريعي

التشريع الإسلامي جاء للمؤمنين ليهذب أخلاقهم، ويقوم أفكارهم، ويصقلهم شخصيتهم، فحمل سياق آيات هذا الاقتران مجموعة من الأحكام المتنوعة من زكاة وجهاد ونكاح بالإضافة إلى أحكام تربوية عامة وخاصة، وقد جاءت على ضربين:

أ- أحكاماً شرعية من عبادات وأحوال شخصية وغيرها.

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ (التوبة: ٢٨)

ذكر النص الكريم أحكاماً تتعلق بالمشركين، فبيّن نجاستهم، وحرمة دخولهم المسجد الحرام، فلا يحل لهم أن يدخلوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وقد اختلف المفسرون في المعنى المقصود من النجاسة هل هي مادية أو معنوية[١]، ثمّ طمأن المؤمنين على أرزاقهم، وأنّ الرزق بيد الله تعالى وحده.

قال الطبري : واختلف أهل التأويل في معنى "النجس"، وما السبب الذي من أجله سمَّاهم بذلك.فقال قتادة سماهم بذلك، لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، فقال : هم نجس ، ولا يقربوا المسجد الحرام لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد ... (بعد عامهم هذا) ، فإنه يعني: بعد العام الذي

([1]) يقول الرازي في تفسيره،ج١٦، ص ٢١: وأما جمهور الفقهاء فإنهم حكموا بكون الكافر طاهرا في جسمه، ثم اختلفوا في تأويل هذه الآية على وجوه: الأول: قال ابن عباس وقتادة: معناه أنهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يتوضئون من الحدث. الثاني: المراد أنهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب النفرة عنه، الثالث: أن كفرهم الذي هو صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشيء.

نادَى فيه علي رحمة الله عليه ببراءة، وذلك عام حجَّ بالناس أبو بكر، وهي سنة تسع من الهجرة (وإن خفتم عيلة)، يقول للمؤمنين: وإن خفتم فاقَةً وفقرًا، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ).يقال منه: عال يَعِيلُ عَيْلَةً... وإنما قيل ذلك لهم، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم، انقطاع تجارتهم، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك. وأمَّنهم الله من العيلة ، وعوَّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ، ما هو خير لهم منه ...(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، فإن معناه: (إن الله عليم)، بما حدثتكم به أنفسكم، أيها المؤمنون، من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام، وغير ذلك من مصالح عباده (حكيم) ، في تدبيره إياهم، وتدبير جميع خلقه .[١]

جاء هذا الاقتران في هذه الآية بصيغة (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) بعد ذكر عدة أحكام وهي نجاسة المشركين، وحرمة دخولهم المسجد الحرام، وأنّ الغنى من الله تعالى، فكانت صيغة الاقتران منسجمةً مع دلالة الآية، فحال المؤمنين أنّ تجارتهم سوف تتضرر بانقطاع المشركين عن المسجد الحرام، فناسب التوكيد – ب سوف وأداة التوكيد إنّ– مقام الحال والمقال، فعوض الله تعالى المؤمنين بالمؤمنين، يأتون من كل أقطار الأرض ليقيموا هذه الشعيرة كما أرادها الله تعالى لا كما وضعوها سادة الكفر وزعماء النفاق، فحمل السياق طمأنةً للمؤمنين؛ بأنّ الغنى من عنده تعالى فلا تخشوا فقراً.

وفي ورود لفظ الجلالة مرتين للعظمة وللتأكيد على أهمية هذه الأحكام، فكأنه سبحانه يقول: لا تخشوا الفقر بانقطاع المشركين عن المسجد الحرام فأنا أعلم بمصالحكم من أنفسكم، فلا أشرع لكم إلاّ ما يصلح لكم دينكم ودنياكم وآخرتكم، حكيم أضع الأحكام المناسبة، في الوقت المناسب، والمكان المناسب، والله اعلم.

([1])الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج١٤، ص١٩٠ -١٩٨.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ (التوبة: ٦٠)

بعد أن تحدث السياق القرآني فبيّن حال المنافقين الذين يلمزون رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في الصدقات، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا سخطوا واستكبروا عن حكم الله تعالى وأمره، فجاءت الآية الكريمة بحكمٍ شرعي، فتبيّن مصارف الزكاة ومستحقيها .

يقول الزمخشري :" إنما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا يتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم ... فإن قلت: فكيف وقعت هذه الآية في تضاعف ذكر المنافقين ومكايدهم؟ قلت: دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم، حسما لأطماعهم وإشعارا لحرمانهم، وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها." (١)

حصر سبحانه الصدقات في الأصناف الثمانية لا يتعداهم إلى غيرهم، وذلك لحكمة أراده، فجاء ختم الآية بقوله (والله عليم حكيم) "وهو تذييل ما أفاده الحصر الصدقات أي: والله عليم حكيم في قصر على هؤلاء، أي: أنه صادر عن العليم الذي يعلم ما يناسب في الأحكام، والحكيم الذي أحكم الأشياء التي خلقها أو شرعها."(٢)

جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة(وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ) بعد أنّ ذكر الحق سبحانه مصارف الزكاة وبين مستحقيها، وأنّه خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم، فجاء الاقتران بهذه الصيغة ليناسب سياق الآية ودلالاتها، فهذه التقسيم للمصارف صادر عن علم من المشرع بمن يستحق ومن لا يستحق ، وليس من باب الأهواء والأطماع كما هو الحال عند البشر وضعفاء النفوس، وحكيم فهو يضع الأمور في نصابها، ويعطي الزكاة لمستحقيها، وقد ورد لفظ الجلالة مرتين متتاليتين بقوله

(1) الزمخشري، الكشاف،مصدر سابق،ج٢، ص٢٨٢ –٢٨٤.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٤٠.

(فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) للتعظيم في حكمه وأمره، وللتهويل وللترهيب من مخالفة أمره تعالى، وأنّ مصارف الزكاة في هؤلاء لا تتعداهم إلى غيرهم، فبيّن السياق أنّ هذا الحكم جاء فرضاً منه تعالى، لأنه الموصوف بالعلم والحكمة، والله تعالى أعلم.

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾
(الممتحنة : ١٠)

هجرة ديار الشرك والكفر هي سنة الأنبياء والمرسلين، وطريق الأولياء والمتقين، في الآية خطاب للمؤمنين خاصة في أمر المهاجرات، ووجوب التثبت من إيمانهن، وصدق يقينهن، فإذا ثبت ذلك فإنّه يحرم إرجاعهنّ إلى الكفار، وردهنّ إلى الفجار، فلا هن حل لهم، ولا هم يحلون لهنّ، ثم أمر المؤمنين برد المهور إلى المشركين، وإباحة زواجهنّ من المؤمنين بعد انقضاء العدة.

يقول ابن القيم : "فهذا حكم الله الذي لا يحل لأحد أن يخرج عنه، وقد حرم فيه رجوع المؤمنة إلى الكافر، وصرح سبحانه بإباحة نكاحها، ولو كانت في عصمة الزوج حتى يسلم في العدة، أو بعدها لم يجز نكاحها، لاسيما والمهاجرة تستبرأ بحيضة، وهذا صريح في انقطاع العصمة بالهجرة،وقوله:ولا تمسكوا بعصم الكوافر،صريح في أن المسلم مأمور ألا يمسك عصمة امرأته إذا لم تسلم، فصح أن ساعة وقوع الإسلام منه تنقطع عصمة الكافرة منه.وقوله تعالى: (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن)، صريح في تحريم أحدهما على الآخر في كل وقت."[١]

([1]) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) أحكام أهل الذمة، يوسف بن أحمد البكري، الأولى، رمادي للنشر – الدمام، ١٤١٨- ١٩٩٧،ج٢، ص٦٨٦.

بلغ من عدل الإسلام أن يرد مهر المؤمنات المهاجرات إلى المشركين، وهذا الحكم لا يصدر إلاّ من حكمٍ عدل، ومن اصدق من الله قيلا فكلامه صدق، وحكمه عدل ، يقول البقاعي : كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحديبية يمسك النساء ولا يرد الصداق، حتى نزلت هذه الآية فأصبح يرده، قال تعالى : "والله" أي: الذي له الإحاطة التامة "عليم" أي: بالغ العلم لا يخفى عليه شيء "حكيم " فهو لتمام علمه يحكم كل أموره غاية الإحكام فلا يستطيع أحد نقض شيء منها.[١]

جاء الآية الكريمة بعد صلح الحديبية، تبيّن حال النساء في الهجرة واختلافه عن حال الرجال، حيث كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يرد الرجال الذين يأتونه مسلمين من قريش، وأما النساء فالأمر على خلاف ذلك، فلا يصح بحال ردهنّ إلى المشركين، فأمر نبيه بامتحانهنّ في الإيمان، ثمّ بيّن حكم المهر ووجوب رده إلى المشركين، لأنّ حكم الله تعالى عدل لا جور فيه، وأنّ العدل أصل من أصول هذا الدين القويم، ولذا أمر الله تعالى برد مهور المؤمنات المهاجرات، ثمّ بيّن الحق سبحانه حرمة نكاح المشركات، لأنّ رابطة الإيمان فوق كل رابطة، وأنّ العلاقة الزوجية مبنية على الإيمان قبل كل شيء.

لمّا كان الإيمان أمراً غيبياً لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وليس للنبي–صلى الله عليه وسلم– ولا لأصحابه إلاّ الظاهر، والله تعالى يتولى السرائر، أمر نبيه بأن يمتحنهنّ، فجاءت صيغة الاقتران مناسبة لسياق الآية، فهو تعالى أعلم بالصادق من الكاذب في إيمانه وهجرته، الحكيم في شرعه فلا يشرع إلاّ ما فيه مصلحة للمؤمنين والمؤمنات، فيعطي كل ذي حقٍ حقه.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج١٩، ص٥١٩–٥٢٠.

ب- أحكام تشريعية تربوية.

إنّ المتأمل في كتاب الله تعالى يجد فيه كل ما يحتاجه من أمور دينه ودنياه وآخرته، فلا غنى للإنسان عن الدنيا، إذ هي مطيته للآخرة وزاده إليها، ولكن واجب المسلم أن يعيشها كما أراد الله تعالى لا كما تشتهي نفسه ورغبته، ولذا نجد في كتاب الله تعالى الكثير من الآيات التي تحمل أحكاماً شرعية تربوية توجه هذا المسلم وتصحح مسيرته؛ في كيفية تعامله مع الآخرين في حياته اليومية، سواءً على مستوى الفرد أو الجماعة والعائلة، فحمل سياق آيات الاقتران هذه الدلالة، حيث جاءت الآيات على النحو الأتي:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (النور: ١٨)

الإشاعة هي التي تحطم المجتمع وتكسر بنيانه، وتفرق وحدة الصف وتشتت أركانه، تحدثت الآيات الكريمة في سورة النور عن حادثة الإفك وما أشيع عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- من أقاويل، فجاء الخطاب الرباني بصيغة الأمر والزجر والتخويف للمنافقين، والتربية والتعليم للمؤمنين، في كيفية التعامل مع الإشاعة بالرد وعدم القبول بها، ومن ثمّ أن لا يعودوا لمثل هذا القول أبداً، فحمل الخطاب أسلوباً توجيهيا تربويا للمؤمنين.

يقول الطبري: "يذكِّرُكم الله وينهاكم بآي كتابه، لئلا تعودوا فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقِّيكم الإفك الذي روي عليها بألسنتكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله، وتأتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه."(١) لمّا كان بيان الآيات لا يقوم إلاّ على ركنين أساسيين العلم والحكمة، ختم الحق تعالى بهما هذه الآية الكريمة، يقول الرازي في تفسير صيغة الاقتران: "بين الحق سبحانه من لكونه عليما حكيما يؤثر بما يجب أن يبينه، ويجب أن يطاع لأجل ذلك، لأن من لا يكون عالما لا يجب قبول

---

(1) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج١٩، ص١٣٣.

تكليفه، لأنه قد يأمر بما لا ينبغي، ولأن المكلف إذا أطاعه فقد لا يعلم أنه أطاعه، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة، وأما من كان عالما لكنه لا يكون حكيما فقد يأمره بما لا ينبغي فإذا أطاعه المكلف فقد يعذب المطيع وقد يثيب العاصي، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة، وأما إذا كان عليما حكيما فإنه لا يأمر إلا بما ينبغي ولا يهمل جزاء المستحقين، فلهذا ذكر هاتين الصفتين وخصهما بالذكر."[١]

حملت الآية القرآنية والتي قبلها من سورة النور الزجر والتهديد من العودة هذا القول الذي قيل في حق أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– بقوله :إن كنتم مؤمنين أي: أنّ من قال عن عائشة شيئاً فقد نفى عن نفسه صفة الإيمان، ثم قال ويبين الله الآيات بياناً كاملاً شافياً، فجاء الاقتران بصيغ (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) للتهديد والزجر من العودة لمثل هذا القول، عليم بمن قال ومن لم يقل، مع العلم أنّ الذين جاءوا بالإفك هم المنافقون، والنفاق أمر غيبي فناسب اسم الله العليم، حكيمٌ :أي في إنزال أحكامه وحدوده، فينزل عقابه وحكمه على من خاض في عرض أمّ المؤمنين – مع أن بعض الذين خاضوا من المؤمنين الذين شهدوا بدراً نحو مصطح رضي الله عنه – أو عاد لمثل هذا القول، وجاء لفظ الجلالة للتعظيم والتخويف من العودة لمثل ذلك، والله اعلم.

٢- قَالَ تَعَالَى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوۡرَٰتٍ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ (النور: ٥٨)

نبتت شجرة الأخلاق وأينعت ثمّ استوت على سوقها وأزهرت، فعمّ خيرها الزمان والمكان، ووسع صداها الأفاق والآكام، بعد أن بينت الآيات السابقة أدب دخول البيوت بصيغة العموم لقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

([1]) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٣، ص٣٤٤.

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(النور: ٢٧) جاء الخطاب الرباني في هذه الآية بصيغة الخصوص للمؤمنين بأدب الاستئذان على أهل البيت، فعيّن الأشخاص من العبيد والإماء الذين يكثر دخولهم وخروجهم، وحدد الأوقات النهي التي يجب الاهتمام بها أكثر فبيّنها ونبّه لها، وهي قبل الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد صلاة العشاء.

يقول الزمخشري : "أمر بأن يستأذن العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة: قبل صلاة الفجر، لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ، وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة، وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم. وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة، لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها."(١)

ذكر النص الكريم أحكاماً تربويةً توجيهيةً تهم المسلم في حياته اليومية والأسرية، فبيّن حكم الاستئذان، وأوقات النهي، والأشخاص الذين يجب عليهم الاستئذان، ومن المعلوم أنّ لكل شخص أعماله الخاصة به، وربما لا يود إطّلاع الناس عليها، أو يكون في حالة يكره أن يراه عليها غيره، وهذه أمور غيبية لا يعلمها الزائر ولا حتى أهل البيت، ثمّ خصص تعالى الأوقات التي يكره فيها الدخول من غير الاستئذان؛ لأنّ الحرج يقع في هذه الأوقات أكثر من غيرها، فجاء تقدم اسم الله العليم، موافقاً لمقام حالهم وما هم عليه من حالة لا يودون أن يراهم عليها غيرهم، حتى أقرب الناس منهم، وموافقاً لما يدور في خلجات أنفسهم من خجل وتردد من إظهاره ذلك أمام الناس، وخاصةً الأقرب فالأقرب، ثمّ جاء بالاسم الحكيم؛ لأنّه الحكيم المطلق في شرعه وأحكامه هو يضع الحكم المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب، فشرع لكم الاستئذان حتى لا يقع عليكم الحرج والضيق والمشقة.

---

(1) الزمخشري، الكشاف،مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٣.

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ (النور: ٥٩)

بعد ما أوضحت الآيات السابقة حكم الاستئذان وما ترتب عليه من تبعات وأوامر، جاء سياق الآية ليبيّن حكم أطفال أهل البيت الذين يبلغون الحلم، بوجوب الاستئذان عليهم كما أستأذن الذين من قبلهم.

يقول الطبري : قول تعالى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ومن أحراركم الاحتلام، فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن، لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها، كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار، (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول: والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء، حكيم في تدبيره خلقه.(١)

جاء سياق الآية مشابهاً للآية السابقة من حيث الدلالة والمعنى لأنها تحمل الحكم نفسه تقريباً، يقول ابن عاشور في قوله : (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) "القول فيه كالقول في نظيره المتقدم آنفا، وهو تأكيد له بالتكرير لمزيد الاهتمام والامتنان ، وإنما أضيفت الآيات هنا لضمير الجلالة تفننا ولتقوية تأكيد معنى كمال التبيين الحاصل من قوله: كذلك. وتأكيد معنى الوصفين «العليم الحكيم» أي هي آيات من لدن من هذه صفاته ومن تلك صفات بيانه."(٢)

جاء الخطاب الرباني في هذه الآية بصيغة الخصوص بعد العموم، وذلك أنّ الاستئذان ليس للأجنبي فقط، ولكن حتى لخاصة أهل البيت، فحمل الاقتران الصيغة نفسها، ليفيد التأكيد في الحكم، لأنّ من فوائد التكرار تقوية الحكم ولمزيد من الاهتمام، فكانت هذه الأحكام رحمة بالمؤمنين، لرفع الحرج والمشقة عنهم، والله أعلم.

([1]) أنظر : الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج١٩، ص٢١٥.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٨، ص٢٩٦.

٤-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾ (الحجرات : ٨)

بعد ما ساق الحق سبحانه بعض الأحكام الشرعية والتربوية للمؤمنين، كالنهي عن رفع الأصوات فوق صوت النبي –صلى الله عليه وسلم – وعدم الجهر بالقول له، وفضل غض الصوت أمام رسول الله، ثمّ بيّن ضرورة التثبت للخبر، وتجنب تلقي الخبر من أيّ فاسق، ثمّ ذكّرهم فضله على هذه الأمة بأن حبّب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فجاء الخطاب الرباني في هذه الآية لبيان فضله ونعمته على هذه الأمة.

يقول الرازي : ختم الآية بقوله :(والله عليم حكيم) فيه مناسبات عدة منها: أنه تعالى لما ذكر نبأ الفاسق، قال إن يشتبه على المؤمن كذب الفاسق فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور، فإن الله عليم، ولا تقولوا كما كان عادة المنافق لولا يعذبنا الله بما نقول، فإن الله حكيم لا يفعل إلا على وفق حكمته وثانيها: لما قال الله تعالى: واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم [الحجرات: ٧] بمعنى لا يطيعكم، بل يتبع الوحي، قال فإن الله من كونه عليما يعلمه، ومن كونه حكيما يأمره بما تقتضيه الحكمة فاتبعوه ثالثها: المناسبة التي بين قوله تعالى: عليم حكيم وبين قوله حبب إليكم الإيمان أي حبب بعلمه الإيمان لأهل الإيمان، واختار له من يشاء بحكمته رابعها : وهو الأقرب، وهو أنه سبحانه وتعالى قال: فضلا من الله ونعمة ولما كان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه، قال تعالى هو عليم بما في خزائن رحمته من الخير، وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد، قال هو حكيم ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة.[1]

جاء الخطاب الرباني في هذه الآية القرآنية بعد أن ساق الحق سبحانه عدة أمور غيبيّة، فأمر المؤمنين بإتباع الوحي حتى لا يقع العنت منهم، ثمّ ذكّرهم نعمته عليهم بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بفضله، فجاء الاقتران موافقاً منسجماً

([1]) الرازي، مفاتيح الغيب،مصدر سابق، ج٢٨، ص١٠٤.

لسياق الآيات، فقال الحق : ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أنه تعالى لم يكلفهم فوق طاقتهم بفضله ونعمته، وأنّه حبب الإيمان لأهل الإيمان بعلمه وزينه في قلوبهم، وكره لهم الكفر والفسوق والعصيان بعلمه أيضاً، والمحبة والكره من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى، فناسب تقدم اسم الله العليم ،الحكيم، حيث يضع الشيء في مكانه، فلا يضع المحبة موضع الكره، ولا الكره موضع المحبة، فما شرع لكم من أحكامٍ فوفق حكمته، لا وفق رغباتكم، ولو شرعها وفق رغباتكم لعنتم وهلكتم، والله أعلم.

وقد يطرأ سؤال في نفس القارئ وهو: لماذا جاء الاقتران في هذه الآيات بصيغة (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) في حين جاء الاقتران في آيات الاقتران السابق بصيغة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) و (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)) مع العلم أنّ كلا الاقترانين جاء بأحكامٍ شرعية؟ نقول وبالله التوفيق : أنّ الآيات في هذا الاقتران (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) جاءت بأحكام شرعية تربوية نحو الاستئذان وعدم رفع الصوت فوق صوت النبي، وأحكام شرعية تعبدية نحو مصارف الزكاة ومنع المشركين من دخول المسجد الحرام وتحريم المؤمنة على المشرك وغير ذلك من الأحكام، في حين أنّ الاقتران السابق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)و (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) كان في أحكام المواريث، وأحكام والمهور، والقتل الخطأ، وأحكام الجهاد، والتحذير من طاعة المشركين وأحكام التوبة، وغيرها من الأحكام، من النظرة الأولى يظهر تفاوتاً بين هذه الأحكام، فالأحكام التي وردت مع الاقتران الأول (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) جديدة على المجتمع المسلم ومن السهل تطبيقها والقبول بها على المسلمين، فمن السّهل منع المشركين من دخول المسجد الحرام، وخاصةً أنها أصبحت بلاداً إسلامية لها كيانها واستقلالها، ومن السّهل أيضاً رد المشركات إلى دار الشرك وإبقاء المؤمنات المهاجرات، وخاصةً لما بين المسلمين والمشركين من تناحر وعداوة، ومن السّهل على النفس أن تقبل بالتقسيم الرباني لمصارف الزكاة، ومن السّهل

كذلك تطبيق الآداب جميعا، فناسب الاقتران لمقام الحال، ولكن الأحكام في الاقتران الثاني مختلفة تماماً، لأنّها أحكام ألفوها وعرفوها في المجتمع الجاهلي والمجتمع الإسلامي أيضاً، وتغييرها أو تبديلها يحتاج لوقتٍ للقبول بها، فمن الصعب أن يقبل ولي المقتول الدية في المجتمع العربي، ومن الصعب أن يقبل الرجل توريث الأنثى، أو إعطائها المهر كاملا، ولهذا جاء الاقتران بصيغة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)أو (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) أكثر توكيد وترهيباً من الصيغة السابقة ليناسب مقام حالهم، كما يبرز من خلال صيغة الاقتران أنّ هذه الأمور قديمة حديثة عاشها المسلمون قبل الدعوة وبعد الدعوة ولا يزال آثارها إلى هذا اليوم وعلى مر العصور، وأمّا الأحكام التي جاءت مع الاقتران (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فإنها قد حسمت في وقتها مثلا أحكام المهاجرات، فلا هجرة بعد الفتح([١])، ومصارف الزكاة لا تتغير ولا تتبدل فهي محسومة فليس هناك من يثيرها أو يتكلم عنها بإلغاءٍ أو اعتراض، كذلك حرمة دخول المشركين المسجد الحرام ونجاستهم، وهو الحال نفسه مع الاستئذان، ورفع الصوت فوق صوت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، وغيرها من الأحكام والله أعلم.

([1]) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،ت محمد زهير بن ناصر الناصر،الأولى، دار طوق النجاة،د.م،١٤٢٢هـ،ج٤،ص١٥، باب من انتظر حتى تدفن، ٢٧٨٣.

ثانياً: ذكر التوبة والحث عليها

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النساء: ٢٦)

لما ذكر الحق سبحانه مجموعة من الأحكام الشرعية التي تهم المسلم في حياته الأسرية والشخصية، فبيّن الحق سبحانه المحرمات من النساء ، ثم بين أحكام النكاح وما يتعلق به من أحكام شرعية تهم المسلم، جاءت هذا الآية لتبيّن فضل الله تعالى على هذه الأمة، بأن اختار لهم أفضل الأحكام وأيسرها؛ ليرفع عنهم الضيق والحرج، وليطهرهم من الذنوب التي ارتكبتها الأمم السابقة، ثمّ حثهم على التوبة وحفزهم إليها.

قال الطبري : يعني جل ثناؤه بقوله :"يريد الله ليبين لكم"، حلاله وحرامَه "وَيهديكم سُنن الذين من قبلكم"، يعني: سُبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه ، ومناهجهم فيما حرّم عليكم من نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر ما حرم عليكم في الآيتين اللتين بَيَّن فيهما ما حرّم من النساء ،ويتوب عليكم، يقول: يريد الله أن يرجع بكم إلى طاعته في ذلك "والله عليم"، يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده في أدْيانهم ودنياهم وغير ذلك من أمورهم، وبما يأتون ويذَرون مما أحل أو حرم عليهم ، حافظ ذلك كله عليهم "حكيم" بتدبيره فيهم ، في تصريفهم فيما صرّفهم فيه.(١)

من المعروف أنّ التوبة –في الغالب– لا تكون إلاّ بعد ارتكاب أمر منهيّ عنه حذر الشارع منه، وتوعد عليه، فتكون التوبة من باب ترك الذنب، والندم على فعله، والعزم على الإقلاع عنه، ولكن من المعلوم أنّ هذه الأحكام جديدة على هذا المجتمع، والإسلام يجب ما قبله، فكيف يُأمر المسلم بالتوبة من ذنب قد غفر بإسلامه ؟ جاءت الآية والاقتران بمثابة التحفيز للمسلم لترك هذه الأحكام فقال جل جلاله: إذا كانت هذه الأحكام قد اقترفتموها في الجاهلية وانتم اليوم مأمورون

---

(1) الطبري، جامع البيان،مصدر سابق، ج٨، ص٢٠٩.

بالتوبة منها، فمن باب أولى أن لا تقترفونها اليوم وأنتم مؤمنون، يقول ابن عاشور : فقوله : ويتوب عليكم يقبل توبتكم الكاملة بإتباع الإسلام، فلا تنقضوا ذلك بارتكاب الحرام ... وقوله : والله عليم حكيم مناسب للبيان والهداية والترغيب في التوبة بطريق الوعد بقبولها، فإن كل ذلك أثر العلم والحكمة في إرشاد الأمة وتقريبها إلى الرشد.[١]

جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)بعد أن أورد الحق سبحانه أحكاماً عدة، وأوامر جمة، وبين أنّها كانت شرعت للأمم الماضية، وأنّ الله تعالى قد ارتضى لهذه الأمة أحسن هذه الشرائع وأصلحها للعمل، ثم أعقبه بالتوبة ليبيّن أن الأحكام التي كانت سائدة في الجاهلية أحكاماً منسوخةً، وأنّ الإسلام يجبّ ما قبله، ثم جاء بالاقتران (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، جاء لفظ الجلالة للعظمة ولتربية من العودة للأحكام الجاهلية والأفعال الشركية، وقدم اسم الله العليم لأنّ هذه الأحكام إنّما صدرت عن علم أولاً، فهو أعلم بما يصلح لكم من الأحكام، وبما تطيقونه من الأوامر، وهو أيضا أعلم بتوبة التائب إذا تاب وأناب، إذ التوبة أمر باطني غير مشاهد، حكيم في تشريع هذه الأحكام، فلم يشرع لكم هذه الأحكام إلاّ لمصلحتكم في الدنيا والآخرة، مع ما فيه الاقتران من الترغيب بالتوبة، والله تعالى اعلم .

٢ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾(التوبة: ١٥)

جاءت الخطاب الرباني في هذه الآية، والتي سبقتها –من سورة التوبة – تأمر المؤمنين بقتال المشركين، وتحثهم على الجهاد، وتحفيزهم عليه، وتحذيرهم من التخلف عنه، مع ما وعدهم الله تعالى به من النصر والتأييد، وشفاءٍ لصدور المؤمنين، وذهاب غيظ قلوبهم، ثم بينت الآيات إنّ باب توبة مفتوح لمن تاب وأناب إلى الله تعالى، فحمل سياق الآيات حكماً شرعياً، بالإضافة إلى التوبة والحث عليها.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٥، ص١٩ – ٢٠.

يقول البقاعي : "ولما كان ما تضمنه هذا الوعد الصادق يدور على القدرة والعلم، وكان – العلم يستلزم القدرة، فكان التقدير: فالله على كل شيء قدير، عطف عليه قوله:(والله)، أي: الذي له الإحاطة بكل شيء علما وقدرة ، (عليم) أي: بكل شيء وبمن يصلح للتوبة ومن لا يصلح وما في قلوبكم من الإقدام والإحجام لو برز إلى الخارج كيف كان يكون، (حكيم) أي: أحكم جميع أموره ، ولم يعلق الأحكام الشرعية من أفعالكم الكسبية إلا بما تعلق العلم به في حال ظهوره."(١)

أمر الله سبحانه المؤمنين بالجهاد وحثهم عليه وحفزهم له، لأنّه من الأمور الشاقة على النفس بمكان، فحمل سياق الآيات البشرى والتخفيف على المؤمنين، بالظفر والانتصار، وشفاء صدور المؤمنين، يقول ابن عاشور : "إنّ الله ضمن للمسلمين من تلك المقاتلة خمس فوائد وهي تعذيب المشركين بأيدي المسلمين وهذه إهانة للمشركين وكرامة للمسلمين.الثانية: خزي المشركين وهو يستلزم عزة المسلمين ، الثالثة: نصر المسلمين، وهذه كرامة صريحة لهم، وتستلزم هزيمة المشركين وهي إهانة لهم، والرابعة: شفاء صدور فريق من المؤمنين، وهذه صريحة في شفاء صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة، وتستلزم شفاء صدور المؤمنين كلهم، وتستلزم حرج صدور أعدائه فهذه ثلاث فوائد في فائدة. الخامسة : إذهاب غيظ قلوب فريق من المؤمنين أو المؤمنين كلهم."(٢)

بعد أن أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال وحفزهم عليه بما ارتكبته قريش من أمور يستلزم كل واحد منها القتال، فكيف وقد اجتمعت هذه الأمور معاً ، ثمّ بشر المؤمنين بالنصر والظفر، وهذه البشرى لا تكون إلاّ عن كمال علم من المخبر وحكمة منه ، فشرع لكم الجهاد لتكونوا أعزةً وسادةً على الشعوب في الدنيا، وأعزةً ومكرمين بالشهادة في الآخرة ، فجاء الاقتران في هذه الآية

---

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق،ج٨، ص٣٩٨.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٠، ص١٣٥.

بالصيغة والدلالة السابقة نفسها تقريباً، وذلك أنّ الآية جاءت بحكم شرعي وهو القتال، ثم أعقبه بالتوبة وقبولها لمن عاد إليه، ثم صيغة الاقتران السابق، فلا حاجة للتكرار.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٦)

لمّا كان الأصل في المؤمن إذا ما قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، بل الأصل الامتثال والانقياد لأمر الله ورسوله ، جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن بعض المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيّئاً؛ بتخلفهم عن جيش رسول الله –صلى الله عليه وسلم – ، فبيّنت الآية عظم هذا الذنب، وحذرت من العودة لمثله، وأنّ أمرهم إلى الله إما أن يعذبهم أو يتوب عليهم، حتى يكون المؤمن بين الخوف والرجاء، مع ما في الآية من تحذير للمؤمنين بأنّ لا يتخلّفوا عن أمر الله ورسوله إذا ما دعوا، ومن التربية والتعليم لهذه الأمة ولمن جاء بعدهم بعدم التخلف عن أمر الله وأمر رسوله، في حين أنّ الآية السابقة جاءت تأمر بالقتال وتحث عليه وتحفز له.

يقول الطبري :" عُني بهؤلاء الآخرين، نفرٌ ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فندموا على ما فعلوا، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحَّت توبتهم، فتاب عليهم وعفا عنهم... قوله: (إما يعذبهم) ، فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة (وإما يتوب عليهم) ، يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم (والله عليم حكيم) ، يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب (حكيم) ، في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه خَلَلٌ."[١]

([1]) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج١٤، ص٤٦٤.

جاء سياق الآية الكريمة بأسلوب توجيهي تربوي للأمة بأسرها، ليبقى المؤمن بين الخوف والرجاء، وأمّا سبب النزول الآية فكان في الذين تخلفوا عن جيش رسول الله في غزوة العسرة، والدلالة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، حيث أتوا إلى النبي–صلى الله عليه وسلم– تائبين مقرين بالمعصية التي اقترفوها، فحمل الاقتران الترغيب والترهيب؛ أي أنّ قبول التوبة أو العذاب بعلم الله وحكمته، فإن تاب فمن كمال فضله ورحمته، وإن عذب فبعظم الذنب وجرأته، مع العلم أنّ التوبة أمرٌ غيبي لا يعلم حقيقتها وصدقها إلاّ الله فناسب تقدم اسم الله العليم، الحكيم في أوامره ونواهيه فيكون المؤمن بين الرغبة بقبول التوبة، والرهبة من العذاب، فيكون الاقتران مكملاً للاقتران السابق الذي جاء يحث على الجهاد ويأمر به، أما هذا الاقتران فجاء يحذر من التقاعس عن الجهاد، ويخوف من هذا الفعل الشنيع، ويبيّن حال الذين تخلفوا عنه، وانّ أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذب، وإن شاء غفر، وذلك لعظم ذنبهم ولبيان أهمية الجهاد، الله تعالى أعلم .

ثالثاً– ذكر صفات المنافقين والمشركين وفضح أعمالهم.

جاءت الدلالة في هذا الاقتران بذكر المنافقين وأعمالهم التي كانوا يروجون لها خفيةً لزعزعة صف المؤمنين، فرد الله تعالى كيدهم في نحرهم وجعل الدائرة عليهم، وقد جاءت الآيات على النحو الآتي :

١– قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ ﴾ (التوبة: ٩٧)

بيّنت الآيات السّابقة من سورة التوبة صفات المنافقين وذكرت أخبارهم، وما هم عليه من نفاقٍ، مع كثرة الحلف بالله تعالى وهم كاذبون، وشدة الاعتذار إلى النبي وهم يراءون، فجاء

الخطاب القرآني في هذه الآية الكريمة؛ ليبرز للمؤمنين بعض صفات الأعراب المنافقين وما هم عليه من شدةٍ في الكفر والنفاق، وأقل علماً بحدود الله تعالى وأحكامه.

يقول ابن عطية الأندلسي : الْأَعْرابُ لفظة عامة ومعناها الخصوص فيمن استثناه الله عز وجل، وهذا معلوم بالوجود وكيف كان الأمر، وإنما انطلق عليهم هذا الوصف بحسب بعدهم عن الحواضر ومواضع العلم والأحكام والشرع، وهذه الآية إنما نزلت في منافقين كانوا في البوادي، ولا محالة أن خوفهم هناك أقل من خوف منافقي المدينة، فألسنتهم لذلك مطلقة ونفاقهم أنجم،[١]

بعد أن أورد الحق سبحانه صفات المنافقين، وبيّن أوصافهم وأحوالهم، وما هم عليه من جهل، ختم الآية بقوله :(وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول صاحب المنار : واسع العلم بأمور عباده وصفاتهم وأحوالهم الظاهرة من بداوة وحضارة وعلم وجهل، والباطنة من إيمان وكفر، وإخلاص ونفاق تام الحكمة فيما يحكم به عليهم، وما يشرعه لهم وما يجزيهم به، من نعيم مقيم، أو عذاب أليم.[٢]

كشف الحق سبحانه أمر النفاق وبيّن حقيقته، وأنّ النفاق حقيقته متفاوته بعضها اشد من بعض ، وذلك لطبيعة الحياة التي يعيشها كل فريق منهم، إذ النفاق أمراً باطني غير مشاهد، وصفاتهم غير مرئية، وتفاوته معلوم بنص الآية الكريمة، وبيان النفاق وحقيقة صفاته، يحتاج إلى علم واسع، وإحباط مكايدهم يحتاج إلى حكمة مطلقة ، فناسب سياق الآية صيغة الاقتران، والله اعلم.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾(التوبة: ١١٠)

([1])ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج٣، ص٧٣.

([2]) محمد رشيد رضا، المنار،مرجع سابق، ج١١، ص٨.

ذكر الحق سبحانه في الاقتران السابق صفات المنافقين، وبيّن حقيقة النفاق، وأنّ بعضها أشد من بعض، جاء السياق القرآني في هذه الآية والآيات التي سبقتها من سورة التوبة؛ لبيان بعض أفعال المنافقين المتمثلة في بناء مسجد الضرار لتفريق صف المؤمنين ،ففضح الله أمرهم وبين سوء نيّتهم .

يقول السعدي في تفسير قوله :(إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)" بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم، وإلا فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريبا إلى ريبهم، ونفاقا إلى نفاقهم، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بجميع الأشياء، ظاهرها، وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه. حَكِيمٌ لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به. ثم قال وفي هذه الآيات فوائد عدة : أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار... ومنها: أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منهيا عنه،... إن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها."[١]

جاءت الآية الكريمة لتبين بعض أفعال المنافقين التي إن كانت ظاهرة للملا إلاّ إنها مجهولة النية، فبناء المسجد في الظاهر فعل خير، وقربة إلى الله تعالى، والنية محلها القلب والله تعالى وحده الذي يعلم ما تكنّه صدور المنافقين وما تخفيه، فكانت الغاية من بناء هذا المسجد شق صف المسلمين، وتفريق جمع المؤمنين ، وتشتت قلوب المتقين، ففضح الله أمر المنافقين، وإبطال مكايدهم، وأمر النبي–صلى الله عليه وسلم– بهدم مسجدهم، فجاءت صيغة الاقتران (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) مناسبة لسياق الآية.

٣- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (الأنفال: ٧١)

([1]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص٣٥١.

من الملحوظ أن آيات هذا الاقتران جاءت بطريقة توجيهية للنبي والمؤمنين من بعده، فبيّنت الآية أفعال المشركين، وأبطلت أعمال المنافقين، وكشفت خبايا أنفسهم المتمثلة بنقضهم المواثيق، وخيانتهم العهود، وأنّ هذه الخيانة ليست بأمر جديد، لأنّهم قد خانوا الله تعالى بكفرهم من قبل، فأظهرت الآية عداءهم لله ولرسوله .

يقول البقاعي : مثل ما أمكن منهم عند وقوع الخيانة سيمكنك منهم إذا أرادوا الخيانة، فإن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون(ۗوَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (والله) أي: الذي له الإحاطة بكل شيء، (عليم) أي: بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الأشياء كلها التي منها أحوالهم ،(حكيم) أي: بالغ الحكمة فهو يتقن كل ما يريده ويوهن كيدهم.[١]

كشف الحق سبحانه في هذه الآية مكائد المشركين والمنافقين وديدنهم، وبيّن لنبيه –عليه الصلاة والسلام – طبعهم وسجيتهم، وهو خيانة، بما يحمله هذا المعنى من مكرٍ وخديعةٍ ، وكيدٍ ومحاباةٍ، وكفرٍ بالله تعالى وبرسوله، وهذه الأمور باطنية غير مشاهدة للعيان، ففضحت الآية القرآنية أمرهم، وأبطلت كيدهم، وجعلت الدائرة عليهم، فناسب الاقتران سياق الآية ، فحمل الدلالتين السابقتين تقريباً، والله اعلم

من خلال الوقوف على سياق الآيات الثلاث السّابقة نرى أنّ كل آية جاءت لتبين أمراً مختلفاً عن سابقتها، فالآية الأولى بيّنت حال النفاق وحقيقته وأنّ بعضه أشد من بعض، وأما الآية الثانية فبيّنت أنّ لهم أعمالاً ظاهرةً قد تبدو للعيان أنها أعمال صالحة، ويقصد من ورائها الأجر والثواب ، ففضح الله تعالى أعمالهم الظاهرة وجعل الدائرة عليهم، وأما الآية الثالثة فقد بيّنت أعمالهم الباطنة وهي الخيانة، والخيانة قد تكون ظاهرة وقد تكون باطنة، فبيّن الحق سبحانه أنّ هذا ديدنهم وسجيتهم؛ لأنهم خانوا الله تعالى من قبل بكفرهم ونفاقهم فأمكن منهم، فجاءت جميع آيات

([1]) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص٣٣٤– ٣٣٦

الاقتران تحمل أسلوباً توجيهاً للمؤمنين، مكملةً بعضها بعضا، في بيان صفات المنافقين وأعمالهم الظاهرة والباطنة، والله تعالى أعلم.

من الملحوظ في هذا الاقتران أنّ السور التي ورد فيها جاءت تتحدث عن أمور غيبية غلب عليها جانب العلم سواءً في سورة التوبة التي ورد فيها الاقتران في ستة مواضع، وهي السورة التي فضحت أمر النفاق، وكشفت أمر المنافقين، أو في سورة النور التي ورد فيها في ثلاثة مواضع، حيث نزلت في براءة أمّ المؤمنين بعد ما تأخر الوحي عن النبي–صلى الله عليه وسلم– فخاض من خاض في أمرها، فغلب على السورة جانب الغيب، فجاء الاقتران ليضع بصمته على سياق الآيات والله أعلم.

الفصل الثاني

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله الخبير في القرآن الكريم

المبحث الأول

الآيات المكية الواردة في هذا الاقتران

المطلب الأول

التعريف باسم الله الخبير

التعريف في اللغة:

قال ابن فارس: (خَبِرَ) الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: فَالْأَوَّلُ الْعِلْمُ، وَالثَّانِي يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَرَخَاوَةٍ وَغُزْرٍ. فَالْأَوَّلُ الْخُبْرُ: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ. تَقُولُ: لِي بِفُلَانٍ خِبْرَةٌ وَخُبْرٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى الْخَبِيرُ، أَيِ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الْخَبْرَاءُ، وَهِيَ الْأَرْضُ اللَّيِّنَةُ.(١)

وَيُقَالُ: مَكَانٌ خَبِرٌ، إِذَا كَانَ دَفِيئًا كَثِيرَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ. وَقَدْ خَبِرْتُ الْأَرْضَ.(٢)

قال أبو علي: أخذ هذه الكلمة أبو إسحاق من قولهم خَبِرْت الأرض إذا شققتها، وفلان خَبِيْرٌ بالشيء إذا كان عالما به وكأنه هو الذي بحث عن ذلك الشيء حتى شق عنه الأرض قال أبو علي وهو عندنا من الخُبِرَ: الذي يسمع لأن معنى الخَبِيْر العالم.(٣)

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٠.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤١.

(3) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تفسير أسماء الله الحسنى، أحمد يوسف الدقاق،د.ط، دار الثقافة العربية، د.م، ص٤٥.

وقال الراغب: "الخُبْرُ: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخَبَر، وخَبَرْتُهُ خُبْراً وخِبْرَة، وأَخْبَرْتُ: أعلمت بما حصل لي من الخبر، وقيل الخِبْرَة المعرفة ببواطن الأمر."[١]

من خلال المعاني السابقة التي يحملها هذا الجذر (خبر) يكون المعنى اللغوي متقارباً وهو العلم سواء من المُخْبِرِ أو من المُخْبَرِ فواحد يلقي المعلومة والأخر يتلقها، وهي من العلم والمعرفة ، وأمّا خبرت الأرض فهو من الكثرة أو للبحث والتنقيب، ومن هنا يقال فلان خبير بالصنعة لكثرة علمه ودقة علمه بها.

المعنى اسم الله الخبير في الاصطلاح

الخبير: هو الذي يعلم ما يكون قبل أن يكون.[٢]

وقال الغزالي : "هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها، وهو بمعنى العليم ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة، ويسمى صاحبها خبيرا."[٣]

وقال ابن تيمية الخبير : وهو من الخبرة ؛ بمعنى كمال العلم ، والإحاطة بالأشياء على وجه التفصيل ، ووصول علمه إلى ما خفي ودق من الحسيات والمعنويات .[٤]

فالمعنى اللغوي والاصطلاحي متفقان ولا يوجد بينهما اختلاف، فالخبرة من العلم والمعرفة، ونقول: خبير في الصنعة من عرف دقائقها وخفاياها، والله تعالى هو الخبير فهو تعالى كامل العلم ولا يخفى عليه شيء صغير أو كبير.

---

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٣.

(2) البيهقي،الأسماء والصفات، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٤.

(3) الغزالي ، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، مصدر سابق، ص١٠٣.

(4) محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،السعودية،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٨١.

المطلب الثاني

علاقة الاقتران بين اسم الله الحكيم واسم الله الخبير

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في أربعة مواضع، جاءت جميعها مكية ولم يرد هذا الاقتران في الآيات المدنية مطلقاً، حيث تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله الخبير في جميع آيات هذا الاقتران ، وهذه ميزة من ميّزات هذا الاسم حيث لم يتقدم اسم الله الحكيم على غيره من أسماء الله الحسنى قي جميع آيات الاقتران إلاّ مع هذا الاسم –الخبير– والميزة الثانية أنّ اسم الله الحكيم لم يتقدم على أسماء الله الحسنى إلاّ في الآيات المكية، حيث لم يتقدم على أي اسم من الأسماء الحسنى في الآيات المدنية مطلقاً، ولهذا سوف يبرز الأسلوب المكي جلياً في هذا الاقتران.

وأمّا أثر الاقتران بين اسم الله الحكيم واسم الله الخبير ، فقد بينا سابقاً أن أسماء الله تعالى كلها حسنى وأنّ في اقتران هذه الأسماء كمالاً فوق الكمال وجمالاً فوق الجمال.

يقول ابن القيم : والحكيم الخبير الدالين على كمال الإرادة وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة وعلى كمال العلم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبره، فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم، فالمراد ظاهر والحكمة باطنه، والعلم ظاهر والخبرة باطنه، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفا عن الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها. ([١])

فإذا لم يجتمع العلم في الأمور الباطنة، مع العلم بالأمور الظاهرة، كان العلم ناقصاً، والله تعالى منزه عن كل نقص، ثمّ إذا لم يكن العلم محروساً بحكمةٍ فهو علم ناقص، وكذلك الحكمة إن لم تكن محروسة بدقائق العلم وخفاياه كانت حكمة ناقصة.

([1]) ابن القيم، بدائع الفوائد، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.

فاسم الله الحكيم إذا اقترن باسم الله الخبير أريد به باطن الإرادة من الأمر–الجانب المخفي غير المشاهد –ومعنى الخبير: وهو الذي يعلم دقائق الأمور وبواطنها –الغير معروفة للعوام–، فيكون تعالى كامل في علمه وكامل في إرادته وحكمته، فهو سبحانه يضع الأشياء مواضعها ويجري الأمور في نطاقها، في غاية الدقة والإحكام، فلا تراه سبحانه يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزله ، فهو يجريها وفق ما تقتضيه حكمته وخبرته وعلمه.

المبحث الثاني

سياق آيات التي اقتران بها اسم الله الحكيم مع اسم الله الخبير

الموضوعات التي تناولها السياق

بينا في الفصل السابق أنّ تقدم الأسماء بخمسة أمور إما بالزمان، أو بالفضل، والكمال، أو بالسبب، أو بالطبع، أو بالرتبة، وأمّا عن تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله الخبير في القرآن الكريم فيقول النيسابوري : فالحكمة أعم من العلم لأنها عمل وعلم، وكونه خبيراً أخص من العلم لأنه العلم ببواطن الأمور وخباياها، فإذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته.[١]

ولمّا كانت حكمته تعالى عن علم وخبرة بعيدة عن ظنون التجربة البشرية التي تخضع لقانون العقل والمشاهدة ، كانت حكمته سبحانه منزهة عن كل نقص وعيب، فهو يعطي بحكمة ويمنع بحكمة، فلا يضع الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، فهو سبحانه يضع الأمور في نصابها دون أن تختلط عليه شيئاً.

يقول ابن القيم: فإنه سبحانه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها. وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزله التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فلا يضع الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، ولا الثواب موضع العقاب، ولا العقاب موضع الثواب، ولا الخفض موضع الرفع، ولا الرفع موضع الخفض.[٢]

([1]) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري،غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت الشيخ زكريا عميران،الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م، ج٣، ص٥٧.

([2]) ابن القيم، مدرج السالكين، مصدر سابق، ج٢، ص١٩١.

من كلام النيسابوري يفهم أنّ الحكمة أعم من الخبرة ،لأنّ الحكمة من اجتمعت فيه صفة العلم والإرادة والفعل ،أمّا الخبرة فهي العلم ببواطن الأمور وخفاياها ، فيكون تقدم اسم الله الحكيم على اسم الله الخبير من باب تقدم العام على الخاص، والله اعلم.

المطلب الأول

سياق الآيات والموضوعات التي حملها اقتران "الحكيم الخبير"

جاء هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع، وجاءت جميعها بصيغة واحدة وهي قوله: (وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ)، بصيغة التعريف مع تقدم ضمير الفصل، ليفيد القصر مع الاستغراق، وهي آيات مكية، آيتان في سورة الأنعام، والثالثة في سورة سبأ، جاءت على نحو واحد، وهو إثبات كمال قدرته تعالى، وسعة ملكه وعلمه، وأنه وحده المستحق للعبودية.

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ ﴾ (الأنعام: ١٨)

بعدما ذكر الحق جل جلاله كمال فضله على خلقه في الآيات السابقة من سورة الأنعام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ الأنعام:(١٧) فبيّن أنّه وحده القادر على كشف الضر وإنزال الخير فنفت الآية الكريمة استحقاق العبودية للأصنام والأوثان ، جاء الخطاب الرباني في هذه الآية؛ ليبين كمال قدرته وعظمته، وأن العباد في قبضته وتحت سلطانه وقهره فالإله الحق تجب له القدرة والعلم فهما جماع لصفات الكمال.

يقول الرازي : فقوله: (وهو القاهر فوق عباده) إشارة إلى كمال القدرة، وقوله: (وهو الحكيم الخبير) إشارة إلى كمال العلم. وقوله وهو القاهر يفيد الحصر ومعناه أنه لا موصوف بكمال القدرة وكمال العلم إلا الحق سبحانه، وعند هذا يظهر أنه لا كامل إلا هو، وكل من سواه فهو ناقص، حكيما، فلا يحمل هاهنا على العلم؛ لأن الخبير إشارة إلى العلم فيلزم التكرار وهذا لا يجوز، فوجب

حمله على كونه محكما في أفعاله بمعنى أن أفعاله تكون محكمة متقنة آمنة من وجوه الخلل والفساد والخبير هو العالم بالشيء المروي.[١]

يقول النيسابوري في بيان وجه الحكمة من تقدم اسم الله الحكيم : "(وهو القاهر فوق عباده) وهو إشارة إلى كمال القدرة (وهو الحكيم الخبير) وإنه إشارة إلى كمال العلم ، فالحكمة أعم من العلم لأنها عمل وعلم ، وكونه خبيراً أخص من العلم لأنه العلم ببواطن الأمور وخباياها، فإذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته."[٢]

جاء الاقتران في هذه الآية بعد أن بين الحق سبحانه كمال قدرته وأنه المتصرف في خلقه بصرف العذاب عمن شاء، وإنزاله بمن شاء ومس الضر وكشفه بمن شاء وعمن شاء، ثم ختم الآية بقوله ۚ(وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) وهما اسمان الدالان على كمال الإرادة ، فالحكمة أمر باطني، والخبرة هي باطن العلم أو دقائق العلم وجزئياته التي لا يعرفها العوام، والحق تعالى هو الذي يتصرف في خلقه وفق حكمة بالغة وعلمٍ كمال، فصرف العذاب وإنزاله، ومس الضر وكشفه، وإنزال الخير ورفعه، عن كمال حكمته، وبالغ علمه، وهي من الأمور الغيبية التي يوقعها الحق وقت ما يشاء، ويرفعها وقت ما يشاء، وينزلها على من يشاء، ويمسكها عن من يشاء، فناسب الاقتران سياق الآية والآيات المتقدمة لها،مع ما يحمله التعريف من الاستغراق في الوصف ، وتقدم ضمير لقصر الحكمة والخبرة له ونفيها عن غيره ، جميعها تعطي كمالاً آخر، والله اعلم.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٧٣)

ذكر الحق في هذه الآية كمال ألوهيته وقدرته، وذلك من خلال إثبات قدرته في الخلق و الملك – مع العلم أنّ العرب كانوا مقرين لله تعالى بأنّه خالق السماوات والأرض – في حين كانت

([1]) أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب،مصدر سابق، ج١٢، ص٤٩٥.

([2]) النيسابوري،غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مصدر سابق،ج٣، ص٥٧.

العرب تنكر البعث والنشور، فجاء الخطاب الرباني ليبين أنّ من خلق أول مرة فهو على إعادة الخلق أقدر، ومن هنا يبرز الجانب العقدي بصورةٍ جليةٍ من خلال تذكيرهم بخلق السماوات والأرض والحشر وأهوال القيامة.

يقول الرازي : إنه سبحانه ما ذكر أحوال البعث في القيامة إلا وقرر فيه أصلين : أحدهما : كونه قادرا على كل الممكنات، والثاني: كونه عالما بكل المعلومات، لأن بتقدير أن لا يكون قادرا على كل الممكنات لم يقدر على البعث والحشر ورد الأرواح إلى الأجساد، وبتقدير أن لا يكون عالما بجميع الجزئيات لم يصح ذلك أيضا منه لأنه ربما اشتبه عليه المطيع بالعاصي، فقوله:" وله الملك يوم ينفخ في الصور" يدل على كمال القدرة، وقوله: "عالم الغيب والشهادة" يدل على كمال العلم فلا جرم لزم من مجموعهما أن يكون قوله حقا، وأن يكون حكمه صدقا، وأن تكون قضاياه مبرأة عن الجور والعبث والباطل.ثمّ قال: "وهو الحكيم الخبير"، والمراد من كونه حكيما، أن يكون مصيبا في أفعاله، ومن كونه خبيرا، كونه عالما بحقائقها من غير اشتباه ومن غير التباس.[١]

بعد أن بيّن الحق سبحانه أنّه المتصرف في السماوات والأرض، وأن قوله الحق وله الملك، عالم الغيب والشهادة جاء الاقتران بقوله (وهو الحكيم الخبير) يقول ابن عاشور: وهو الحكيم الخبير عطف على قوله: عالم الغيب. وصفة الحكيم تجمع إتقان الصنع فتدل على عظم القدرة مع تعلق العلم بالمصنوعات، وصفة الخبير تجمع العلم بالمعلومات ظاهرها وخفيها، فكانت الصفتان كالفذلكة لقوله:وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ولقوله عالم الغيب والشهادة.[٢]

لمّا ذكر الحق سبحانه في الآية الأولى كمال قدرته تعالى في الحياة الدنيا وأنّ له ما سكن في الليل والنهار، وأنّه يطعم ولا يطعم، وأنّه ينزل العذاب على من يشاء، ويصرفه عمن يشاء ... الخ ، جاء الاقتران في هذه الآية ليبين كمال قدرته في الآخرة، بقوله له الملك يوم ينفخ في الصور وهو دليل على كمال القدرة وكمال ملكه يوم القيامة، مع ما يحمله القصر من المعنى، فيكون

([1]) الرازي، مفاتيح الغيب،مصدر سابق، ج١٣، ص٢٨.

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٧، ص٣٠٨-٣١٠.

الاقتران مكملاً للاقتران السابق، أي أنّ كمال قدرته في الدنيا والآخرة، وليس فقط في الدنيا أو في الآخرة، والله أعلم.

فخلق السماوات والأرض مبني على كمال الحكمة والعلم، وقوله : له الملك يوم ينفخ في الصور دليل على كمال القدرة وكمال ملكه، وقوله تعالى "قوله الحق": دليل على صدقه بكل ما يخبر به ،وقوله "عالم الغيب والشهادة" دليل على كمال خبرته وعلمه بدقائق الأشياء ظاهرها وباطنها، سرها وجهرها، فناسب أن يختم الآية بالحكيم الخبير مع ما في الاقتران من التعريف والقصر.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (سبأ: ١)

بعد أن ابتدأ الحق سبحانه وتعالى سورة سبأ بحمده- وهي إحدى السور التي بدأت بالحمد بالإضافة إلى الفاتحة والأنعام و الكهف وفاطر، مع العلم أن جميعها سور مكية- جاءت الآية تبين أنّه تعالى المستحق للحمد في السماوات والأرض، بالقصر الحمد له تعالى وأنّه ثابت مستمر لا ينتهي في الدنيا ولا في الآخرة، ، فحمده تعالى تعج به جميع مخلوقاته .

وأمّا الخطاب الرباني في هذه الآية فبيّن عظمته وعظمة ملكه وأنه لا يقتصر على وقت دون وقت، ولا مكان دون مكان، بل وسع المكان والزمان.

يقول ابن القيم: "فالملك بلا حمد يستلزم نقصا، والحمد بلا ملك يستلزم عجزا، والحمد مع الملك غاية الكمال، فوسط الملك بين الجملتين، فجعله محفوفا بحمد قبله، وحمد بعده، ثم عقب هذا الحمد والملك باسم الحكيم الخبير الدالين على كمال الإرادة، وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة، وعلى كمال العلم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبرة، فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم، فالمراد ظاهر والحكمة باطنه ، والعلم ظاهر والخبرة باطنه، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفا عن

الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها، فتضمنت الآية إثبات حمده وملكه وحكمته وعلمه على أكمل الوجوه."[١]

والفرق بين الصفتين أنّ كل واحدة تدل على معنى فالحكيم أنّه متقن للصنع فالحكيم مشتقة من الإحكام والإتقان وهو يستلزم العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والخبير: العليم بدقائق الأشياء وظواهرها بحيث لا يفوته شيء ، هو يستلزم التمكن من تصريفها، ومن خلال التتميم بهذين الوصفين استخفاف بالذين اتخذوا من دونه آلة، وجاء بالضمير للقصر .

ذكرنا في الاقترانين السابقين أن مدلول الآيات كان عن كمال قدرته وكمال ملكه فواحد منها تناول كمال قدرته في الدنيا، والآخر بين كمال قدرته في الآخرة، فجاء هذا الاقتران ليبين كمال قدرته وكمال ملكه في الدنيا والآخرة معاً، فجاء سياق الآية بالحمد لله، أي قصر الحمد عليه وحده، وذكر السماوات والأرض كناية على أنّ ملكه فيهما وكناية عن الدنيا، وله الحمد في الآخرة، أي الذي يستحق الحمد في الآخرة لأنّها ملكه وهو المحمود فيها سبحانه وتعالى، فجاء السياق القرآني ليثبت كمال حمده –في الدنيا والآخرة – وكمال ملكه –في الدنيا والآخرة – وكمال حكمته في الخلق والحساب، وكمال علمه –المحيط في الدنيا والآخرة – فناسبت صيغة الاقتران (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) سياق الآية والله اعلم.

([1]) ابن القيم، بدائع الفوائد، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.

المطلب الثاني

الآيات التي جاءت بصيغة حكيم خبير

لم يرد هذا الاقتران قي كتاب الله تعالى إلا في موضع واحد، في سورة هود بالتحديد وهي سورة مكية كما نعلم، وقد جاء الاقتران بصيغة التنكير (حَكِيمٍ خَبِيرٍ) للتعظيم، حيث ابتدأت السورة بالآية التي ورد فيها الاقتران، وهي تتحدث عن القرآن الكريم وأنّه منزّه عن الزيادة والنقص، محكم من التحريف والتبديل، تنزيل من حكيمٍ خبيرٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ (هود: ١)

لما كان سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم النبيين والمرسلين، فقد أخصه الله تعالى بمعجزةٍ تختلف عن سائر المعجزات السابقة، فهي معجزة دائمة ما دام الدهر والزمان، لا تغيرها الليالي ولا تبدلها السنين، وهي مع ذلك جاءت منسجمةً مع المهمة رسول البشرية، والهدف الذي أرسل من أجله.

أوضح النص الكريم في هذه الآية أنّ هذا القرآن من عند الله تعالى، فهو محكم لا يقع فيه زلل ولا خلل، مفصل ومبين للحلال والحرام، من لدن حكيم خبير، فجاء الخطاب الرباني للرد على المتعنتين المعاندين للدعوة وللرسالة؛ بأنّ هذا الكتاب من عند الله تعالى بكل ما فيه، وجميع ما يحتويه من أحكامٍ وقصصٍ، وأمثالٍ وعبرٍ والمواعظٍ، مع ما فيه من تثبيت لفؤاد النبي –صلى الله عليه سلم –وللمؤمنين من بعده.

يقول الزمخشري: أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف.ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة، من «حكم» بضم الكاف، إذا صار حكيما: أيّ جعلت حكيمة، كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل: منعت من الفساد، من قولهم: أحكمت الدابة ، وعن قتادة: أحكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد، من دلائل التوحيد،

والأحكام، والمواعظ، والقصص. أو جعلت فصولا، سورة سورة، وآية آية. وفرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة. أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد ، فإن قلت: ما معنى ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن في الحال، كما تقول: هي محكمة أحسن الأحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل ، وفيه طباق حسن ، لأن المعنى : أحكمها حكيم وفصلها : أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور.(١)

هذا الاقتران جاء متوافقاً ومتناسباً مع سياق الآية ودلالة المعنى ، فهذا القرآن بما يحتويه من أحكام شريعة، ومعجزات غيبية، يثبتها العلم الحديث، لدليل قاطع ونوع ساطع على دقه، وصدق ما جاء به، وأنّه من لدن حكيم خبير، كما وصف نفسه سبحانه.

فأي كتاب محكم أكثر من كتاب الله تعالى الذي تحدى الأنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله! وأي أحكام أكثر تفصيلاً وبياناً لدقائق الأحكام من أحكام الله وشرعه! فناسبت صيغة الاقتران(حَكِيمٍ خَبِيرٍ) سياق الآية والله اعلم.

بعد الوقوف على آيات هذا الاقتران ودلالاته، يظهر للناظر أنّ جميع آيات هذا الاقتران متقاربة الدلالة، فآيات هذا الاقتران تخاطب مجتمعاً منكراً للآخرة وللبعث والحساب، فجاءت الآيات تبيّن كمال ملكه تعالى وقدرته، وأنه وسع المكان والزمان، ودلل على ذلك بما تطيقه العقول البشرية؛ بأنّ من أوجد أول مرة فهو على إعادة الخلق اقدر، وأمّا الآية في هذا المطلب؛ فبيّنت عظمة هذا القرآن، وعظمة ما يحتويه من أحكام ومعجزات باقية بقاء الدهر، فهي دليل ساطع على صدق هذا الكتاب، الذي لا ينطق إلا بصدق، ولا يحكم إلاّ بعدل، وإلاّ من أين لنا أن نعلم كل هذا

---

(1) أنظر : الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٢، ص٣٧٧.

العلم عن الله تعالى، وعن عظمته وقدرته، والبعث والنشور، والحساب والعقاب، لولا كتابه تعالى المعجز، فكمال قدرته وعظمة ملكه دليل على كمال ألوهيته، إحكام كتابه من الزيادة والنقص دليل على أنّ ما فيه صدق وعدل، فلما ثبت صدق كتابه وعدله، ثبت له تعالى كمال الملك والحمد والعلم والقدرة؛ لأنّه هو الذي أخبر بذلك؛ فكان كل ما أخبر به تعالى صدق وعدل، فثبت كمال ملكه، وصدق كتابه تعالى، مع ما في هذا الاقتران من تثبيت لفؤاد النبي –صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين من بعده، فتكون صيغة الاقتران مناسبة للواقع المكي، وحال المشركين الذين يخاطبهم هذا الكتاب في تلك الفترة ، فيكون سياق الآيات مكملاً بعضها بعضاً، والله أعلم.

الفصل الثالث

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله العزيز في القرآن الكريم

المبحث الأول

تأخير اسم الله الحكيم على اسم الله العزيز وأثره

المطلب الأول

التعريف باسم الله العزيز

التعريف في اللغة

قال ابن فارس : (عَزَّ) الْعَيْنُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَمَا ضَاهَاهُمَا، مِنْ غَلَبَةٍ وَقَهْرٍ. قَالَ الْخَلِيلُ: " الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهوَ مِنَ الْعَزِيزِ. وَيُقَالُ: عَزَّ الشَّيْءُ حَتَّى يَكَادَ لَا يُوجَدُ، وقيلُ: هَذَا الَّذِي لَا يَكَادُ يُقْدَرُ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: عَزَّ الرَّجلُ بَعْدَ ضَعْفٍ وَأَعْزَزْتُهُ أَنَا: جَعَلْتُهُ عَزِيزًا. ويُقَالُ: أَصَابَنَا عِزٌّ مِنَ الْمَطَرِ، إِذَا كَانَ شَدِيدًا."[١]

وقال الراغب: "العِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب. من قولهم: أرضٌ عَزَازٌ. أي: صُلْبةٌ. قال تعالى: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ (النساء- ١٣٩). وَالعَزِيزُ: الذي يقهر ولا يقهر. ويقال:عَزَّ عَلَيَّ كذا: صَعُبَ، قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ (التوبة- ١٢٨)أي: صَعُبَ، وعَزَّهُ كذا: غلبه، ... قال تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ (ص- ٢٣) ، أي: غلبني ... وعَزَّ المطرُ الأرضَ: غلبها ...وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١﴾ (فصلت- ٤١) ، أي: يصعب مناله ووجود مثله.[٢]

([1]) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٤، ص٣٨.

([2]) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ج١، ص٥٦٣-٥٦٤.

من خلال المعاني السابقة نخلص بالقول أنّ الأصل واحد وهو من الشدة والمنعة، فالعزيز هو الشديد القوي الذي لا يغلب جانبه،ولا يعدله شيء ،ولا نظير له ولا مثيل.

التعريف باسم الله العزيز في الاصطلاح

ورد اسم الله العزيز في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة وقد حمل هذا المصطلح عدة معاني جاءت على النحو الآتي:

العزيز :" هو غالب كل شيء فهو سبحانه العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز."[١]

وقال الخطابي : "والعزيز في كلام العرب على ثلاثة أوجه: فهو المنيع الذي لا يغلب . والثاني: بمعنى الشدة والقوة. والوجه الثالث: أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له ولا نظير."[٢]

وقال ابن كثير العزيز :" هو الذي قد عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء ، فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته."[٣]

ومن خلال المعاني السابقة نخلص إلى أنّ الأصل واحد وهو من الشدة القوة، فهو الذي جمع جميع معاني العزة وأسبابها، فلا نظير له ولا مثيل ، الذي لا يعجزه شيء، الغني عن كل شيء.

([1]) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسني، مصدر سابق،ج١، ص٣٤.
([2]) أبو سليمان الخطابي، شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٤٧-٤٨.
([3]) ابن كثير،تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق،ج٤، ص٣٤٣.

المطلب الثاني

أثر اقتران اسم الله الحكيم باسم الله العزيز

كثيرةً هي أسماء الله الحسنى، وكثيراً ما وردت هذه الأسماء في كتابه العزيز، وهذا ليس من قبيل الصدفة أو المصادفة، –لا قدر الله– بل كل اسم من هذه الأسماء جاء في مكانه، في غاية الدقة والإحكام، فكان سياق الآية ومحورها يدور على هذا الاسم الذي جاء في آخر الآية الكريمة، ومن هذه الاقترانات القرآنية، اقتران اسم الله العزيز باسم الله الحكيم، وهذا يستلزم الوقوف على سبب ورود هذا الاقتران، والسياق الذي جاء فيه، والصيغة التي حملها، يقول ابن القيم : "العزة هي: كمال القدرة، والحكمة كمال العلم، وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه وتعالى ما شاء، ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب، فهاتان الصفتان مصدر الخلق والأمر."[١]

ولمّا كان سبحانه القادر على كل شيء، يفعل ما يريد، وفق حكمةٍ بالغةٍ وكمال علم، فيقع فعله محكماً متقناً لا تشوبه شائبة، يقول ابن القيم: فالعزة من جنس القدرة والقوة ، فالقدرة إن لم يكن معها حكمة بل كان القادر يفعل ما يريده بلا نظر في العاقبة ، ولا حكمة محمودة يطلبها بإرادته ويقصدها بفعله، كان فعلة فساداً كصاحب شهوات الغي والظلم ، الذي يفعل بقوته ما يريده من شهوات الغي في بطنه وفرجه ومن ظلم الناس ، فإن هذا وإن كان له قوة وعزة لكن لما لم يقترن بها حكمة كان ذلك معونة على شره وفساده.[٢]

فعزته سبحانه لا تضاهيها عزة، وحكمته لا يدرك منتهاها، فقد ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى ليعطي في كل آية معنى غير المعنى السابق، يقول ابن عثيمين : " وكل اسمٍ من هذه الأسماء دلالة على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في

([1]) ابن القيم، الجواب الكافي، مصدر سابق، ص١١٦.

([2]) انظر: ابن القيم،طريق الهجرتين، مصدر سابق، ص١٠٨.

الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسئ التصرف ، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل ، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل."[١]

المطلب الثالث

الحكمة في تقديم اسم الله العزيز على اسم الله الحكيم

التقديم والتأخير في اللفظة القرآنية من الموضوعات التي يلمسها من يتدبر هذا الكتاب الخالد ، ويتحسسه بقلبه وعقله، فمرة يأتي الاسم منفرداً، ومرة مقترناً، ومرة متقدماً، ومرة متأخراً ، كل هذه الجمالية لتكون شاهداً على إعجازه، ودليلاً قاطعاً على صحة بيانه ، وقد حاول المفسرون قديماً وحديثاً الوقوف على أسرار هذه الجمالية ، ليتفيئوا ظلالها، وليبينوا جمالها، وقد حملت أسماء الله تعالى في كتابه العزيز هذه الميزة فتراها تتقدم في موضع وتتأخر في آخر، وقد يتقدم فيها اسم من أسماء الله تعالى على اسم ولا يتأخر عنه بل يبقى متقدماً في جميع آيات الاقتران التي ورد فيها، ومن ذلك تقدم اسم الله العزيز على اسم الله الحكيم حيث لم يتقدم اسم الله الحكيم في كتاب الله على اسم الله العزيز مطلقاً.

يقول ابن القيم: "ومن هذا الباب تقدم العزيز على الحكيم لأنه عز فلما عز حكم وربما كان هذا من تقدم السبب على المسبب."[٢]

([1]) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى،الثالثة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،السعودية،١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٨.

([2]) ابن القيم، بدائع الفوائد، مصدر سابق،ج١، ص٦٦.

ويقول ابن القيم في موضع آخر : فالعزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم ، وهو سبحانه الموصوف من كل صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها ، فتقدم وصف القدرة لأن متعلقه أقرب إلى مشاهدة الخلق وهو مفعولاته تعالى وآياته ، وأما الحكمة فمتعلقها بالنظر والفكر والاعتبار غالبا وكانت متأخرة عن متعلق القدرة ، وجه ثان أن النظر في الحكمة بعد النظر في المفعول والعلم به فينتقل منه إلى النظر فيما أودعه من الحكم والمعاني ، وجه ثالث أن الحكمة غاية الفعل فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها ، فالقدرة تتعلق بإيجاده والحكمة تتعلق بغايته فقدم الوسيلة على الغاية لأنها أسبق في الترتيب الخارجي.(١)

بعد الوقوف على كلام ابن القيم نخلص إلى القول أن تقدم اسم الله العزيز على اسم الله الحكيم من عدة أوجه وهي

١- إذا كان الحكيم من الحكم فالتقدم من باب السبب على المسبب ،أي أنّ كمال العزة سبب لكمال الحكم فلا يطبق الحكم إلاّ بعد قوة ومنعة وعزة، وأنّ من كان له القوة والقدرة والقهر كان له الحكم والأمر والنهي، وبدون الحكمة يقع الجور والظلم فيكون تقدم العزيز على الحكيم من هذا القبيل، أي: عز فحكم، والله اعلم.

٢- إذا كان الحكيم من الحكمة فالتقدم إما بالنظر والاعتبار، أي: النظر في آلائه وخلقه وقدرته ثم التفكر بالحكمة من خلقها.

٣- وإما من باب تقدم الوسيلة على الغاية، فالعزة تتعلق بإيجاد الأشياء وهي الوسيلة ، وأمّا الغاية فهي الحكمة من خلقه للأشياء، والله اعلم.

وبهذا نخلص إلى نتيجة هي: أنّ الاقتران يكون متوافقاً مع سياق الآية من حيث المعنى والدلالة، فالعزة كمال القدرة في الخلق والرزق والإيجاد والتشريع، والحكمة هي كمال العلم وباطن

---

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد، مصدر سابق،ج١، ص٧١-٧٢.

الإرادة، فإذا اجتمع كمال القدرة والإرادة، وباطن العلم والغاية منه، وقع الفعل على غاية الكمال والإتقان.

المطلب الرابع

الآيات المكية والمدنية الواردة في هذا الاقتران

كثيراً ما تتجلى أسماء الله وصفاته لخلقه في كتابه الكريم، فمرة يُبرز لعباده جانب العلم والحكمة، وأخرى جانب الأمر والنهي، والعدل والانتقام، وتارة يتجلّى بقوته، وقدرته، وعزته، ليكون العبد منكسراً لله تعالى، مقبلاً عليه، مفتقراً إليه، متوكلاً عليه، ممتثلا لأوامره، مجتنباً لنواهيه.

اقترن اسم الله الحكيم مع اسم الله العزيز في سبعة وأربعين موضعاً، جاء منها ست عشرة آيةً المكية، وإحدى وثلاثون آيةً المدنية، ومن هنا فإنّ الأسلوب المدني سوف يكون أكثر جلاءً، وذلك لكثرة الآيات المدنية الواردة في هذا الاقتران، وهذا جدول يوضح آيات الاقتران، والصيغ التي ورد فيها، وعددها في كل صيغة، ويظهر المكي والمدني، وقد جاءت على النحو الآتي:

صيغة الاقتران	الآيات المكية	الآيات المدنية	المجموع
العزيز الحكيم	١٥	١٤	٢٩
عزيز حكيم	١	١٢	١٣
عزيزا حكيما	٠	٥	٥
المجموع	١٦	٣١	٤٧

إنّ هذا العدد من الآيات التي اقترن به اسم الله الحكيم مع اسم الله العزيز؛ ليعمق في النفوس، ويبصر العقول، لهذه القضية الهامة، ويدفع القارئ للبحث والتنقيب عن هذه الكنوز المدخرة في هذا الكتاب العزيز.

من خلال النظرة الأولى للجدول يظهر في صيغة الاقتران (عزيزا حكيما) أنها لم ترد في الآيات المكية، في حين إنّ آيات الاقتران (عزيز حكيم) وردت في موضعٍ واحد في الآيات المكية، وهذا ينم على أنّ آياته جاءت بأحكام وأوامر وتوجيهات تخص المجتمع المسلم، وتخاطب الفئة المؤمنة، لترسّخ فيهم هذه الصفات العظيمة، وهذا الكبرياء المطلق، فيكون المؤمن ممتثلاً للأوامر، مجتنباً للنواهي، مطمئناً لأحكامه، وأمّا اقتران (العزيز الحكيم) فقد جاء متساوياً تقريباً، مع زيادة بآيةٍ للآيات المكية، وهذا يبيّن أنّ الدلالات التي يحملها هذا الاقتران يشترك فيها المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى.

المبحث الثاني

سياق الآيات التي اقترنت بها صيغة "عزيزٌ حكيمٌ "

المطلب الأول

الآيات المكية الواردة في هذا الاقتران "عزيزٌ حكيمٌ"

القرآن هو كلام الله تعالى الذي أعجز العرب والعجم معارضته، وأسكت الشعراء والأدباء عن مجاراته، فترى اللفظة فيه تأتي بسياق لا يستقيم النص الكريم إلاّ بها، ولا يقوم غيرها من الكلمات مكانها، يقول ابن عطية " كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"(١).

فبعض الاقترانات لم يرد في السور المكية، وبعضها لم يأتِ في السور المدنية، وذلك أنّ سياق الآية ودلالة الاقتران لم تعالج هذا الجانب في هذه المرحلة أو تلك، ومن بين هذه الصيغ صيغة الاقتران (عزيز حكيم) حيث لم ترد هذه الصيغة في كتاب الله تعالى في الآيات المكية إلاّ في موضعٍ واحد، في سورة لقمان، حيث جاءت صيغة الاقتران منكرة، مع التوكيد (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، وأمّا مدلول الآية فقد بيّن الحق سبحانه كمال عظمته وقدرته، وأنّ معاني كلامه لا نهاية له، فإنّ الأقلام تنفد والبحار تستهلك وكلام الله تعالى لا ينفد ولا يحد بآخر.

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (لقمان: ٢٧)

ذكرت الآية القرآنية مثلاً تقريباً للعقول البشرية القاصرة مؤمنها ومشركها، إذ العقول قاصرة ومحدودة بحدٍ لا تتعداه عن إدراك جميع مراد الله تعالى من كلامه وخطابه؛ فبيّنت الآية كمال

---

(1) ابن عطية الأندلسي،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ج١، ص٤٩.

قدرته تعالى، وعظم كلامه، إذ قدرته تعالى لا تحد بأول ولا تنتهي بآخر، فقال: لو أنّ أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر لنفدت جميعها وما نفد كلام الله تعالى، يقول الرازي في تفسير الآية وما تحتويه من جماليات: وحد الشجرة وجمع الأقلام ولم يقل ولو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام ولا قال ولو أن ما في الأرض من شجرة قلم إشارة إلى التكثير، يعني ولو أن بعدد كل شجرة أقلام، قوله:" والبحر يمده" تعريف البحر باللام لاستغراق الجنس وكل بحر مداد، ثم قوله: "يمده من بعده سبعة أبحر" إشارة إلى بحار غير موجودة، يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أخر وقوله: سبعة ليس لانحصارها في سبعة، وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر،" إن الله عزيز حكيم" لما ذكر أن ملكوته كثيرا أشار إلى ما يحقق ذلك فقال: إنه عزيز حكيم أي كامل القدرة فيكون له مقدورات لا نهاية لها وإلا لانتهت القدرة إلى حيث لا تصلح للإيجاد وهو حكيم كامل العلم ، ففي علمه ما لا نهاية له فتحقق أن البحر لو كان مدادا لما نفد ما في علمه وقدرته.ثم قال تعالى: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للمحشر وقال: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونوا.[١]

من خلال السّياق القرآني يبرز أثر الاقتران في هذه الآية، فقد جاء السياق ليبين عظمته تعالى وأنّ قدرته لا تتناهى، وحكمته لا تضاهى، ودلل على قدرته بما تطيقه العقول البشرية القاصرة، فبين لهم أنّ كلامه وعلمه لا ينفد ولو نفدت بحار الدنيا ومن بعدها سبعة أبحر تمدها والأشجار أقلاماً "أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول".[٢] فإذا كانت البحار تنفد، والأقلام تستهلك، فأيّ كبرياء وأيّ عزة للكلام ولصاحبه.

([1]) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٥،ص١٢٨-١٢٩.

([2]) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،الأولى، مطبعة المدني، القاهرة، مصر،ص٣٥١

جاءت سياق الآية للتدليل على قدرته تعالى؛ لأنّ العرب أهل حكمة وأهل كلام وأشعار، وأهل سجعٍ وأهل بلاغة وأخبار، فناسب المثال واقع العرب الذين يتغنون بالفصاحة والبلاغة، ويعدون اللغة والكلمات والشعر والخطابات لعبتهم وسجيتهم، ثم بين بعد هذه الآية أن الخلق كله والبعث كله كنفس واحدة، وهو دليل آخر على كمال قدرته وحكمته وعلمه، ولذا جاء بالعزيز الحكيم، ثم جاء بالاقتران مؤكداً لأنّه يخطب مجتمعاً منكراً ، ومنكّراً ليفيد التعظيم في قدرته وعلمه، فناسب الاقتران مدلول السياق والله اعلم.

المطلب الثاني

الموضوعات التي تناولتها الآيات المدنية الواردة في هذا الاقتران "عزيزٌ حكيمٌ"

لمّا كانت فترة نزول القرآن الكريم لها امتدادها الزمني، وكانت كل فترةٍ لها خصوصيتها التي تختلف عن غيرها من الفترات، ولكل مرحلةٍ في هذه الدعوة أسلوب توجيهي مغاير عما قبله، فالحال في السلم يختلف عنه في حال الحرب، والحال في مكة قبل الجهر بالدعوة يختلف عنه بعد الجهر، فكانت الآيات تنزل على الحبيب– صلى الله عليه وسلم– لتعالج ذلك الحدث وتبيّن أسراره، وهذا الاقتران (عزيز حكيم)والذي يليه في المطلب المقبل (عزيزا حكيما) يظهر الأسلوب المدني بوضوح – فآيات الاقتران مدنية عدا الآية السابقة– وذلك لأنّ دلالتهما موجهة للمجتمع المؤمن، فهي تحمل أحكاماً وتوجيهات تهم هذه المجتمع بخصوصيته، وقد جاءت الآيات الواردة في هذا الاقتران من آيات السور الطوال، وهي في أغلبها أحكام شرعية جاءت لتنظيم المجتمع المدني، فخمس منها ورد في سورة البقرة، وأربعة منها ورد في سورة الأنفال ، وآيتان في سورة التوبة، وآية وحدة في سورة المائدة، ومن خلال الوقفة التأملية يبرز عدد من الدلالات المشتركة بين بعض الآيات الواردة في هذا الاقتران، وقد جاءت على النحو الآتي:

١- أحكام شرعية وأوامر ربانية، مع ما فيها من الزجر والتهديد.

٢- التأييد بالمعجزات والآيات ، وإظهار فضل الله ومنّه على أنبيائه وعلى المؤمنين بالنصر والتمكين.

٣- ذكر المنافقين وأوصافهم.

أولاً. أحكام شرعية، وأوامر ربانية مع ما فيها من الزجر والتهديد.

جاء الدين الإسلامي كما الديانات الإلهية الأخرى تأمر بمكارم الأخلاق وتحث عليها، وترغب بها، وتضع عليها الأجور والثواب، وتنهى عن رذائلها وتحذر منها، وتضع عليها الوزر والعقاب، سواءً في الآخرة أو في الدنيا والآخرة معاً، فشرع سبحانه الأحكام الشرعية وأمر بنشرها وحرم الرذائل وأمر بمحوها، كل ذلك لحماية المجتمع وتوطيد أركانه ونشر الفضيلة ومحو الرذيلة ،وقد جاءت آيات هذ الدلالة على النحو الآتي:

١-قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٩

لمّا أمرت الآيات القرآنية المؤمنين بالدخول في السلم كافة وعدم اتّباع خطوات الشيطان لأنّه عدو مبين ، جاءت الآية الكريمة تحذر المؤمنين من الوقوع في الخطأ والإصرار عليه، من بعد ما جاءت الحجج والدلائل على صحة الإسلام وصحة أحكامه.

قال الطبري : " فإن أخطأتم الحق، فضللتم عنه، وخالفتم الإسلام وشرائعه، من بعد ما جاءتكم حُجَجي وبيِّنات هداي، واتضحت لكم صحة أمر الإسلام بالأدلة التي قطعت عذركم أيها المؤمنون فاعلموا أن الله ذو عزة، لا يمنعه من الانتقام منكم مانع، ولا يدفعه عن عقوبتكم على مخالفتكما أمره ومعصيتكم إياه دافع ، حكيم فيما يفعل بكم من عقوبته على معصيتكم إياه ."[١]

فكانت الآية بمثابة إقامة الدليل عليهم من إتباعهم مكائد الشيطان وأعوانه بعدما تبيّن لهم الحق.

([1]) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج٤، ص٢٥٩.

جاء الاقتران يحمل التهديد والوعيد لمن خالف أمر الله تعالى بعد ما جاءته البيّنات الدالة على صحة الإسلام وصدقه، ويقول الرازي: ويدل قوله: (فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) على الزجر والتهديد: وهذا نهاية في الوعيد، لأنه يجمع من ضروب الخوف ما لا يجمعه الوعيد بذكر العقاب، وقد اشتملت الآية على الوعد كما أنها مشتملة على الوعيد ، فإن اللائق بالحكمة أن يميز بين المحسن والمسيء فكما يحسن من الحكيم إيصال العذاب إلى المسيء فكذلك يحسن منه إيصال الثواب إلى المحسن.(١)

حذر الحق جل جلاله عباده من إتّباع خطوات الشيطان، والانزلاق في طريقه من بعد ما رأوا الآيات والبراهين الدالة على صدق النبي– صلى الله عليه وسلم– وصدق الإسلام، فختم الآية القرآنية بقوله تعالى:(فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) بصيغة التهديد والوعيد، لمخالفي الأوامر والنواهي من بعد الهداية وإتّباع الحق، فجاء بلفظ الجلالة لتربية المهابة ، وجاء بالعزيز لبيان كمال القدرة والقوة بإنزال العقوبة على العاصي، وجاء بالحكيم: هي الغاية العلم وكماله، حيث يضع الأمور في نصابها، فكل ما شرعه لكم عن كمال قدرة وحكمة، فيجازي العاصي على معصيته، ويثيب المحسن على إحسانه، فحمل الاقتران الترغيب والترهيب مع الأمر والنهي.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٢٠)

إنّ المتأمل في النص القرآني يجد أنّ هذه الآية والآيات التي سبقتها من سورة البقرة قد اشتملت على أحكام عدة ، وأوامر جمة، فذكر القتال في الأشهر الحرم، وذكر الخمر والميسر، ثم جاءت هذه الآية تبين حكم مخالطة أموال اليتامى– بعد ما نزل من الآيات التي تحذر من أكل مال

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٥، ص٣٥٥.

اليتيم، أو المساس بها، حتى شق ذلك على المؤمنين- فبيّنت الآية حكم مال اليتيم ومخالطته، شريطة عدم التعدي على أموالهم ، والله تعالى أعلم بالمفسد من المصلح.

من المعلوم ما كان سائداً في الجاهلية من أحوال، وما كان عليه العرب قبل الإسلام من ظلم وجور، فالقوي يأكل الضعيف دون حسيبٍ أو رقيب، وحال اليتيم ليس بأفضل حال من غيره في شريعة الغاب، بل على العكس فهو مطمعة للجميع أكثر من بقية الناس، يقول الرازي: إنّ أهل الجاهلية كانوا قد اعتادوا الانتفاع بأموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها أو يزوجها من ابن له لئلا يخرج مالها من يده، ثم إن الله تعالى أنزل قوله: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا) (النساء: ١٠) فعند ذلك ترك القوم مخالطة اليتامى، والمقاربة من أموالهم، والقيام بأمورهم فاختلت مصالح اليتامى وساءت معيشتهم، فثقل ذلك على الناس، فنزلت الآية تبيّن حكم مخالطة أموالهم شريطة عدم التعدي عليها، مع ما في الآية من تهديد عظيم، وزجر شديد والسبب أن اليتيم لا يمكنه رعاية الغبطة لنفسه، وليس له أحد يراعيها فكأنه تعالى قال: لما لم يكن له أحد يتكفل بمصالحه فأنا ذلك المتكفل وأنا المطالب لوليه.[١]

لمّا كانت مخالطة أموال اليتامى أمراً سائغاً في الشرع والعرف؛ وذلك لضعف اليتيم من أن يقوم بنفسه على شؤون ماله، أباح الشارع هذه المخالطة لمصلحته، فجاء صيغة الاقتران تحمل التهديد والوعيد من التعدي على أموال اليتيم، حتى لا يقع الولي بالتباس بين أمواله وأموال اليتامى.

فجاء الخطاب من الله تعالى لنبيه ليبيّن للمؤمنين وليحثهم على حفظ أموال اليتيم، وألاّ يتعدوا عليها حال مخالطتها بأموالهم، ثم بين لهم أنه تعالى يعلم المفسد في أموالهم من المصلح، والناصح لهم من الغاشم، فهو سبحانه لم يشرع هذا الأمر للمشقة على الأمة بل للرحمة والرأفة بهم وباليتامى، ثم جاء بصيغة الاقتران في هذه الآية للوعيد والتخويف من التعدي على أمول اليتامى الذي لا ولي له فيمنعه من وقوع الظلم عليه، فيكون مطمعاً للناس جميعا، فجاء بأداة التوكيد مع

([1]) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق،ج٦، ص٤٠٥-٤٠٧.

لفظ الجلالة لتربية المهابة في النفوس، ثم باسم العزيز وهو من القوة والمنعة، فيأخذ الحق لليتيم، ويمنع وقوع الظلم عليه، حكيم من الحكم أي : منع، وهو منع الظلم والجور على اليتيم، أو من الحكمة وهي وضع الأمور في نصابها فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

لم يفرق الإسلام بين ذكر أو أنثى في المكانة وجعل المقياس للتقوى فأكرمهم مكانة أتقاهم،جاءت الآية الكريمة تبيّن عدة طلاق للنساء المدخول بهنّ، وحق الزوج بردهنّ أثناء العدة، وحرمة كتمان ما خلق الله في أرحامهنّ، وأنّ للنساء حقوقاً وعليهنّ واجبات، وأنّ للرجال عليهن درجة.

قال السعدي : النساء اللاتي طلقهن أزواجهن ينتظرن ويعتددن مدة ثَلاثَةَ قُرُوءٍ أي: حيض، أو أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك ، ليعلم أنه ليس في رحمها حمل، فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب، ولهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ وحرم عليهن، كتمان ذلك، من حمل أو حيض، لأن كتمان ذلك، يفضي إلى مفاسد كثيرة ، فصدور الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر، وإلا فلو آمنّ بالله واليوم الآخر، وعرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك، لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردوهن إلى نكاحهن ،إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا أي: رغبة وألفة ومودة ، وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة. ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد وذلك الزمان من مثلها لمثله، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ أي: رفعة ورياسة، وزيادة حق عليها، مثل منصب النبوة والقضاء، والإمامة الصغرى

والكبرى، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أي: له العزة القاهرة والسلطان العظيم، الذي دانت له جميع الأشياء، ولكنه مع عزته حكيم في تصرفه.(١)

أوضحت الآية الكريمة شيئاً من حقوق المرأة وبينتها، وذكرت كذلك الواجبات المترتبة عليها، وأنّ هذه الحقوق والواجبات ليست على حساب الرجل وعزته، بل لتكميل العلاقة الزوجية المبنية على الحب والاحترام المتبادل بين الطرفين، يقول ابن عاشور في قوله : "والله عزيز حكيم ، العزيز: القوي، لأن العزة في كلام العرب القوة ليخرجن الأعز منها الأذل، والحكيم: المتقن الأمور في وضعها، والكلام تذييل وإقناع للمخاطبين ، وذلك أن الله تعالى لما شرع حقوق النساء كان هذا التشريع مظنة المتلقي بفرط التحرج من الرجال، الذين ما اعتادوا أن يسمعوا أن للنساء معهم حظوظا، غير حظوظ الرضا والفضل والسخاء، فأصبحت لهن حقوق يأخذنها من الرجال كرها، إن أبوا، فكان الرجال يرون في هذا ثلما لعزتهم، فبين الله تعالى أن الله عزيز أي قوي لا يعجزه أحد، ولا يتقي أحدا، وأنه حكيم يعلم صلاح الناس، وأن عزته تؤيد حكمته فينفذ ما اقتضته الحكمة بالتشريع، والأمر الواجب امتثاله، ويحمل الناس على ذلك وإن كرهوا."(٢)

ذكرت الآية القرآنية عدة أحكام شرعية وأوامر ربانية، للرجال والنساء على سواء ، مع ما تحمله الدلالة من الوعد والوعيد، فجاء الاقتران ليبين أنّ هذه الأحكام إنما صدرت عن كمال عزة وقدرة، وكمال حكمة وعلم، وجاء باسم الله العزيز للوعيد للرجال والنساء، فالرجال لا ينقصون النساء حقوقهنّ، والنساء لا يكتمن ما خلق الله في أرحمهن، ولهذا ناسب تقدم لفظ الجلالة في قوله تعالى :(والله عزيز حكيم)، والحكيم في شرعه وأحكامه، وأنّها صالحة لكل زمان ومكان، فواجب المسلم أن يسّلم لأمر الله تعالى، وينقاد ويُذعن لحكمه، ويطمئن لشرعه، لأنّه لا يصدر من الحكيم إلاّ ما هو محكم، وعن حكمة ودراية لا عن هوى وطيش، والله أعلم.

---

(1) انظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص١٠١.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٣.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٠)

بعد أن ذكرت الآية السابقة في هذا الاقتران عدة النساء المطلقات غير ذوات أحمال، جاء السياق القرآني في هذه الآية ليبيّن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها حال الوصية، أن يوصي لها أن تبقى في بيت زوجها المتوفى حولاً كاملاً مع حقها في النفقة عليها من التركة، فإذا انتهت السنة فلا حرج عليها إن تزوجت وخرجت من بيت زوجها المتوفى.

يقول الزمخشري: "أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا، أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخت المدة بقوله: (أربعة أشهر وعشرا) وقيل: نسخ ما زاد منه على هذا المقدار، ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثمن."[١]

في حين ذهب فريق من المفسرين إلى القول أنّه لم ينسخ منها شيءً، وأن الحكم بقي على ما هو عليه، وهو أربعة أشهر وعشرا للوجوب، وسبعة أشهر وعشرين ليلة وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت[٢]

يقول البقاعي في التعليق على الاقتران: هذا تهديد شديد للأولياء إن لم ينفذوا ويمضوا هذه الوصية بما ألزم الله، ففي لاحته أن من أضاع ذلك ناله من عزة الله عقوبات في ذات نفسه، ويجري مأخذ ما تقتضيه العزة على وزن الحكمة جزاء وفاقا وحكما قصاصا.[٣]

جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة " والله عزيز حكيم " وهي صيغة تدل على التهديد والوعيد لمن خالف أوامره، فهل الحكم المنسوخ بحكم آخر يمكن أن يحمل التهديد والوعيد على

---

(1) الزمخشري، الكشاف،مصدر سابق، ج١،ص ٢٨٩.

(2) انظر الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج٥، ٢٦٠.

(3) انظر : البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق،ج ٢، ص٣٨١.

مخالفيه، والحق تعالى لم يكلفهم به لنسخه ؟ ثم إنّ مدلول الاقتران يدل على العزة والحكمة وهي كمال القدرة والإحكام، والنسخ يتعارض مع الإحكام، إذ كيف يكون الحكم محكماً ثم ينسخ بغيره ؟ فنسخه يدل على عدم إحكامه وهذا يتعارض ودلالة الاقتران، فهل الحكم المنسوخ بحكم آخر يمكن أن يكون محكماً وهو منسوخ في الوقت نفسه ؟ من هنا يبرز التعارض من كون الحكم منسوخاً ودلالة الاقتران وسياق الآية ، فيحمل التهديد للولي كما قال البقاعي في حالة إرغامه المرأة على تطبيق المندوب من الوصية أو عدم تطبيقه، أو إرغامها على فعلٍ لا تريده، كما كان شأن العرب في الجاهلية، فجاء الاقتران ليحمل لتهديد من العودة لمثل هذا الأمر الجاهلي، فجاء باسم العزيز، والحكيم في أحكامه وشرعه، فلم يشرع لهم إلاّ ما فيه مصلحةً للأسرة وللمجتمع وللمرأة على السواء، والله أعلم .

٥ -قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المائدة : ٣٨)

نهى الحق جل جلاله المؤمنين عن السرقة وحذرهم منها، وأمر بإنزال العقوبة العاجلة عليها، فجاءت الآية تحمل التهديد والوعيد، وقدم السارق على السارقة لوقوعه أكثر من الرجال، ولجرأتهم على السرقة أكثر من النساء، وذكر السارق والسارقة وهو كناية عن شمولية الحكم للرجال والنساء على السواء، وقد اختلف الفقهاء في المقدار الذي تقطع به يد السارق، ومكان القطع، وهو خارج الموضوع فلا داعي للاستطراد فيه.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : ومن سرقَ من رجل أو امرأة، فاقطعوا، أيها الناس، يده ولذلك رفع"السارق والسارقة"، لأنهما غير معيّنين. ولو أريد بذلك سارقٌ وسارقة بأعيانهما، لكان

وجه الكلام النّصب، (والله عزيز حكيم) يقول جل ثناؤه:(والله عزيز) في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه ،(حكيم) في حكمه فيهم وقضائه عليهم.[١]

وفي بيان صيغة الاقتران وروده تبين هذه القصة ما كان عليه العرب من بلغة وفصاحة مع أنهم أمّيّون لا يقرءون ولا يكتبون ، يقول ابن الجوزي:" قال الأصمعي: قرأت هذه الآية (السارق والسارقة)، وإلى جنبي أعرابيٌ، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فقال:أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع."[٢] فأيُ بلاغة هذه البلاغة، وأيُ فصاحة يتمتع بها هذا الكتاب الخالد، فكل لفظة في موضعها لا يستقيم المعنى بغيرها بشهادة القاصي قبل الداني.

لمّا كان المال عصب الحياة، والنفوس جبلت على حبه، كان لابد من حفظه من الأيدي العابثة، فجاءت الحدود لهذه الغاية السامية، وشرع الأحكام لهذا الهدف النبيل، فهذا القطع لذلك العضو المتطفل، إنما هو جزاءً بما كسب نكالاً وعقوبةً من الله تعالى ليكون عبرةً لغيره، ولكي تعلم الأمة أنّ هذه الأحكام لم تشرع للقصاص وللانتقام، وإنما شرعت لتعالج هذا الفعل الذميم، والداء السقيم، المرض الخطير، وللحفاظ على الأموال والأعراض والأنفس من العبث والجور، فدرء المفاسد أولى من جلب المصالح، فحملت دلالة الاقتران (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التهديد والوعيد من هذا

---

(1) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢٩٤.

(2) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير،ت عبد الرزاق المهدي، الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٢٢ هـ،ج١، ص٥٤٦.

الجرم، مع ما في تكرار لفظ الجلالة من زيادةٍ في الترهيب والتخويف، وتعظيمٍ للأمر فلا ينتهك، فالعزيز الغالب القادر على الانتقام؛ لأنّ الحكم لا يصدر إلاّ عن كمال عزة وقوة، لا عن خوف وجبن، حكيم في شرعه وحكمه فلا يشرع لكم إلاّ ما يصلح لكم دينكم ودنياكم وآخرتكم، وليحفظ أموالكم وأعراضكم من كل عابث.

٦ -قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٧)

من المعلوم أنّ النبي–صلى الله عليه وسلم– جاء بهذا الشرع ، والأمة مأمورة باتباعه بكل ما أُمر به، واجتناب كل ما نُهي عنه، ولذا كان وقع الخطأ منه–صلى الله عليه وسلم– أشد، فحمل الخطاب الرباني في هذه الآية صيغة العتاب مع التهديد والوعيد من العودة لمثل هذا الأمر – في شأن الأسرى وقبول فديتهم–، فيقول الحق تبارك وتعالى: ما كان ينبغي للنبي ولا يصح منه، وهو المشرع لأمته أن يقبل بشيء من عرض الدنيا بهؤلاء المشركين الذين خرجوا لقتاله، بل كان الأولى به قتلهم والتنكيل بهم، حتى يعلموا شدة المؤمنين على الكفار، وأنّه لا تأخذهم بالله تعالى لومة لائم ، فجاءت الآية الكريمة تعالج هذا الحكم من أحكام الجهاد.

ولمّا كان مسعى المؤمن رضا الله تعالى وغايته الدار الآخرة وهي التي يريدها الله تعالى، بيّن لهم بطريق العتاب بأن لا يلتفتوا إلى الدنيا لِأنّ الله تعالى يريد لهم الآخرة، يقول ابن عاشور وجملة:" (والله عزيز حكيم) عطف على جملة: (والله يريد الآخرة) عطفا يؤذن بأن لهذين الوصفين أثرا في أنه يريد الآخرة، فيكون كالتعليل، وهو يفيد أن حظ الآخرة هو الحظ الحق، ولذلك يريده العزيز الحكيم ، فوصف العزيز يدل على الاستغناء على الاحتياج، وعلى الرفعة والمقدرة، ولذلك لا يليق به إلا محبة الأمور النفيسة، وهذا يومئ إلى أن أولياءه ينبغي لهم أن يكونوا أعزاء ... فلأجل

ذلك كان اللائق بهم أن يربأوا بنفوسهم عن التعلق بسفاسف الأمور وأن يجنحوا إلى معاليها، ووصف الحكيم يقتضي أنه العالم بالمنافع الحق على ما هي عليه، لأن الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه."(١)

جاءت الآية الكريمة لتبين حكماً آخر ولكن هذه المرة في أحكام الجهاد، وما يترتب على الأسرى من الأحكام، فحمل سياق الآية أمراً للنبي-عليه الصلاة والسلام- ولأصحابه من بعده، باستعمال القوة والشدة مع المشركين، وتجنب الرأفة واللين في حقهم، لأنّ الأصل في الأحكام أن ترد إلى الله تعالى أولاً وأخيراً، لكي لا يقع العذاب والنكال على الأمة، فكان واجبكم أيها المؤمنون التأني والتثبت قبل إصدار الحكم، فناسب تقدم اسم الله العزيز، ثمّ ورغّبهم سبحانه بالآخرة على الدنيا، وأن هذه الأحكام إنما شرعت لسعادة الدنيا والآخرة فجاء باسمه الحكيم، مع ما في الآية من صدق النبي بكل ما يخبر به، فلو كان القرآن من عند النبي -صلى الله عليه وسلم - لما عاتب نفسه بهذا الأمر، بل لأمضى الحكم دون أن يلفت النظر إليه، فكأن الخطاب من الله تعالى بأنّ هذا الأمر صدر عن رسوله عن حكمة أرادها؛ ليبيّن لهم صدق النبي بكل ما خبر به عن ربه تعالى، حتى لو كان هذا الأمر في حقه وعتابه -صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

من خلال الوقوف على الاقترانات السابقة في هذا المطلب نجد أن الصيغة واحدة وهي (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) عدا آيتين تقدم فيهما لفظ الجلالة ب (إنّ)، في الآية الأولى حذر الله المؤمنين من الزلل والعودة للذنوب- الشرك -من بعد ما جاءتهم البيّنات والدلائل على صدق النبوة، فناسبت صيغة التوكيد للاقتران، للتأكيد على عظم هذا الذنب، وللتحذير من العودة لمثل هذا الذنب العظيم، وأما الآية الثانية فتحدثت عن مال اليتيم ومخالطة أموالهم مع أموال أوليائهم، ثم حذرت الأولياء من الاعتداء على حقوق الأيتام وأموالهم وذلك أنهم ضعفاء مطموع فيهم ، فناسب التوكيد لصيغة

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٠، ص٧٧

الاقتران، فكان من باب التأكيد على عظم هذا الذنب، وتحذير للأولياء من هذا الفعل الشنيع، فناسب التوكيد لصيغ الاقتران.

أمّا باقي الآيات فإنها وإن كانت تحمل تهديداً ووعيداً، إلاّ أنّها لم تأت بالصيغتين السابقتين، وذلك أن جرمهم أقل إثماً، فالسرقة وإن كانت كبيرة إلاّ أنها أقل إثماً من الشرك ومن أكل مال اليتيم، وهو نفس الأمر مع حقوق المرأة وعدتها وأحكام الأسرى، والله اعلم.

حملت جميع آيات هذه الدلالة التهديد والوعيد والتخويف، وتحذر من هذه الأفعال، ومن العودة له.

وقد يطرأ سؤال عن صيغة هذا الاقتران، لماذا جاءت هنا بلفظ العزيز الحكيم بينما جاءت في الفصل السابق بصيغة العليم الحكيم مع العلم أنّ الآيات جاءت في أحكام شرعية هنا وهناك ؟

الجواب والله أعلم: إذا أمعنّا النظر في اقتران آيات الفصل السابق (العليم الحكيم) وجدناها تبين أموراً يغلب عليها الجانب الغيبي من جهة، ثم إنّ حكمها أقل إثماً وخطراً على الأمة والمجتمع من الأحكام التي جاءت في هذا الفصل، وثالثها إنّ هذه الأحكام جاءت مع اسم الله العليم، وهذا يبيّن أنّها جاءت بأسلوبٍ توجيهي تعليمي، فلمّا ذكر الحق سبحانه أنه عليم فهي إشارة لتتعلموا من علمه سبحانه، ولتظهر آثار علمه عليكم فتحتكمون إليها، مثلاً: قتل الخطأ وهو ما كان من غير تعمد، أو سبق إصرار وهو أمر غيبي من جانب، ثمّ إنّ الله تعالى لا يرضى أن يقتل إنسان بإنسان قتل من غير إرادة أو سابق إصرار، لأن الله تعالى رفع الحرج عن هذه الأمة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، في المقابل هنا السرقة لا تكون إلاّ متعمدة، وعن قصد وسابق إصرار، ثمّ إنّها أحكام جديدة يجهلها المجتمع المسلم، مثال آخر: أحكام المواريث، فالوارث يستطيع أن يدافع عن حقه بنفسه، أو يأخذ القاضي له حقه، لأنها أنصبة قد بيّنها الله تعالى ولا يستطيع أحد تغييرها، ثمّ إنها أحكام تعليمية جديدة يجهلها المجتمع المسلم، بينما هنا مخالطة أموال اليتامى الذي لا يستطيع أن يدافع عن حقه وليس هناك ما يثبت الحق له، إلاّ ذمة الولي وإيمانه، أيضاً في الاقتران السابق

جاء ذكر مصارف الزّكاة وحرمة المشركين من دخول المسجد الحرام وحكم المهاجرات من المؤمنات وحق المرأة في المهر، الاستئذان ، فجميعها جاءت بأحكام أقل إثماً وغلب عليها الجانب الغيبي والتعليمي في حين جاء الاقتران في هذا المطلب بصيغة (العزيز الحكيم)غلب عليه التهديد والوعيد والقوة والشدة ، في أغلب أحكامه وذلك لما فيه من خطر على الأمة والمجتمع ، فجاءت هذه الأحكام من كمال عزة وقدرة نحو تهديد المرأة من كتمان ما خلق الله في رحمها، لما ما فيه من خطر على المجتمع في ضياع الأنساب، وكذلك السرقة فإنها تؤدي إلى أكل الحقوق الناس ظلماً، ومن العودة للشرك والذنوب بعد الإيمان، فجميع هذه الأحكام صادرة عن كمال عزة وقوة وحكمة، فجاءت تحمل الزجر والتهديد لتتناسب مع مقام الذنب الذي اقترفه الجاني، في حين أن الآيات الاقتران السابق (العليم الحكيم) غلب عليها جانب العلم والتعليم أكثر من جانب التخويف والزجر لأنها في أغلبها أحكام جديدة على المجتمع المسلم ، فناسب الاقتران صيغ الآيات التي ورد معها، والله أعلم.

ثانياً – التأييد بالمعجزات والآيات، وإظهار فضل الله ومنّه على أنبيائه وعلى المؤمنين بالنصر والتمكين.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٠)

ذكرت الآيات السّابقة لهذه الآية من سورة البقرة كمال قدرة الله تعالى وأنّ له من العظمة وسائر صفات الكمال ما لا تحيطه العقول البشرية الناقصة من إحياء الموتى كما هي في قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، أو في قصة الذي حاجّ إبراهيم –عليه السلام –في ربه، فجاءت هذه الآية لتبين فضل الله تعالى على نبيه وخليله إبراهيم –عليه السلام– حين طلب من الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، ولم يكن ذلك عن شكٍ منه لا قدر الله تعالى، ولكن ليزداد يقيناً بالله تعالى، وليترقى في درجات الإيمان .

يقول سهل التستيري([1]): "لم يكن سؤاله ذلك عن شك، وإنما كان طالب زيادة يقين إلى إيمان كان معه، فسأل كشف غطاء العيان بعيني رأسه ليزداد بنور اليقين يقيناً في قدرة الله، وتمكيناً في خلقه، ألا تراه كيف قال: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى فلو كان شاكاً لم يجب ب «بلى» ، ولو علم الله منه الشك وهو أخبر ب «بلى» وستر شكه لكشف الله تعالى ذلك، إذ كان مثله مما لا يخفى عليه، فصح أن طلب طمأنينته كان على معنى طلب الزيادة في يقينه."([2])

لمّا كان إحياء الموتى من الأمور الغيبية المعجزة، التي يجب الإيمان بها والتسليم لها، وهذا لا يكون إلاّ عن كمال قدرة وإرادة، ولذا ختم الحق سبحانه الآية بقوله: (والله عزيز حكيم) يقول البقاعي: (واعلم أن الله)، أي: المحيط علما وقدرة (عزيز) ولما كان للعزة صولة لا تقوى لها قدرة المخترعين نزل تعالى الخطاب إلى محل حكمته فقال: (حكيم) فكان فيه إشعار بأنه سبحانه وتعالى جعل الأشياء بعضها من بعض كائنة وبعضها إلى بعض عائداً وبعضها من ذلك البعض معاد ، وهذه الحكمة التي أشار إليها اسمه الحكيم حكمة ملكوتية جامعة ما بين حكمة الدنيا وحكمة الآخرة، فله سبحانه وتعالى العزة في خلقه وأمره وله الحكمة في خلقه وأمره ، فهو العزيز الحكيم، وقد لاح بهذا أن قصد الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين بل إلى حق اليقين، وكأنه عد المرتبة الدنيا من الطمأنينة بالنسبة إلى العليا.([3])

إن الله تعالى خلق هذا الكون وفق نواميس معينة، وقوانين محددة محكمة، لا تتغير ولا تتبدل، تجري وفق أمره تعالى وحكمته، ولا تستطيع قوة في الأرض مهما عظمت أن تغير أو تبدل

([1]) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري ولد سنة (٢٠٠ هجري) في تُسْتُر قرب شيراز في بلاد خوزستان. كان أحد أئمة الصوفية في عصره. له أقوال في تفسير بعض الآيات جمعها أبو بكر محمد البلدي في كتاب ونسبها إليه وعرف هذا الكتاب بتفسير التستري. توفي في البصرة. سنة ٢٨٣هجري ، انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) ،سير أعلام النبلاء ،ت شعيب الأرناؤوط ،الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ،١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ،ج١٣، ص٣٣٠ .

([2]) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، تفسير التستري،جمعه :أبو بكر محمد البلدي،ت محمد باسل عيون السود، الأولى، دارالكتب العلمية،بيروت، ١٤٢٣ هـ،ج١، ص٣٧.

([3]) انظر : البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٤، ص٧٢.

منها شيئاً، وتغييرها أو تبديلها يحتاج إلى كمال قوة وقدرة (معجزة)، لذا طلب الخليل –عليه السلام– من الله تعالى أنّ يريه بعين عينه لا بعين قلبه كيف يحيي الموتى، وإحياء الموتى من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وعظيم صنعه وإتقانه، التي يجب على المؤمن الإيمان بها، والتسليم لها، والانقياد لحكمه تعالى فيها، وخوارق العادة تحتاج إلى قوة وقدرة لتسييرها أو منعها، فناسب اسم الله العزيز، والحكيم من الإحكام في خلقه :أي أنّ خلقه محكم ليس فيه خلل ولا زلل، فالعزة كمال القدرة والحكمة باطن الإرادة، والخلق لا يصدر إلاّ عن كمال قدرة وحكمة حتى يقع على الوجه الصحيح، ولذا طلب الخليل هذه الآية ليترقى في درجات الإيمان، فقدرته تعالى مطلقة يحيي ويميت، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي ،حكيم في أفعاله تعالى يسيرها وفق حكمة بالغة الدقة، يُجري النواميس متى شاء، وكيف شاء، وفق أمره وحكمه، فناسب الاقتران سياق الآية، والله أعلم، مع ما فيها من جواز طلب الترقي في درجات اليقين.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنفال: ١٠)

لا تكون البشارة إلاّ في مواطن الرحمة والأخبار الحسنة، ولذا ذكّر الحق سبحانه عباده المؤمنين بفضله ونعمته على إمدادهم ألفاً من الملائكة لنصرتهم، فقال مظهراً فضله ومنته على المؤمنين :(وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ)، فهي بشارة للمؤمنين لتطمئن قلوبهم بنصره لأنّ النصر منه وحده تعالى.

يقول الطبري : " لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير إليكم ، أيها المؤمنون، مددا لكم إلا بشرى لكم، أي: بشارة لكم، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم ولتطمئن

به قلوبكم ، يقول: ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم ،وما النصر إلا من عند الله."(١)

ثمّ بيّنت الآية أن النصر من الله تعالى وحده لا من العدة والعتاد ولا حتى من الملائكة أنفسهم ليكون المؤمن متكلاً على الله في كل أمره مقبلاً عليه، يقول الرازي : "(وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) والمقصود التنبيه على أن الملائكة وإن كانوا قد نزلوا في موافقة المؤمنين، إلا أن الواجب على المؤمن أن لا يعتمد على ذلك بل يجب أن يكون اعتماده على إغاثة الله ونصره وهدايته وكفايته لأجل أن الله هو العزيز الغالب الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر، والحكيم فيما ينزل من النصرة فيضعها في موضعها."(٢)

جاء سياق يتحدث عن نصرة المؤمنين يوم بدر،إذ النصر منه وحده، لا من الملائكة وقوتهم، ولا من المؤمنين وعدتهم وعتادهم، ليكون المؤمن متوكلاً على الله العزيز الحكيم، فهو سبحانه بيده ملكوت كل شيء، وهو القادر على كل شيء، الغني عن الأسباب المادية والمعنوية، والنصر كما نعلم يحتاج إلى قوة وحكمة، فالقوة دون حكمة تؤدي إلى التهور وسوء التدبير، والحكمة دون قوة لا تقود إلى نصر، بل لابد من العزة والحكمة لتقودك إلى النصر والظفر، فكان النصر للمؤمنين بغاية الحكمة والإتقان لأن المؤمنين لم يخرجوا للقتال، بل خرجوا للقافلة والعير، فكانت المعركة عن حكمة من الله تعالى ليعز جنده بهذا النصر، فناسب الاقتران سياق الآية، والله أعلم.

٣- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٣)

---

(1) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١٣، ص٤١٨.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٦٠.

جاءت هذه الآية لتبين فضل الله تعالى، ومنّه على المؤمنين بأن أيّد نبيه -عليه الصلاة والسلام - بالنصر، وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، مع لفت نظر النبي- صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين إلى أنّه لو أنفق ملء الأرض ذهباً ما ألف بين قلوبهم، ولكن الله تعالى بفضله ألف بينهم، فأصبح العدو صديقاً، والبعيد قريباً.

يقول الطبري : "هو الذي جمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه الحق، فصيرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتا، وإخوانا بعد أن كانوا أعداء ... لو أنفقت، يا محمد، ما في الأرض جميعاً من ذهب وورق وعرض، ما جمعت أنت بين قلوبهم، ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت، تقوية من الله لك وتأييداً منه، ومعونة على عدوك."(١)

وأما عن تفسيره لصيغة الاقتران (إنه عزيز حكيم) وارتباطها في سياق الآيات، يقول الطبري: "إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما، وجعلهم لك أنصارا (عزيز)، لا يقهره شيء، ولا يرد قضاءه راد، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه. يقول: فعليه فتوكل، وبه فثق (حكيم) ، في تدبير خلقه."(٢)

بيّن سياق الآية الكريمة كمال قدرة الله تعالى وعظمته، وأظهر فضله على نبيه وعلى المؤمنين، بأن أيد نبيه بالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، ثم بيّن سبحانه أنّ مال الأرض وذهبها، وقوة الأرض وسكانها، لا تستطيع أن تؤلف بين القلوب المتناحرة، والألسنة المتصاخبة، ولكنه سبحانه ألف بينهم بقدرته، وجمع قلوبهم لنصرة دينه بحكمته، فجاء بصيغة الاقتران (إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) للدلالة على كمال قدرته وأنّه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإن كان التأليف بين قلوبهم من

---

(1) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١٤، ص٤٥.

(2) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١٤، ص٤٨.

الأمور المعجزة، فإنّ ذلك ليس على الله بعزيز، وجاء بأداة التوكيد للتأكيد على كمال قدرته وحكمته، وجاء باسم الله العزيز لبيان كمال قدرته، والحكيم في خلقه العليم في أفعالهم، فحكمه فيهم ماضٍ، وأمره عليهم جارٍ، يضع الأمور في نصابها، فحمل الاقتران كمال القدرة في تأليف القلوب، وكمال الغاية وهي نصرة دينه بهذا التأليف، والله أعلم.

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة: ٤٠)

في الآية القرآنية خطاب من الله تعالى للمؤمنين خاصةً، وللبشر عامةً، أنّه ناصر دينه ونبيه، وإن خذله أهل مكة وجميع أهل الأرض، لأنّه الدين الذي ارتضاه لعباده، وأتمه عليهم، وأكمله لهم، ثم ذكّره فضله وكيف أنجاه وصاحبه وهو في الغار- مع ما فيه من إظهارٍ لشرف أبي بكر وفضله ومكانته - وإنزال السكينة عليه، وأيده بجنود من عنده، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، فجاءت هذه الآية القرآنية تبيّن فضل الله تعالى على نبيه-عليه الصلاة والسلام - ولِيطمئنه، ولِتطمئن أمّته من بعده، أنّ هذا الدين باقٍ، وأنّه سيظهره على الدين كله، وإن خذله من خذله، مع ما تحمله هذه الآية من البشرى بالنصر والتمكين في الأرض.

يقول الطبري : "وهذا إعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدو في كثرة."[١]

([1]) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١٤، ص٢٥٧.

ثم بينت الآية الكريمة فضل الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وعلى صحبه ليبقى ذكرهما في العالمين يتلى إلى يوم القيامة، يقول الواحدي في قوله تعالى : (لا تحزن إن الله معنا) يمنعهم منا وينصرنا (فأنزل الله سكينته) ،أيّ: ألقى في قلب أبي بكر ما سكن به ، (وأيده) أي: رسوله بجنود لم تروها ، قوّاه وأعانه بالملائكة يوم بدر ، (وجعل كلمة الذين كفروا) وهي كلمة الشرك (السفلى وكلمة الله) هي: كلمة التوحيد لأنها علت وظهرت وكان هذا يوم بدر.(١)

ولمّا كان النص الكريم يحتاج إلى قوة وحكمة؛ لأنّ فيه نصراً وتمكيناً جاء بصيغة الاقتران (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) " أي والله غالب على أمره، حكيم إذ يضع الأشياء في مواضعها، وقد نصر رسوله بعزته، وأظهر دينه على الأديان كلها بحكمته، وأذل من ناوأه من المشركين."(٢)

تحدثت الآية الكريمة عن فضل الله على رسوله وأنه ناصر دينه لا محالة ، ولكن واقع الحال يبيّن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة مهاجراً إلى الله تعالى بدينه بعدما أرادت قريش قتله، فخرج منها خائفاً يترقب، ذلك يريد قتله وآخر يريد المنحة والعطاء، فأين النصر؟ إن الله تعالى قادر على كل شيء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ينزل العزة بصورة ذلة، وينزل الذلة بصورة العزة، ويعز في موطن الذلة، ويذل في موطن العزة، ينصر بالأسباب، وبعكس الأسباب ، فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من مكة فاراً بدينه مهدد بالقتل، يُرى للناظر أنها ذلة، ولكن أراد الحق جل جلاله الذي بيده تصريف الأمور أن ينزل العزة على رسوله في موطن يُرى للناظر أنه الذلة، ويبيّن أنّ النصر بيده تعالى، وليست بالأسباب المادية والمعنوية، ولكن من الواجب على المسلم الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية دون الاتّكال عليها، ولذلك اختار لنبيّه أدق المواقف، وأصعب اللحظات، لكي يرى الناظر كمال قدرته تعالى، فجاءت العزة في موطن الذلة فكان خروجه من مكة نصراً، وهجرته عزّاً، وكيف لا يكون نصرا وبهذا الخروج أصبح للإسلام دولةً

---

(1) انظر : الواحدي، الوجيز، مصدر سابق، ص٤٦٤.

(2) المراغي، تفسير المراغي، مرجع سابق، ج١٠، ص١٢٢.

وسيادةً وأرضاً، وشعباً ودستوراً وقائداً، وبه أصبحت كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، ولذا جاءت صيغة الاقتران مناسبة لمدلول سياق الآية، فالنصر وإنزال السكينة، والتأييد بالجند، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، لا تكون إلاّ من كمال عزة وقوة وقدرة، ومن كمال حكمة وعلم ، فينزلها في الوقت المناسب، والمكان المناسب .

٥-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ٧١

تحدث النص القرآني عن صفات المؤمنين وأخلاقهم التي صقلهم بها الإسلام، ورباهم عليها القرآن، وأمرهم بها المنان، وعلّمهم تطبيقها خليل الرحمن، فجاء الخطاب الرباني ليسطر هذه الأخلاق للناس على مر العصور وطول الدهور، وليبيّن الحق سبحانه فضله على عباده، وأنّه سيشملهم برحمته وفضله، يعمهم بمنّه وكرمه.

يقول الطبري : يقول تعالى ذكره: وأما "المؤمنون والمؤمنات"، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم: أن بعضهم أنصار بعض ، يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به من عند الله، وينهون عن المنكر، ويؤدون الصلاة المفروضة ، ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ،ويطيعون الله ورسوله، فيأتمرون لأمر الله ورسوله، وينتهون عما نهاهم عنه، هؤلاء الذين هذه صفتهم، الذين سيرحمهم الله، فينقذهم من عذابه، ويدخلهم جنته.[١]

جاء الاقتران متناسباً وِسياق الآية في قوله : (إن الله عزيز حكيم) " فهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب؛ لأن العزيز هو من لا يمنع مراده في عباده من رحمة أو عقوبة ، والحكيم هو المدبر أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب."[٢] فيرحم من يستحق الرحمة ويعذب من يخالفه، فلا راد لِقضائه ولا معقب لحكمه .

([1]) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٤٧.

([2]) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١٦، ص١٠١.

بيّن الخطاب القرآني صفات المؤمنين، في حين كانت الآيات التي سبقتها بينت صفات المنافقين والمشركين، وحال بعض الأمم السابقة، فجاءت هذه الآية لتبين فضله تعالى على المؤمنين، وأنهم هم من يستحقون الرحمة دون غيرهم، وجاء بالسين لتفيد التأكيد في المستقبل، وختمت الآية بقوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)،أي: أنّ حكمته وأمره نافذ في خلقه بقوته وعزته فيرحم المؤمن بعزته، ويعذب المشرك بقوته وقدرته، وتكرر لفظ الجلالة في قوله (أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ) فيه زيادة في الترغيب، وجاء بأداة التوكيد زيادة في لتأكيد على كمال عزته وحكمته، وأنّ حكمه نافذ في خلقه مسلمهم ومشركهم، ولا يمنع من حكمه أحد، يجري الأمور في غاية الدقة والإحكام، دون خلل أو زلل.

ثالثاً – ذكر المنافقين وأوصافهم

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٤٩)

أوضحت الآية الكريمة حال المنافقين، وكشفت عن نواياهم الخبيثة اتجاه الإسلام وأهله، وما يروجونه من أقول لزعزعة صف المسلمين، وتفريق وحدة المؤمنين، ثم لفتت الآية الكريمة الانتباه إلى ما يجب على المسلم أن يتحلّى به من عزم لدينه ومبادئه وأخلاقه، أنّ لا يثني كلام المتكلمين من عزمهم، وأنّ لا يثبط من همتهم.

يقول البقاعي : في قوله تعالى: "(إذ يقول المنافقون) غر هؤلاء مشيرين إلى المسلمين ، "دينهم" أي: في إقدامهم على ما يقطع فيه بهلاكهم ظنا منهم أن الله ناصرهم وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف من ملوك العرب، فيغيظكم ذلك، فكذبهم الله وصدق أمركم بتوكلكم عليه وصبركم على دينكم."[١]

([1]) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص٢٩٩-٣٠٠.

وأما عن ختم الآية فقد جاء متناسباً مع سياق الآية من حيث الدلالة والمعنى بأنّه تعالى ناصر من يتوكل عليه ، مع ما يحمله أيضاً من طمأنة للمؤمنين وإظهاراً لخيبة أمل المنافقين ، يقول ابن عاشور: "إن الله خيب ظنون المنافقين لأن المسلمين توكلوا عليه، وهو عزيز لا يغلب، فمن تمسك بالاعتماد عليه نصره، وهو حكيم يكوّن أسباب النصر من حيث يجهلها البشر، فإن الله عزيز حكيم جوابا للشرط باعتبار لازمه، وهو عزة المتوكل على الله، فهو كناية عن الجواب وهذا من وجوه البيان."[١]

بعد أن كشفت الآية القرآنية عن الأنفس المريضة الحاقدة على الإسلام وأهله، وأظهرت خيبة أمل المنافقين، وتشدق المتكلمين، جاء النص القرآني يبيّن حال المؤمنين؛ وتوكلهم على الله تعالى وتواضعهم له، والانقياد والاستسلام لأمره تعالى، فجاء الاقتران في جواب الشرط يبيّن أنّ من يتوكل على الله الموصوف بجميع صفات الكمال فلابد وأن يناله عزّ من عزّه، وحكمة من حكمته، ورفعة من رفعته، وقوة من قوته، فحملت الآية بشرى للمؤمنين، وطمأنة لهم بالنصر والتمكين في الأرض، فناسب السياق الآية دلالة الاقتران والله اعلم .

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج١٠، ٣٨.

المبحث الثالث

سياق الآيات التي اقترنت بها صيغة "عزيزاً حكيماً" و"العزيز الحكيم" والموضوعات التي تناولها السياق

المطلب الأول

"عزيزاً حكيماً" والموضوعات التي تناولها السياق الآيات

جاء هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في مواضع خمسة، جميعها آيات مدنية، في حين لم يرد هذا الاقتران في الآيات المكية مطلقاً، ومن خلال النظرة الأولى يبرز الأثر التوجيهي والتربوي لهذه الأمة لأنّ الخطاب موجه للمؤمنين من ناحية، ومن ناحية أخرى يحمل طمأنةً للمؤمنين وبشارات لهم، وقد ورد ثلاث منها في سورة النساء واثنتان في سورة الفتح، حملت صيغ الاقتران في هذا الآيات القرآنية صيغةً واحدة وهي (وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) وهذه الصيغة تفيد الاستغراق في الزمان والمكان –أي كان ومازال وسيبقى–، عدا اقتران واحد تقدم فيه لفظ الجلالة مع أداة التوكيد على الفعل (كان)، وقد جاءت بصيغة(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)وقد حملت صيغة هذا الاقتران الدلالات على النحو الآتي:

١- بيان كمال قدرة تعالى وفضله على أوليائه.

٢- ذكر الرسل والغاية من إرسالهم.

أولاً – بيان كمال قدرته تعالى.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ ﴾ النساء: ١٥٨

ذكر السياق القرآني صفات اليهود ومزاعمهم، وقولهم الذي قالوه في حق مريم –عليها السلام – بهتاناً وزوراً، وقولهم أنّهم قتلوا المسيح عيسي–عليه السلام–، فجاءت الآية القرآنية تنفي مزاعمهم جملةً وتفصيلاً، بأنّ عيسى–عليه السلام– لم يقتل ولم يصلب، بل رفعه الله تعالى إليه، فبيّنت الآية الكريمة كمال قدرة الله تعالى وفضله، فهو رب الأسباب، ومسبب الأسباب، وغني عن جميع الأسباب.

يقول الطبري : "بل رفع الله المسيح إليه. يقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكن الله رفعه إليه فطهره من الذين كفروا."[١]

قدرة الله تعالى مطلقة لا تحدها حدود، ولا تخضع لقوانين العقل المنطق والقياس، فنبّه سبحانه عباده أنّ رفعه لعيسى–عليه السلام– في الدنيا كان عن كمال قدرة وحكمة، لاعن قدرة مجردة من الحكمة، يقول الرازي: "والمراد من العزة كمال القدرة، ومن الحكمة كمال العلم، فنبه بهذا على أن رفع عيسى من الدنيا إلى السموات وإن كان كالمتعذر على البشر لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وإلى حكمتي، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ (الإسراء:١) فإن الإسراء وإن كان متعذرا بالنسبة إلى قدرة محمد– صلى الله عليه وسلم–، إلا أنه سهل بالنسبة إلى قدرة الحق سبحانه."[٢]

([1]) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ٩، ص٣٧٨.

([2]) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١١، ص٢٦٣.

بين الحق تعالى أن عيسى- عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب وأنّ الحق سبحانه رفعه إليه، ختم الآية بقوله (وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)وهو ختم يتناسب ودلالة الآية، فتكون دلالة الاقتران: لمّا كان الرفع عيسى -عليه السلام -إلى السماء أمراً ويحتاج إلى كمال قدرة(معجزا)، والبشر عاجزون عن مثل ذلك، لأنّ قدرتهم محدودة، وعلمهم وحكمتهم كذلك، فلا يقاس المحدود بلا محدود، بنسبة إلى قدرة الله- تعالى الذي لا يعجزه شيء- فهو العزيز الذي يُعز أولياؤه بعزته ، وحكيم حيث أتقن ما فعل على وجه من الحكمة والإتقان، فرفعه كان عن كمال حكمة ليميز المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، فناسب الاقتران سياق الآية، فحمل كمال القدرة وباطن الإرادة، مع ما أفاده الفعل (كان) ولفظ الجلالة من الاستغراق والتعظيم والله اعلم.

٢-قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ ﴾ (الفتح: ٧)

تحدثت الآية الكريمة عن الملكية المطلقة لله تعالى، وأنّه المتصرف في شؤون الكون، يسيّره كيف ما شاء بدقة وإتقان دون جور أو محاباة، فبيّنت الآية القرآنية كمال قدرة وعظمة ملكه تعالى، وأن ما في السماوات والأرض جنود لله تعالى، وفي قبضته، وتحت سلطانه، فهو العزيز الحكيم، وقد تكررت هذه الآية مرتين في هذه السورة -سورة الفتح- المرة الأولى جاء قوله تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ ﴾ (الفتح:٤) وهي بعد أن ذكر حال المؤمنين وإنزال السكينة عليهم، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، فإنزال الرحمة بعلمه ورحمته بهم ، فناسب أسم الله العليم ،الثانية هذه الآية حيث جاءت عزيزا حكيما بعد أن ذكر إدخال المشركين النار وهي مناسبة لكمال العزة والقدرة .

يقول الرازي في تفسير قوله (وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) : جنود الله إنزالهم قد يكون للرحمة ، وقد يكون للعذاب، فذكرهم أولا لبيان الرحمة بالمؤمنين ،وثانيا لبيان إنزال العذاب على الكافرين، ثم

قال هناك وكان الله عليما حكيما (الفتح: ٤) ،وهنا وكان الله عزيزا حكيما؛ لأن قوله ولله جنود السماوات والأرض (الفتح: ٧) فيكون المقصود من ذكرهم للإشارة إلى شدة العذاب، فذكر العزة كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الزمر: ٣٧) ،ثمّ ذكر جنود السموات والأرض قبل إدخال المؤمنين الجنة، وذكرهم هاهنا بعد ذكر تعذيب الكفار وإعداد جهنم، لأن الله تعالى ينزل جنود الرحمة فيدخل المؤمنين مكرمين معظمين الجنة، ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم، وأما في الكافر فيغضب عليه أولا فيبعدهم ويطردهم عن رحمته، ويدخلهم جهنم ويسلط عليهم ملائكة العذاب وهم جنود الله تعالى.[١]

وجهان متناقضان في إدخال المؤمنين والمؤمنات جنات مع الخلود الأبدي، وتكفير الخطايا والسيئات عنهم، وتعذيب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات؛ لظنهم السيئ بالله تعالى، مع ما ينتظرهم من غضبٍ ولعنةٍ وعذاب، فجاءت الآية بعد ذلك لتبيّن كمال قدرته وهو أنّ جنود السماوات والأرض ملك لله تعالى ، وفي قبضته وتحت سلطانه فتقدم المسند يفيد الحصر فلا يعتد بما يجمعه الملوك من جنود وعتاد بالنسبة لما عند الله فهو الملك الحق، وقوله الفصل، يُدخل من يشاء في رحمته وجنته، ويعذب من يشاء بذنوبهم وأعمالهم، فناسب ذكر اسم الله العزيز لأنّه لا رادّ لقضائه، وحكيم في حكمه وقضائه، بإدخال المؤمنين الجنة، وإدخال المشركين النار، وتكون أيضاً بمعنى العلم فيعلم من يستحق دخول النار بعمله، ومن يستحق دخول الجنة فيوفقه للعمل لها.

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الفتح: ١٩)

بشارات كثيرة للمؤمنين حمله سياق الآيات بالرضا عنهم، وإنزال السكينة عليهم، وبفتح قريب لهم، –قيل خيبر وقيل صلح الحديبية – ومغانم كثيرة يأخذونها، مع ما يعتريهم من شدة وحاجة وفاقة إليها ، ثم بيّن أنّ الأسباب الدنيوية المادية والمعنوية، وعدة المشركين وعتادهم، أمام

([1]) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٨، ص٧١.

أمر الله تعالى وقدرته لا قيمة لها، فهو الذي يجري الأسباب ويسيرها، وما الفتح والنصر والمغنم والرضا إلاّ بيده وحده ، وأن الأرض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قال البقاعي في تفسير هذه الآية مبيناً قيمة هذا الفتح وأهميته: "ولما ذكر الفتح ذكر بعض ثمرته فقال: (ومغانم) فنبه بصيغة منتهى الجموع إلى أنها عظيمة، ثم صرح بذلك في قوله:(كثيرة) ولما كان الشيء ربما أطلق على ما هو بالقوة دون الفعل، أزال ذلك بقوله تعالى (يأخذونها) وهي خيبر. ولما كان ذلك مستبعدا لكثرة الكفار وقلة المؤمنين، بين سببه فقال عاطفا على ما تقديره: بعزة الله وحكمته ."(١)

ثمّ ختمت الآية بصيغة الاقتران، يقول ابن عاشور: وجملة وكان الله عزيزا حكيما معترضة، وهي مفيدة تذييل لجملة وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها لأن تيسير الفتح لهم وما حصل لهم فيه من المغانم الكثيرة من أثر عزة الله التي لا يتعاصى عليها شيء صعب، ومن أثر حكمته في ترتيب المسببات على أسبابها في حالة ليظن الرائي أنها لا تيسر فيها أمثالها.(٢)

ولمّا ذكرهم الحق سبحانه بفضله عليهم- المؤمنين- ووعدهم هذه الوعود العظيمة ختم الآية بقوله (وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) من المعلوم أنّ الوعود لا تصدر إلاّ عن من يستطيع الوفاء به، وكلما كبر الوعد وازدادت بنوده أصبح من الصعب الوفاء به أكثر، فكيف تعد قلة ضعيفة قليلة العدد والعتاد بفتح قريب ومغانم كثيرة، وإذا كانت المغانم كثيرة، فإنّ عدد العدو سوف يكون كثيرا ؟ هذه الوعود في حق البشر صعبة، بل قد تكون مستحيلة، ولكن ليست في حق الله تعالى الذي له صفات الكمال والقوة المطلقة والقدرة التامة، فإنما أمره كن فيكون، فدلّ الاقتران على كمال قدرته،

---

(1) البقاعي ، نظم الدرر، مصدر سابق، ج١٨، ص٣١٧.

(2) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ج ٢٦، ح١٧٦.

باسمه العزيز الذي لا يغلبه شيء، القادر على كل شيء، والحكيم الذي يجري الأمور والأسباب وفق حكمة تامة وعلم تام، ثم دلل على كمال قدرته بقوله في الآية التي تليها ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ (الفتح: ٢٠)، وكأنّ المسلمين كانوا متشككين فأكد الوعد لهم مرة ثانية، فأنزل السامع منزلة المنكر، فناسب الاقتران سياق الآية والله أعلم.

٤- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (النساء: ٥٦)

جاءت الآية تحمل وعيداً وتهديداً للكافرين الجاحدين بآيات الله ورسوله من أهل الكتاب أو من مشركي العرب، بنارٍ عظيمة كلما نضجت جلودهم، بدلهم الله جلوداً غيرها؛ ليذوقوا أشد العذاب جزاء كفرهم وتعنتهم.

ثم بيّن الحق سبحانه أنّ هذا العذاب دائم مستمر، لا ينتهي ولا ينقطع أبداً ؛ لكفرهم وجحودهم بالله آياته، ويقول البقاعي في تفسيره لافتاً النظر إلى سبب تبديله سبحانه لجلود المشركين كلّما نضجت تلك الجلود فيقول: "(كلما نضجت جلودهم) فصارت كاللحم الميت الذي يكون في الجرح، فلا يحس بالألم(بدلناهم) أي: جعلنا لهم جلوداً غيرها ،أي: غير النضيجة بدلا منها بأن أعدناها إلى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها."[١]

ثمّ ختم الآية بهذا الاقتران ليبيّن أن هذا العذاب وقع بكيفية معينه وبحكمة بالغة ، يقول ابن عاشور في تفسير قوله:(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)" واقع موقع التعليل لما قبله، فالعزة يتأتى بها تمام القدرة في عقوبة المجترئ على الله، والحكمة يتأتى بها تلك الكيفية في إصلائهم النار."[٢]

([1]) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٥، ص٣٠٥.

([2]) ابن عاشور ،التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٥، ص٩٠.

هذه الفئة الكريمة لبيان صدق هذا الكتاب، وصدق ما يحتويه من إعجازٍ يكشف عنه العلم الحديث، ثبت علمياً "أن حدود الشعور بألم الكي في الجلد السطحي، فلو احترق الجلد ووصل إلى اللحم لما كان هناك شعور بالألم بالدرجة نفسها للكي السطحي؛ لأن الأعصاب التي تشعر بالألم موجودة في الجلد الخارجي، أما في الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية، فالإحساس فيها ضعيف، لذلك يقول العلم الحديث: إن الحرق الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألما كثيرا، فكأن الآية الكريمة تبين أن النار كلما أنضجت الجلد الذي يحتوي على أعصاب الإحساس بالألم جددت هذه الجلود بجلود جديدة ليستمر الشعور بالألم بلا انقطاع ليذوقوا العذاب الأليم.[١]

كشف الخطاب عن حال المشركين يوم القيامة ومآلهم، وأوضح عن كيفية عذابهم، وأنه دائم مستمر لا ينتهي، وأنّ هذه الجلود تغير وتبدل وذلك لحكمة أرادها الله تعالى، وهي أنً الجلود إذا نضجت أصبح الجسم غير متأثرة بحرٍ أو قرٍ، ومن هنا كانت الحكمة تقضي بتغيير الجلود وتبديلها، وقد جاءت صيغة الاقتران في هذه الآية بقوله (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) فجاء بأداة التوكيد، للتوكيد على قدرته تعالى على إيقاع العذاب بهذه الطريقة، على هذه الكيفية، ولأنّ الخطاب موجه للمشركين وهم كما نعلم منكرين للبعث والحساب فناسب التأكيد لمقام حالهم، ثم جاء بلفظ الجلالة للترهيب، وجاء بالفعل (كان)، للاستغراق في الماضي والحاضر والمستقبل، ولمّا ذكر الحق قدرته على البعث والحساب وتعذيب المشركين بهذه الكيفية وهذا لا يكون إلاّ عن كمال قدرة، فناسب مجيء اسم الله العزيز، وأمّا الحكمة من ذلك التبديل، ليبقى في العذاب السرمدي أبد الدهر، والله اعلم.

([1]) مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، الثالثة، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

ثانياً – ذكر الرسل والغاية من إرسالهم

١-قَالَ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء: ١٦٥)

القرآن: هو حجة الله تعالى على خلقه، وبرهان على صدق رسوله، فهو المهيمن على الكتاب كله، ذكرت الآيات السابقة من سورة النساء جمعاً غفيراً من الرسل من ذرية نوح –عليه السلام– منهم من قص قصصهم، ومنهم من لم يقصص، ثمّ وأضح الحق سبحانه الغاية من إرسال الرسل، فهم مبشرون ومنذرون لئلا يكون للناس حجة على الله تعالى، وكانت الآيات السابقة لهذه الآية قد بيّنت إنّ أهل الكتاب آمنوا بكثير من الرسل قبلك، وأغلب الرسل ليس لهم كتب سماوية ومع ذلك فإنّ اليهود وغيرهم من النصارى يؤمنون بهم، فلماذا هذا الاحتجاج على رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – دون سائر الأنبياء، مع أن الغاية من بعثهم جميعا واحدة.

وأمّا عن تعنت أهل الكتاب وما يروجونه من شبهات، حول نزول القرآن منجماً، وليس دفعة واحدة، كما هو الحال مع التوراة، يقول سراج الدين الدمشقي:" هذه الآية جواب على شبهة اليهود، وتقريره: أن المقصود من بعثة الرسل أن يبشروا وينذروا، وهذا المقصود حاصل سواء كان الكتاب نازلا دفعة واحدة أو منجما، ولا يختلف هذا الغرض بنزول الكتاب منجما أو دفعة واحدة، إن إنزال الكتاب منجما مفرقا أقرب إلى المصلحة لأن الكتاب إذا نزل دفعة واحدة، كثرت التكاليف على المكلف، فيثقل فعلها."[١]

وأمّا عن مناسبة التذييل بالوصفين في قوله: "عزيزا حكيما" فيقول ابن عاشور: "لأن هذه الأخبار كلها دليل حكمته تعالى، وأما بوصف العزيز فلأن العزيز يناسب عزته أن يكون غالبا من كل طريق فهو غالب من طريق المعبودية، لا يسأل عما يفعل، وغالب من طريق المعقولية إذ شاء

([1]) سراج الدين الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٧، ص١٣٧.

أن لا يؤاخذ عبيده إلا بعد الأدلة والبراهين والآيات، وتأخير وصف الحكيم لأن إجراء عزته على هذا التمام هو أيضا من ضروب الحكمة الباهرة."([1])

لفت الحق تعالى أنظار عباده إلى الحكمة من إرسال الرسل، وأبطل مزاعم أهل الكتاب وغيرهم ممن يحيك الدسائس والمؤامرات للإسلام والمسلمين، ثمّ ختم الآية بقوله (وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أي: الذي له كمال العزة، وكمال الحكمة والعلم، فطلبكم معشر اليهود إنزال القرآن دفعة واحدة كما هي التوراة أمر بالنسبة لقدرة الله تعالى هين؛ وأمّا حكمته فهي اختبار لأهل الكتاب؛ ليميز محسنهم من مسيئهم، ومؤمنهم من كافرهم، وللتخفيف على هذه الأمة، وليتدرّج عليها بالأحكام، حتى لا يضلوا كما ضل من قبلهم، فيهلكوا كما هلك من قبلهم، والله اعلم.

المطلب الثاني

الاقترانات التي جاءت بصيغة "العزيز الحكيم"

إنّ هذا الكتاب العظيم لم ينزل لفئة دون فئة، ولا لجماعة دون جماعة، ولا لجيل دون جيل، بل جاءت آياته موجة إلى جميع أطياف البشر على مر العصور من بعد نبيهم –عليه الصلاة والسلام – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، دون أن تخص أحداً منهم بالخطاب دون أحد، وقد ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في تسعةٍ وعشرين موضعاً، خمسة عشر منها آيات مكية وأربعة عشر آيات مدنية، من هنا ينظر إلى هذا الخطاب على أنّه يخاطب المجتمع المسلم وغير المسلم على سواء ، وذلك أنّ آيات المكية والمدنية جاءت متساوية ، أي إنّ الأحكام التي جاء بها هذا الاقتران يتساوى بها المؤمن والمشرك؛ لأنها تعالج جانب مشتركاً بين المؤمن والمشرك، ثمّ إنّ آيات هذا الاقتران جاءت متشابه من حيث ورودها في بداية السورة أو في سياق السورة، وقد جاء

([1]) ابن عاشور،التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٦، ص٤٤

هذا الاقتران بالتعريف ليفيد الاستغراق، وجاء الاقتران بأسلوبين الأول في بداية السورة القرآنية أو بعد الحروف المقطعة، والثاني في سياق السورة .

المطلب الثالث

الموضوعات التي اقترنت بها صيغة"العزيز الحكيم"في الآيات المكية

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في خمسة عشر موضعاً ، ورد بعضها في سياق السورة القرآنية، وبعضها في بداية السورة بعد الحروف المقطعة، وقد جاء الاقتران بصيغتين، الصيغة الأولى "وهو العزيز الحكيم " ليفيد القصر، والصيغة الثانية جاء بلفظ الجلالة مع صيغة الاقتران- الله العزيز الحكيم- ليفيد التوكيد والكمال في الوصف، مع ما أفاده التعريف من الاستغراق .

أولاً - الآيات التي جاءت في سياق السورة القرآنية، فقد حمل سياق آيات الاقتران عدداً من الموضوعات والدلالات المختلفة جاءت على النحو الآتي:

أ- إظهار فضل الله ومنّه على عباده.

ب- في مقام المدح والتعظيم والتقديس وتنزيه الله تعالى عن كل نقص.

ت- الجانب العقدي وإفراده سبحانه بالإلوهية.

أ- إظهار الفضل الله ومنّه على عباده.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ (إبراهيم: ٤)

يلمس المتأمل في الآية الكريمة فضل الله تعالى ومنّه على عباده؛ حيث أنّه لم يرسل رسولاً إلاّ بلسان قومه؛ ليبين لهم طريق الهداية والسداد، وأنّ من فضله تعالى أن أرسل إليهم رسل من بني جلدتهم وأهل لسانهم ليعلمهم ما يصلح دنياهم وآخرتهم، ثم بين الحق سبحانه أن الهداية والضلال بيده تعالى ، مع ما في الآية من الرد على المشككين والطاعنين.

يقول الرازي: فذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تكميل النعمة والإحسان في الوجهين. أما بالنسبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فلأنه تعالى بين أن سائر الأنبياء كانوا مبعوثين إلى قومهم خاصة، وأما أنت يا محمد فمبعوث إلى عامة الخلق، فكان هذا الإنعام في حقك أفضل وأكمل، وأما بالنسبة إلى عامة الخلق، فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولا إلى قوم إلا بلسان أولئك القوم، فإنه متى كان الأمر كذلك، كان فهمهم لأسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها أسهل، وعن الغلط والخطأ أبعد.(١)

وأمّا عن ختم الآية بصيغة الاقتران وعلاقتها بالسياق، فيقول ابن عاشور : "وجملة وهو العزيز الحكيم تذييل لأن العزيز قوي لا ينفلت شيء من قدرته ولا يخرج عما خلق له، والحكيم يضع الأشياء مواضعها، فموضع الإرسال والتبيين أتي على أكمل وجه من الإرشاد. وموقع الإضلال والهدى هو التكوين الجاري على أنسب حال بأحوال المرسل إليهم، فالتبيين من مقتضى أمر التشريع والإضلال من مقتضى أمر التكوين."(٢)

نفت الآية الكريمة أن يكون إرسال الرسل بغير لسان قومهم، ثمّ بيّنت الغاية من إرسال الرسل؛ وهي دعوة الناس لإخراجهم من الظلمات الكفر إلى النور الإيمان، إذ ليست الهداية بأيديهم فقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (البقرة –٢٧٢) ثم بيّن سبحانه

(1) الرازي، مفاتيح الغيب،مصدر سابق، ج١٩، ص٦٢.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٣، ص١٨٨.

كمال قدرته أنّ إرادته وقضاءه نافذ في خلقه، وأنّ الهداية بيده تعالى؛ لأنّه لا يمكن عقلاً أنّ تغلب إرادة العبد إرادة الله، فناسب أن يكون قضاء الله هو النافذ، ومن هنا جاء باسم الله العزيز لأنّ قضاءه لا يرد وأمره جارٍ على عباده شاءوا أو أبوا ، (حكيم) في حكمه وقضائه فيعلم من يريد الهداية فيوفقه له ، ومن يريد الضلال ويسعى له ، فيطمس على قلبه والله اعلم.

٢-قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (النمل: ٩)

موسى –عليه السلام – هو كليم الله تعالى الذي كلمه مباشرة دون واسطة، لتهيئة –عليه السلام – للرسالة والنبوة، وتمهيداً لما سوف يجريه على يده من المعجزات، ودلل على كمال قدرته تعالى من خلال المعجزات الباهرة التي سوف يجريها على يد موسى –عليه السلام – مع ما فيها من إظهاره تعالى لفضل موسى –عليه السلام– ومكانته.

ويقول البقاعي : قال معظما لموسى تمهيداً لما أراد سبحانه إظهاره على يده من المعجزات الباهرات : (يا موسى إنه) أي: الشأن العظيم الجليل الذي لا يبلغ وصفه ،(أنا الله) أي: البالغ من العظمة ما تقصر عنه الأوهام، فقال: (العزيز) أي: الذي يصل إلى جميع ما يريد ولا يوصل إلى شيء مما عنده من غير الطريق التي يريد، (الحكيم) أي: الذي ينقض كل ما يفعله غيره إذا أراد، ولا يقدر غيره أن ينقض شيئا من فعله، ولما كان التقدير: فافعل جميع ما آمرك به فإنه لا بد منه، ولا تخف من شيء فإنه لا يوصل إليك بسوء لأنه متقن بقانون الحكمة، محروس بسور العزة، دل عليه بالعطف في قوله: وألق عصاك أي لتعلم علما شهوديا عزتي وحكمتي .[١]

الله تعالى هو الموصوف بكمال العزة والحكمة، وكمال القدرة والعظمة ، وذلك أنّه لما كلم موسى –عليه السلام – واصطفاه للرسالة، دلل على صدق رسالة ونبوته بما تقبله العقول السليمة، وهي خوارق العادات (المعجزة) لتكون دليلاً على صدقه أمام فرعون وقومه، وحتى ينزع من قلب

([1]) انظر: البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج١٤، ص١٣٣-١٣٤.

موسى –عليه السلام – جميع أسباب الخوف والرهبة من فرعون وقومه، وليبيّن لموسى –عليه السلام – كمال قدرته وعزته وأنّ القوانين الكونية والنواميس، تجري وفق إرادة الله تعالى ومشيئته، فالعصا لا تكون أفعى إلاّ بقدرته، ولا تعود إلى طبيعتها إلاّ بإرادته، (حكيم)، يجري القوانين بغاية الدقة وإحكام، ويختار ويصطفي للرسالة والنبوة وفق حكمته وعلمه، فناسب الاقتران سياق الآيات.

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ ﴾ لقمان: ٩

أوضحت هذه الآية والآيات التي سبقتها من سورة لقمان حال المؤمنين وبيّنت أنّ الإيمان مقترن بالعمل، ثمّ كشفت عن الأجور المترتبة على ذلك العمل وهي جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا لا يكون إلاّ بفضل الله تعالى ومنّه على المؤمنين، وذلك عن وعدٍ من الله تعالى للمؤمنين والله لا يخلف الميعاد وهو العزيز الحكيم، ثمّ دلل على كمال قدرته بأن خلق السماء بغير عمد وألقى في الأرض رواسي .

بيّن الحق سبحانه أنّ وعده حقاً وأكد ذلك بصفتي العزة والحكمة ، يقول الزمخشري : "(وعد الله حقا) مصدران مؤكدان، الأول: مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره، لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد، وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه، يقدر على الشيء وضده، فيعطى النعيم من شاء، والبؤس من شاء، وهو (الحكيم) لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة."(١)

لما بيّن الحق سبحانه حال المشركين وحال المؤمنين، وبيّن ما يستحقه كل صنفٍ منهم من عذابٍ أو نعيمٍ، ختم الآية بصفتي العزة والحكمة، ومن المعلوم أن الوعد والوفاء به لا يكون إلاّ عن كمال قدرةٍ، فإدخال المشركين النار بقدرته وحكمته وعلمه ، وإدخاله من يشاء الجنة أيضاً بقدرته

---

(1) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق. ج٣، ص٤٩٢.

وحكمته وعلمه وفضله ، ثمّ دلل عليهما بخلق السماوات والأرض وما بث فيهما من خلق ، فيكون الاقتران مناسب لسياق الآية والله اعلم.

٤-قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ (فاطر: ٢)

هذه الآية القرآنية من سورة فاطر جاءت تذكّر الخلق بفضل الله تعالى ومنته عليهم، بعد ما بدأت السورة بحمده تعالى على خلق السماوات والأرض، وإرسال الملائكة، وبيان عظمة خلقه تعالى، وكمال قدرته على إيجاد الموجودات من العدم، ثمّ تبيّن أنّ حكمه نافذ في خلقه مسلمهم ومشركهم، وأنّ مشيئته نافذة في ملكه وسلطانه.

يقول البيضاوي: "(ما يفتح الله للناس)ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب، (من رحمة) كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة،(فلا ممسك لها)يحبسها، (وما يمسك فلا مرسل له) يطلقه، واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق بتناولها والغضب، وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه،(من بعده) من بعد إمساكه،(وهو العزيز) الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه، (الحكيم) لا يفعل إلا بعلم وإتقان، ثم لما بين أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر إنعامه.(١)

أبرز هذا النص الكريم كمال قدرة الله تعالى، وأنّه المتصرف في هذا الكون في الخلق وفي الرزق، فما أرسل من رحمة فمن ذا الذي يمسكها، وما أمسك من رحمة أو عذاب فمن ذا الذي يرسلها من بعده، ثم جاءت صيغة الاقتران بقوله (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ): لبيّن كمال قدرته في الخلق والرزق، وأنّ السماوات والأرض وما فيهن في قبضته وتحت سلطانه، وأنّ إرسال الملائكة– على عظمة خلقهم– رسلا يبيّن عظمة خلق الله تعالى، فناسب المقام مقام العزة والقوة والمنعة ، ثم بيّن

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج٤، ص٢٥٣.

أنّ أمره وحكمه نافذ في خلقه فلا راد لما قضاه ، فالعزيز الذي لا ردّ لقضائه ولا معقب لحكمه، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما أرسل من عذاب فلا مانع له ، وهو (الحكيم) في حكمه وقضائه يرحم من يستحق الرحمة، وينزل بأسه وعذابه على مستحقه، وعليه يكون الاقتران مناسباً لدلالة الآية وسياقها والله اعلم.

ب- في مقام المدح والتعظيم والتقديس، وتنزيه الله تعالى عن كل نقص.

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (النحل: ٦٠)

قد تلمس الكبر في نفوس بعض الناس، وذلك حين يمتلكهم الغرور بما اكتسبته أيديهم، فيسود الظلام والجهل، وتهبط العقول عند ذلك إلى مصاف البهائم أو أقل، وذلك حين يُخيّم الشرك بظلامه، وتنتشر خيوط الجهل في أركان الكون، كشف النص الكريم مزاعم المشركين وافترائهم على الله غير الحق، بما نسبوا إلى الله تعالى من النقص، ولهم ما يشتهون، فاستغناؤه عن الولد صفة كمالٍ في حقه، وهي صفة نقصٍ في حق البشر، فأرادوا بمخيلتهم أن يثبتوا لأنفسهم صفات الكمال بأنّ لهم الذكور، ولله البنات– تعالى الله عن ذلك علواً عظيما– فجاء الخطاب لتفنيد أقوالهم يحمل التهديد والوعيد، والتعظيم والتنزه لله تعالى عن كل نقص، وأن له المثل الأعلى.

يقول البقاعي : "(للذين لا يؤمنون) أي: لا يوجدون الإيمان أصلا(بالآخرة مثل) أي: حديث ،(السوء) من الضعف والحاجة والذل والرعونة ، (ولله) الذي له الكمال كله ،(المثل) أي: الحديث أو المقدار أو الوصف أو القياس ،(الأعلى)، من الغنى والقوة وجميع صفات الكمال بحيث لا يلحقه حاجة ولا ضعف ولا شائبة نقص أصلا، وأعدل العبارات عن ذلك لا إله إلا الله ... ولما كان أمره سبحانه وتعالى أجل مما تدركه العقول، وتصل إليه الأفهام، أشار إلى ذلك بقوله تعالى:

وهو لا غيره (العزيز) الذي لا يمتنع عليه شيء فلا نظير له (الحكيم) الذي لا يوقع شيئا إلا في محله."[1]

بعد أن بيّن الحق سبحانه حال المشركين ، وما نسبوه إلى الله تعالى بأن جعلوا له البنات ولهم ما يشتهون –أي الذكور – ، انتقلت الآية لتبيّن حالهم، وترسم صورة وجوههم وما يعلوها ويشوبها من سوادٍ، حينما يبشر أحدهم بالأنثى، فجاء الخطاب في هذه الآية لينفي عن الحق – جل جلاله – جميع صفات النقص؛ فهو الموصوف بجميع صفات الكمال، الغني عن الشريك والولد–لا كما هو حال عند البشر– ثمّ إنّ من المعروف عند العرب قديماً أنّ الولد هو الناصر والمعيل ومصدر قوة، وذلك أنّ حياتهم كانت تقوم على السلب والنهب، بعكس الفتاة التي كانت غنيمة ولقمةً سهلةً للصغير قبل الكبير، فكأنّ لسان حالهم يقول أنهم الأقوياء؛ لأنهم يملكون الذكور، وأنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وإلهه ضعفاء؛ لأنهم يمتلكون الإناث، فجاءت صيغة الاقتران بقوله (وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) لتفيد الحصر والاستغراق، أي أنّه تعالى هو العزيز الذي لا مثيل له، والقوي الذي لا ند له، وأنّ عزته عن كمال حكمة دون ظلم أو جور، لا كما هي حال العرب يأكل القوي الضعيف، (الحكيم) يضع الأمر في نصابه، ولهذا لم ينزل عليهم العذاب لجهلهم وعدم علمهم به سبحانه، والله اعلم .

٢-قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾ (العنكبوت: ٢٦)

إبراهيم–عليه السلام– هو أبو التضحية والفداء، حل به من محن ما حل، ونزل به من المصائب ما نزل، ولقي من عناد وخصومة له ولدعوته ما لقي، وأصابه من عذابٍ وتنكيل من قومه ما أصابه، فلم يثنِ عزمه، ولم يقتلوا سعيه، بل صابر وثابر على دعوته وفكره، فجاء الكلام على لسانه –عليه السلام – بعد ما آمن معه لوط –عليه السلام– في مقام مدح الله تعالى،

([1]) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج١١، ص١٨٦.

وتعظيمه وتنزيهه عن كل نقص، وأنه مهاجر إليه حيث أمره، فهو مهاجر إلى العزيز الحكيم، الذي يمنعه من كل ظالم وغاشم كما منعه وعصمه من قومه، فحفظه في أصعب الأوقات وأدق اللحظات.

يقول الرازي : "لما رأى لوط معجزته آمن، وقال إبراهيم (إني مهاجر إلى ربي) أي: إلى حيث أمرني بالتوجه إليه (إنه هو العزيز الحكيم) عزيز يمنع أعدائي عن إيذائي بعزته، و(حكيم) لا يأمرني إلا بما يوافق لكمال حكمته ... فآمن له لوط أي بعد ما رأى منه المعجز القاهر ودرجة لوط كانت عالية، وبقاؤه إلى هذا الوقت لا ينقص من الدرجة ألا ترى أن أبا بكر لما قبل دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان نير القلب قبله قبل الكل، من غير سماع تكلم الحصى ولا رؤية انشقاق القمر ،فنقول إن لوطا لما رأى معجزته آمن برسالته، وأما بالوحدانية فآمن حيث سمع حسن مقالته، وإليه أشار بقوله: فآمن له لوط وما قال فآمن لوط."(١)

بعد ما بيّن الحق سبحانه قصة إبراهيم – عليه السلام – وهجرته بلاد قومه إلى الأرض التي أمره الله تعالى بالهجرة إليها، بعد ما لحقه من الأذى ما لحقه، وناله من المصائب ما ناله، بين أنّه مهاجر إلى الله تعالى، فاراً بدينه إليه، من كيد قومه وظلمهم، ومن المعلوم أنّ الإنسان إذا أراد أن يحتمي بأحد، فلابد من أن يحتمي برجل ذي منعة وقوة؛ ليمنع وقوع الظلم الأذى عليه، ولله المثل الأعلى، فإبراهيم –عليه السلام – أوى إلى العزيز الذي يعتز به جاره ونزيله ، فيجير أولياءه من أعدائه، فينتصر لهم، الحكيم الذي يضع الشيء المناسب في المكان المناسب، فعزته عن كمال قدرة وحكمةٍ، فناسب الاقتران سياق الآية والله اعلم.

٣-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ غافر: ٨)

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ٢٥، ص٤٧.

ورد في الاقترانات السابقة بعض أفعال الملائكة، من تثبيت للمؤمنين، وإنزال المدد عليهم، وتبليغ الرسل عن رب العالمين، فبيّنت هذه الآية والآية التي سبقتها دعاء الملائكة وهم متضرعون إلى الله تعالى بكمال الربوبيته أن يغفر للمؤمنين، وأن يقيهم عذاب الجحيم، وأن يدخلهم جنات عدن، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم، فهو سبحانه المستحق للعبودية، مجيب المضطر إذا دعاه.

ثمّ ختم الآية بصفتي العزة والحكمة مع أنّ المقام مقام دعاء يقول ابن القيم : "ثم أخبر سبحانه عن ملائكته أنهم قالوا عقيب هذه الدعوة (إنك أنت العزيز الحكيم) أي: مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك فإن العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه وتعالى ما يشاء ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والأمر."[١]

جاءت الآيات القرآنية في مقام التضرع والتوسل لله تعالى، فكان دعاء الملائكة إلى الله تعالى بطلب المغفرة وإدخال المؤمنين جنات، بناءً على الوعد الذي وعدهم به الله تعالى ، ومن المعلوم أن التوسل والدعاء لا يكون إلاّ إلى عزيز قوي، فلا حجة إلى التّوسل والطّلب من الشخص الذي لا يملك ذلك الشيء؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، ولهذا جاءت صيغة الاقتران في هذه الآيات بقوله (إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) فالدعاء والتوسل لا يكون إلاّ إلى عزيزٍ حكيمٍ، والوفاء بالوعد لا يكون إلاّ من عزيزٍ حكيمٍ أيضاً ، وجاء بضمير الشأن ليفيد الاختصاص، أي: إنك وحدك العزيز الحكيم الذي يُتوسل إليك ويطلب منك الدعاء ، ولما بينت الآيات القرآنية أن الدعاء والوفاء لا يكون إلاّ من عزيز جاء بالاسم الحكيم لأنه لا يدخل الجنة إلاّ من يستحقها فقال (وَمَن صَلَحَ مِنْ

([1]) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، الأولى، دار المعرفة – المغرب، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص١١٦.

ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ) لأنّه من لم يصلح لا يدخل الجنة ،فهو حكيم يضع الشيء المناسب في المكان المناسب ، فناسبت صيغة الاقتران دلالة الآيات، والله أعلم .

ت- **الجانب العقدي وإفراده سبحانه بالإلوهية.** عالم الغيب لا يعلم حقيقته إلاّ الله تعالى، ولا نعلم منه إلاّ ما أخبر الله به رسوله، وما تطيق العقول البشرية معرفته، والمؤمن مقر بآيات الله تعالى ، مؤمن بها، مطمئن لها.

١ -قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (العنكبوت:٤٢)

من حقيقة التوحيد تنشأ عبودية المؤمن لربه وخالقه، منها تنبثق عرا الإسلام، فيسموا الإنسان بروحه وعقله وفكره، ولكن هناك الكثير ممن عطّلوا عقولهم، وقتلوا فكرهم فانحطوا إلى أدنى الدرجات، والحق سبحانه يعلم ما يدعون من آلهة دونه ويحلم ويصبر، فحمل سياق الآية تنزيهه تعالى عن كل شوائب النقص، وأمّا الآية التي سبقتها فبينت أنّ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، فهو مع ما فيه من الوهن والضعف، لا يقي حرّاً ولا بردا، كذلك مثل المشركين وما يعبدون من دون الله من آلهة فهي لا تدفع ولا تمنع، ولا تضر ولا تنفع.

يقول السعدي : "ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ)أي: إنه تعالى يعلم -وهو عالم الغيب والشهادة- أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة، كقوله تعالى: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ النجم: (٢٣). "[1]

فلما أبطل الحق أقوالهم وفنّد أفكارهم جاء بصيغة الاقتران بصفة العزة والحكمة، يقول ابن عاشور:" وجملة (وهو العزيز الحكيم) تذييل لجملة (إنّ الله يعلم) لأن الجملة على كلا المعنيين تدل

([1]) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق ،ص٦٣١

على أن الذي بيّن حقارة حال الأصنام واختلال عقول عابديها فلم يعبأ بفضحها وكشفها بما يسوءها مع وفرة أتباعها ومع أوهام أنها لا يمسها أحد بسوء إلا كانت ألبا عليه فلو كان للأصنام حظ في الإلهية لما سلم من ضرها من يحقرها ... وأنه لما فضح عقول عبادها لم يخشهم على أوليائه بله ذاته، فهو عزيز لا يغلب، وحكيم لا تنطلي عليه الأوهام والسفاسط بخلاف حال وأولئك."[١]

نفت الآيات السابقة قدرة المشركين وآلهتهم عن فعل شيء، فهم لا يملكون نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً، وأنّ حالهم مع آلهتهم كحال العنكبوت مع بيتها ، فجاء السياق القرآني ليبيّن كمال علم الله تعالى، وأنّه يعلم ما يدعون من دونه من أصنام وحجارة، وكواكب وغيرها من المعبودات ، فهو النّافع والضّار، والمعز والمذل، والخافض والرافع ، وهو العزيز الذي لا مثيل له بعكس ألهتهم التي لا تنفع ولا تضر، فالذي يُعبد يجب أن يكون ذا منعة وقوة يعز أتباعه بعزته ويذل أعداءه بسلطانه وقدرته، الحكيم : الذي أحاط بكل شيء علما فهو يعلم بما يدعون من دونه ، وهو الذي يضع الأمور في نصابها فيجازي كلاً بعمله، فأثبتت الآية لله تعالى صفة العلم العزة والحكمة، ومن كان موصوف بهذه الصفات فقد استحق العبودية دون سواه.

٢-قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الروم: ٢٧)

مشهد عظيم يربط الدنيا بالآخرة فهو جزءً من النظام الرباني المتماسك، ويربط بين كمال قدرته في بداية الخلق وإعادته وهو البعث والنشور، مع ما فيها أيضاً من رد على منكري البعث، وأنّ له المثل الأعلى في السموات والأرض، والمعبود فيهنّ.

يقول الرازي : "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، أي: في نظركم الإعادة أهون من الإبداء لأن من يفعل فعلا أولا يصعب عليه، ثم إذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون، وله المثل

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٥٥.

الأعلى في السماوات والأرض يعني هذا مثل مضروب لكم وله المثل الأعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات، وقيل المثل الأعلى أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله، وقوله تعالى: (وهو العزيز الحكيم) أي: كامل القدرة على الممكنات، شامل العلم بجميع الموجودات، فيعلم الأجزاء في الأمكنة ويقدر على جمعها وتأليفها."(١)

لما بيّن الحق سبحانه قدرته على الخلق بيّن كمال قدرته على إعادة الخلق لأنّ من قدر على شيء أول مرة كان على إعادة ذلك الشيء أقدر من باب أولى، وهذا في حق البشر فكيف يكون الأمر بحق الله تعالى وهو المنزه عن كل شيء، ومن هنا نرى السر من ذكر هذا الاقتران فبدء الخلق وإعادته صادرة عن كمال القدرة وإرادة، والخلق والبعث عن كامل حكمة وعلم؛ فيميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المشرك، فلا يكون الكافر والمؤمن سواء.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سبأ: ٢٧)

حين يأمر الله تعالى عباده أن يتدبروا وينظروا بهذا الامتداد المذهل، ويتفكروا بهذا الاتساع العميق، كل هذا ليحمي العقل والفكر والإنسان أن تجاوز حده المسموح به، تحدث الآية الكريمة عن الملكية لله تعالى، وأنه وحده المتصرف في هذا الكون، فالكون لا يقبل أكثر من إله واحد، فجاء الخطاب لجموع المشركين المتعنتين، أنّ هؤلاء الشركاء لا يملكون لكم ضراً ولا نفعا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، مع ما تحمله الآية من الزجر والتهديد ووعيد.

ثمّ إنّ المعبود يجب أن يكون موصوفاً بأوصاف تليق به من رفع ظلم أو دفعه، أو جلب خير أو منفعة، يقول الرازي:"إنّ المعبود قد يعبده قوم لدفع الضرر، وجمع لتوقع المنفعة ،وقليل من الأشراف الأعزة يعبدونه لأنه يستحق العبادة لذاته، فلما بين أنه لا يعبد غير الله لدفع الضرر إذ لا

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٥، ص٩٦-٩٧.

دافع للضرر غيره بقوله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) وبين أنه لا يعبد غير الله لتوقع المنفعة بقوله: (قل من يرزقكم من السماوات والأرض) بين هاهنا أنه لا يعبد أحد لاستحقاقه العبادة غير الله فقال: (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)أي: هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي القدرة الكاملة، والحكمة وهي العلم التام الذي عمله موافق له."[١]

بيّن السياق القرآني من خلال الآيات السابقة لهذه الآية من سورة سبا أنّ الله تعالى وحده المستحق للعبادة؛ لأنّ خزائن كل شيء بيده، ولأنّ بيده الضر والنفع، ثم طلب من جموع المشركين أن يرونه ماذا تملك أن تفعل هذه الآلهة، فجاء بأداة الزجر (كلا) للتهديد لعلهم ينتهوا عن شركهم وعنادهم ومقالتهم، وجاء بالاقتران ليثبت للمشركين كمال قدرته بعد أن دلل عليها بالآيات السابقة لهذه الآية ، من أنّ النفع والضر والرزق بيده وحده فهو المعز، حكيم حيث يضع الأمور في نصابها، ويجري القوانين الكونية بحكمة فلا يحتاج إلى شريك، وجاء بضمير الشأن يتقدم صيغة الاقتران ليفيد الاختصاص، فيثبت كمال العزة والحكمة له وحده وينفيها من آلهتهم، وجاء بلفظ الجلالة لتربية المهابة .

٤-قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الجاثية: ٣٧)

امتدت عظمة الله تعالى ملء المكان والزمان، ففاضت على الخلق جميعاً، وأشرقت الأرض بنور ربها والسموات، فهو رب كل شيء ومليكه،فله الحمد على كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء؛ لأنّه جل جلاله المتصرف في كل شيء.

يقول الرازي : "(وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) وهذا مشعر بأمرين أحدهما: أن التكبير لا بد وأن يكون بعد التحميد، والإشارة إلى أن الحامدين إذا حمدوه وجب أن يعرفوا أنه أعلى وأكبر من أن يكون الحمد الذي ذكروه لائقا بإنعامه، بل هو أكبر من حمد الحامدين، وأياديه أعلى وأجل من

([1]) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٥، ص٢٠٦.

شكر الشاكرين والثاني: أن هذا الكبرياء له لا لغيره، لأن واجب الوجود لذاته ليس إلا هو، ثم قال تعالى: وهو العزيز الحكيم يعني أنه لكمال قدرته يقدر على خلق أي شيء أراد، ولكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته بآثار الحكمة والرحمة والفضل والكرم، وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر، فهذا يفيد أن الكامل في القدرة، وفي الحكمة وفي الرحمة ليس إلا هو، وذلك يدل على أنه لا إله للخلق إلا هو، ولا محسن ولا متفضل إلا هو."(١)

ذكرت الآية القرآنية كمال قدرته تعالى، وأنّ له من العظمة وسائر صفات الكمال ما لا تحصيه العقول والألباب، فهو المستحق للعبودية وحده، ودلل على ذلك بأنّه هو رب السماوات والأرض والمتصرف فيهما وأنّ له الحمد والكبرياء فيهما، فهذا الحمد دائماً بدوامه تعالى لا يزول أبداً.

ولما ثبت له كمال الملك، وكمال الحمد، وكمال الكبرياء، جاء بصيغة الاقتران بقوله (وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) فكمال الملك والكبرياء لا يكونا إلاّ عن كمال عزةٍ وقوةٍ ومنعةٍ، وهذه العزة لابد من أن تكون محروسة بحكمةٍ وإلاّ لدخلها الجور والظلم، فله الحمد في ملكه، وله الحمد في كبريائه، وله الحمد في عزته، وله الحمد في حكمته، وله الحمد في اقترانهما، فيكون كبرياؤه بحمد، وعزته وحكمته كذلك، وأمّا كبرياء غيره فهوٍ مذموم لأنها صفات نقص داعية للظلم والجور.

ثانياً: الموضوعات التي طرقتها الآيات التي جاءت في فواتح السور في هذا الاقتران.

جاءت آيات الاقتران في فواتح السورة القرآنية بعد الحروف المقطعة، عدا سورة الزمر التي جاءت في أول آيةٍ منها، أمّا الموضوعات التي طرقتها الآيات القرآنية ، فقد اشتملت هذه السور على عدة قضايا مشتركة أولها: أنها افتتحت بما يشير إلى إعجاز القرآن وعلى أنه منزل من عند الله، والثاني: تفرده بالإلهية والاستدلال على ذلك بإتقان خلق السماوات والأرض، وأخيراً: إثبات

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٧، ص٦٨٣.

رسالة محمد- صلى الله عليه وسلم- واستشهاد الله تعالى على صدق رسالته.([1]) ومن هنا يبرز أسلوب الحجة والبرهان العقلي، فدلل على صدق الكتاب -القرآن الكريم- بأثر خلقه تعالى في هذا الكون وما فيه من آيات دالة على عظمة ملكه تعالى، ثمّ أمر بالإخلاص لله تعالى بالعبودية والإنابة إليه لتفرده بالوحدانية.

بيّنت هذه الآيات عظمة القرآن الكريم، وأنه تنزيل من عزيز حكيم، الذي أتقن كل شيءٍ خلقه، عدا آية الشورى التي بيّنت صدق الرسالة التي جاء بها سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- أنّه يوحى إليه كما كان يوحى إلى النبيين من قبله، ثمّ بعد ذلك طرقت قضية التوحيد، وقضية إعجاز القرآن، وأما الدلالات فقد جاءت على النحو الآتي.

أ- **بيان مصدر القرآن الكريم عظمة**، وأنّ عظمته من عظمة منزله، فهو الحق الذي لا مرية فيه، والصدق الذي لا شك فيه، فجاءت آيات هذا الاقتران على نسقٍ واحد في اللفظ وهي﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ولم تختلف آية عن آيةٍ في اللفظ أو في السياق ،وقد جاءت آيات الاقتران على النحو الآتي:

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ (الزمر: ١)

بعد ما أوضحت هذه الآية أنّ هذا الكتاب من عند الله تعالى، دلل على ذلك من خلال صيغة الاقتران بصفتي العزيز الحكيم ، ثم أمر نبيه – عليه الصلاة والسلام – بالإخلاص له سبحانه؛ لأنه وحده المستحق للعبودية، ثم وُجّه الخطاب بعد ذلك – من الله تعالى- للمشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء بأنّ الدين لله تعالى، ثمّ دلل على كمال قدرته وحكمته باستغنائه عن الولد، وبخلقه للسماوات والأرض وما وضع فيها من قوانين ونواميس تجري وفق أوامره وأحكامه.

([1]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٢٦، ص٦.

يقول الرازي : "الانتفاع بالقرآن يتوقف على أصلين أحدهما: أن يعلم أن القرآن كلام الله ، والدليل عليه أنه ثبت بالمعجز كون الرسول صادقا ، وثبت بالتواتر أنه كان يقول القرآن كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين أن القرآن كلام الله، والأصل الثاني:أن الله أراد بهذه الألفاظ المعاني التي هي موضوعة لها،إما بحسب اللغة أو بحسب القرينة العرفيّة أو الشرعيّة لأنه لو لم يرد بها ذلك لكان تلبيسا ، وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا أن الانتفاع بالقرآن لا يحصل إلا بعد تسليم هذين الأصلين، وثبت أنه لا سبيل إلى إثبات هذين الأصلين إلا بإثبات كونه تعالى حكيما، وثبت أن لا سبيل إلى إثبات كونه حكيما إلا بالبناء على كونه تعالى عزيزا، فلهذا السبب قال: تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم."(١)

فأثر خلق الله تعالى ظاهر للعيان، سواءً في كتابه المنظور وهو الكون، أو في كتابه المسطور وهو القرآن ، يقول الألوسي :" والتعرض لوصفي العزة والحكمة للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع، ولا ممانع وبيان جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة."(٢)

ابتدأت السورة القرآنية – سورة الزمر– بهذه الآية الكريمة ليثبت للجاحدين أنّ هذا القرآن من عند الله تعالى ، ودلل على ذلك سبحانه بما تحداهم به أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور من مثله أو أن يأتوا بسورة واحدة، فلم يحركوا ساكنا، يقول ابن عاشور: للإيماء إلى أن ما ينزل منه سبحانه يأتي على ما يناسب الصفتين، فيكون عزيزا قال تعالى: وإنه لكتاب عزيز) (فصلت: ٤١) أي القرآن، عزيز غالب بالحجة لمن كذب به، وغالب بالفضل لما سواه من الكتب وغالب لبلغاء العرب إذ أعجزهم عن معارضة سورة منه، ويكون حكيما مثل صفة منزله ،والحكيم: إما بمعنى الحاكم، فالقرآن أيضا حاكم عن معارضيه بالحجة، وحاكم على غيره من الكتب السماوية ،وإما

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٦، ص٤١٩.

(2) الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٢٤.

بمعنى: المحكم المتقن، فالقرآن مشتمل على البيان الذي لا يحتمل الخطأ، وإما بمعنى الموصوف بالحكمة، فالقرآن مشتمل على الحكمة.[١] فدل ذلك على كمال قدرته وعزته سبحانه فهذا الكلام وما يحتويه من أحكام شرعية، وأمور غيبية، وسنن كونية، دليل قاطع، ونور ساطع، على صدق هذا الكتاب، وصدق ما جاء به، وصدق الموحى إليه، وهو سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم – ،الحكيم :أي أنه سبحانه أحكم هذا الكتاب من التحريف والتبديل، وأحكم آياته فجاءت بصيغةٍ محكمة دالة على كمال حكمته وعظيم قدرته، فعظمة الكتاب من عظمة صاحبه، وجاء الاقتران بالتعريف ليفيد الاستغراق بقوله (مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ) وتقدم الجار والمجرور يفيد الحصر، وجاء بلفظ الجلالة للعظمة.

٢-قَالَ تَعَالَى:﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ (الجاثية: ٢)

جاءت الآية القرآنية في هذه السورة مشابهة للاقتران السابق من حيث الدلالة والمضمون، ولكن السياق الذي جاء بعدها مختلف عن سابقه، ففي هذه الآية جاء السياق بالتدليل على صفتي العزيز الحكيم بعد الاقتران مباشرة، فبيّن أن كل ما في السماوات والأرض من نجوم وأفلاك، وأشياء مرئية وغير مرئية، آيات دالة على عظيم قدرته وكمال حكمته، ثمّ حمل الخطاب بعد ذلك التهديد والوعيد للمشركين بقوله : ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ ﴾ (الجاثية: ٧) فجاء السياق مختلفاً عن سابقه، فذكر في الاقتران الأول في سورة الزمر حال المعاندين والمنكرين وأمرهم بالتوحيد والإخلاص ، ثمّ ذكر الآيات الدالة على كمال قدرته، وهي السماوات والأرض وما فيهما من آيات، أمّا في هذا الاقتران فقد ذكر الآيات الدالة على كمال قدرته، ثمّ بيّن حال المشركين وعنادهم، وبعد أن ذكر الدليل أمرهم بالتوحيد والإخلاص.

([1]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢٣، ص٣١٤

ويقول الرازي :"العزيز الحكيم صفة لله فهو إشارة إلى الدليل الدال على أن القرآن حق،لأن كونه عزيزا يدل على كونه قادرا على كل الممكنات وكونه حكيما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات، ويحصل لنا من مجموع كونه تعالى: عزيزا حكيما كونه قادرا على جميع الممكنات، عالما بجميع المعلومات، غنيا عن كل الحاجات ، وكل ما كان كذلك امتنع منه صدور العبث والباطل، وإذا كان كذلك كان ظهور المعجز دليلا على الصدق كتابه."(١)

جاء الختم بصيغة الاقتران يتناسب وسياق الآية، فبيّنت أنّ هذا الكتاب مصدره من الله تعالى الموصوف بكمال القدرة، القادر على كل شيء، ودلل على ذلك بما تطيقه عقول العرب في ذلك العصر، وبما يشاهدون ويعاينون في بياتهم من آيات دالة على الخالق جل جلاله، من سماوات وما تحتوي من أفلاك وأسراب، وأرض وما بث فيها من دواب، واختلاف الليل والنهار، وما أنزل من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد موتها لآيات بينات دالة على كمال قدرته وعظيم صنعه، تجري وفق أمره وحكمه بغاية الإحكام والإتقان، فإذا ثبت له كمال القدرة في الخلق والرزق، ثبت صدق آياته، بقوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (٦-الجاثية) فإذا لم يؤمنوا ولم ينتفعوا بهذه الآيات فبماذا يمكن ينتفعوا أو يؤمنوا بعد ذلك، فثبت بذلك صدق كتابه، وصدق ما جاء يه من آيات عظيمة دالة على عظمته وعظمة منزله، وإنّ كل ما جاء به صدق وعدل، فجاءت صيغة الاقتران مشابهة للآية السابقة فلا داعي للتكرار.

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (الأحقاف: ٢)

جاء السياق القرآني في هذه الآية مشابهاً للآية السابقة، فبيّن أنّ هذا القرآن منزل من عند الله تعالى العزيز الحكيم ، ودلل على ذلك بخلق السماوات والأرض وما يحتويانه من آياتٍ بيّناتٍ، ثمّ بيّن حال المشركين وعنادهم، وطلب منهم أن يبينوا ماذا خلق الذين من دونه إن كانوا صادقين؟

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق،ج٢٧، ص٦٦٨.

فثبت بذلك عجزهم، ثمّ طلب منهم أن يأتوا بكتاب من قبل هذا الكتاب على صدق ألهتهم أو أثرة من علم، أي: بقية من علم آلهتهم، فجاء الخطاب من الله تعالى للمشركين للتعجيز، ليثبت كمال عجزهم وكذبهم وافترائهم، وليثبت صدق القرآن، وصدق الرسالة، وصدق الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

فيكون سياق الاقترانات مكملاً لبعضه البعض، ففي سورة الزمر بيّن أنّ هذا القرآن من عند الله تعالى، ثمّ أمرهم بالإخلاص والتوحيد، ودلل على ذلك بخلق السماوات والأرض وما فيها من آيات دالة على ألوهيته تعالى وصدق نبيه –صلى الله عليه وسلم –، أمّا في سورة الجاثية فقد ذكر الحق سبحانه الآيات الدالة على كمال قدرته، ثمّ بيّن حال المشركين وعنادهم وبعد ذكر الدليل على خلقه أمرهم بالتوحيد والإخلاص وخوفهم عذابه وسطوته، أمّا في سورة الأحقاف فبعد أن بين الحق سبحانه أنّ القرآن من عنده، ذكر كمال قدرته بخلقه السماوات والأرض وما فيها من آيات دالة على ذلك ، ثمّ طلب منهم أن يبينوا ماذا خلق الذين من دونه إن كانوا صادقين، وأن يأتوا بكتاب يبيّن صدق ألهتكم وصدق ما يدّعون به، فثبت عجزهم أولاً عن معارضة القرآن، وعجزهم عن الخلق ثانياً ، فبطلان مزاعمهم في المعارضة وفي الخلق، دليل على صدق النبي بكل ما أخبر به عن ربه تبارك وتعالى.

يقول الطنطاوي: "هذا بيان لمصدر هذا القرآن، وأنه من عند الله– تعالى–، لا من عند غيره ،أي: أن هذا القرآن منزل من عند الله– تعالى– العزيز أي: صاحب العزة الغالبة، والسلطان القاهر الحكيم في كل أقواله وأفعاله وتصريفه لشئون خلقه."(١)

أوضحت الآية الكريمة مصدر القرآن، وأنّه تنزيل العزيز الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ودلل على ذلك بخلقه وإحكامه للكون وما فيه من قوانين ونواميس متقنةً

---

(1) الطنطاوي، الوسيط، مرجع سابق، ج١٣، ص١٧٨.

محكمة، وهي دليل على كمال ألوهية الله تعالى؛ وذلك أنّ الإله الحق الذي يستحق العبودية هو القادر على كل الممكنات، العالم بجميع الجزئيات والكليات، ولذا طلب من المشركين أن يبيّنوا ماذا خلق الذين من دونه؟ وماذا يملكون من العلم والحكمة حتى يستحقوا العبودية؟ فلما ثبت عجز آلهتهم عن الخلق–القدرة– والعلم–الحكمة– ثبت أنّها لا تستحق العبودية، وثبت أيضاً عجزها– آلهتهم– عن معارضة القرآن لعدم قدرتهم أن يأتوا بكتاب مثله، فثبت بذلك صدق القرآن، وصدق ما يحتويه من آيات وأحكام، فثبت أنّه تنزيل العزيز الحكيم.

وقد جاءت صيغة الاقتران قريبة للاقتران السابق.

ب– **وأما الدلالة الثانية فقد جاءت لتأكد صدق النبي–صلى الله عليه وسلم– وصدق الرسالة التي جاء بها**، وأنّه ليس بدعاً من الرسل ،بل قد خلا من قبله الكثير من الرسل.

١-قَالَ تَعَالَى:﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ (الشورى: ٣)

ذكر النص القرآني أن الله تعالى أوحى إلى نبيه –صلى الله عليه وسلم – كما أوحى إلى النبيين من قبله، فهو ليس بدعاً من الرسل، بل شأنه في ذلك شأن الرسل من قبله، فجاءت الآية القرآنية تبيّن صدق النبوة والرسالة التي جاء بها سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم–، وإذا ثبت صدق النبوة ثبت صدق كتابه–القرآن الكريم–، ثمّ دلل بعد ذلك على كمال عزته بأن ما في السماوات والأرض في قبضته وملكه، ثمّ جاء بدلالة التوحيد.

يقول الرازي : ولما ذكر أن هذا الكتاب حصل بالوحي، بيّن أن الموحي هو العزيز الحكيم، أنّ كونه عزيزاً يدل على كونه قادراً على ما لا نهاية له وكونه حكيماً يدل على كونه عالماً بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات ،فيحصل لنا من كونه عزيزاً حكيماً كونه قادراً على جميع

المقدورات ، عالماً بجميع المعلومات ،غنياً عن جميع الحاجات، ومن كان كذلك كانت أفعاله وأقواله حكمة وصواباً، وكانت مبرأة عن العيب والعبث.(١)

لم يختلف مدلول هذا الاقتران عن سابقه، حيث جاء الاقتران في هذه الآية بصيغة (ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) لفظ الجلالة مع صفتي العزة والحكمة، ومن خلال سياق الآية تبرز حقيقة أنّ النبوة ليست بالأمر الجديد على بني البشر، بل إن من أمة إلاّ خلا فيها نذير، فالنبوة أمر مألوف، والرسالة شيء معروف، ولابد لكل نبي من دليل على صدقه، وصدق رسالته، وهي المعجزة لتمييز الصادق من الكاذب ، ولا تكون المعجزة إلاّ عن كمال قدرة، فيكون المعنى أنّ من كمال قدرته أن إرسال الرسل بالحجج والبراهين القاطعة، للتدليل على صدق الخبر الذي جاءوا به ، حكيم باختيار من يراه أهلاً للرسالة ومن يصلح لها، فالحكيم هو الذي يضع الأمور في نصابها دون خلل أو زلل.

من خلال سياق الآية القرآنية يظهر أنّ الآية جاءت لتدلل على صدق الرسالة والنبوة للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم – ومن خلال إثبات صدق النبي يثبت صدق الكتاب الذي جاء به، وأمّا آيات الاقتران السابق في هذا المطلب فقد جاءت لتدلل على صدق القرآن الكريم ، وأنّه من عند الله تعالى وإذا ثبت صدق ذلك –وهو صدق – ثبت صدق النبوة وصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– في نبوته، وبهذا تكون الآيات مكملةً لبعضها، والله اعلم.

بعد الوقوف على الاقترانات السابقة يظهر أنّ جميع الآيات مكملةً لبعضها مع الاختلاف في السياق الذي وردت فيه، وهذا من براعة المطلع في افتتاح السورة ، فمرة يأمر بالتوحيد، ومرة تتحدث عن كمال الخلق، ومرة عن صدق الكتاب، ومرةً عن صدق النبي ، مع العلم أنّ جميع هذه

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٧، ص٥٦٧.

سور قد تحدثت عن هذه الأغراض، ولكن في كل سورة يبتدئ بمطلع يختلف عن سابقه وهذا لا تجده إلاّ في هذا الكتاب الخالد.

المطلب الرابع

"العزيز الحكيم" في الآيات المدنية والسياق الذي اقتران معه

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في أربعة عشر موضعاً ، جاء منها أربعة في سورة آل عمران، وهي سورة توضّح حقيقة التوحيد ومقاصده وتنفي الشبهات اليهود والنصارى ومعتقداتهم، وقد جاءت آيات الاقتران على نسقين، الأول في سياق السور، والنسق الثاني في بداية السورة القرآنية، وقد وردت أغلب صيغ الاقتران بالضمير ثمّ بصفتي العزيز الحكيم، وجاءت بالتعريف لتفيد الاستغراق.

أولاً: الآيات التي جاءت في سياق السورة القرآنية، فقد حمل سياق الآيات عدداً من الموضوعات جاءت على النحو الآتي :

أ- سياق الدعاء والطلب والتضرع إلى الله تعالى.

ب- التوحيد وإفراده بالعبودية.

ت- إظهار فضله ومنّه على عباده المؤمنين.

ث- في مقام المدح والثناء والتعظيم .

أ- سياق الدعاء والطلب والتضرع إلى الله تعالى.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٩)

أوضحت الآية الكريمة دعاء وتضرع نبي الله تعالى إبراهيم – عليه السلام – حيث طلب من الله تعالى أن يبعث في ذريّته رسول منهم يتلوا عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن،

والحكمة وهي السنة، ويزكيهم، أي: يطهرهم من عبادة الأوثان والأصنام، ثمّ جاء بصيغة الاقتران (إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

يقول ابن عاشور : كرر النداء لأنه عطف غرض آخر في هذا الدعاء وهو غرض الدعاء بمجيء الرسالة في ذريته لتشريفهم وحرصا على تمام هديهم ، يتلوا عليهم آياتك يقرؤها عليهم قراءة تذكير، والحكمة العلم بالله ودقائق شرائعه وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده ،وعن مالك:الحكمة معرفة الفقه والدين والاتباع لذلك، وعن الشافعي الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتزكية التطهير من النقائص وأكبر النقائص الشرك بالله.[١]

بعد أن ذكر النص القرآني كلمات خليل الله إبراهيم –عليه السلام –،أن يبعث في ذريّته رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، جاء بصيغة الاقتران (إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) ،مؤكداً مع ضمير الشأن ليفيد القصر ثمّ جاء بالصفتين معرّفتين لتفيد كمال الصفة، ومن المعلوم أنّ عظمة الطلب من عظمة المطلوب منه، وكلما عظم المطلوب كانت الاستجابة بحاجة إلى قدرة أكثر وأعظم، ولهذا كان طلب إبراهيم–عليه السلام – كبيرا وعظيما وهي الرسالة والنبوة، فجاء بصيغة الاقتران بهذه الدلالة لتحمل هذا المعنى العظيم، فكأن لسان حاله–عليه السلام– يقول: أنّ قدرتك مطلقة لا يعجزك شيء، وحكمك نافذ في خلقك لا يمنعه شيء، تضع الأمور في نصابها، فبعث فيهم رسولا... إلى آخر الآية، فيكون سياق الآية موافقاً لدلالة الاقتران، والله اعلم.

٢- قَالَ تَعَالَى:﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة: ١١٨)

وأمّا هذا الدعاء فقد جاء على لسان عيسى –عليه السلام – في أمر قومه الذين عاندوا دعوته، وكذبوا رسالته، بعد القول الذي قالوه في حقه وحق أمه، فبيّن أنّ عذابهم ومغفرة ذنبهم عن

---

(1) انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١، ص٧٢٢-٧٢٣.

كمال قدرة وحكمة لا عن عجز وضعف ، فكأنه يقول : إن تعذب من يستحق العذاب فهم عبادك وفي قبضتك، وإن تغفر لمن يستحق المغفرة فمن كمال قدرتك وعفوك.

قال النسفي: علم عيسى عليه السلام أن من قومه من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال في جملتهم إن تعذبهم أي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل، وإن تغفر لهم أي: لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك أو عزير قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب.(١)

وأمّا دلالة الاقتران وارتباطها بسياق الآية، وهل يكون هذا من باب الطّلب والتّعريض بسؤال العفو عنهم والاستعطاف لهم، أم غير ذلك فيقول ابن القيم : ومن هنا كان قول المسيح عليه السلام أحسن من أن يقول: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، أي: إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة، وهي كمال القدرة، وعن حكمة، وهي كمال العلم، فأنت لا تغفر إلا عن قدرة تامة، وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها، فلو قال : وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما ينزه عنه منصب المسيح عليه السلام ، لاسيما والموقف موقف عظمة وجلال ، وموقف انتقام ممن جعل لله ولدا ، واتخذه إلهاً من دونه ، فذكر العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة،(٢).

هذا ختم يتوافق مع سياق الآيات في إبطال مزاعم من زعم بألوهية عيسى –عليه السلام – فجاء الخطاب على لسانه –عليه السلام– ليثبت لله تعالى كمال ربوبيته وإلوهيته بصيغة التفويض للمذنبين ، حيث فوض أمر قومه الذين قالوا بألوهيته إلى الله تعالى في إنزال العقوبة عليهم لأنهم

---

(1) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت يوسف علي بديوي، الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت،١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ج١،ص٤٨٧

(2) ابن القيم، مدارج السالكين، مصدر سابق، ج١، ص٥٩.

أهلها ومستحقوها، والاستعطاف للتائبين، وهو : طلب المغفرة للمؤمنين التائبين من قومه، فيكون فيها طلب للرحمة لمستحقي الرحمة كما قال النسفي ، وتفويض في أمر أهل المعاصي والمذنبين كما قال ابن القيم، ومن المعلوم أنّ إنزال العقوبة أو رفعها لا يكون إلاّ عن كمال قدرة وحكمة، فهو القوي الذي لا ند له، والعزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يردّ قضاءه أحد، الحكيم، الذي ينزل عقابه على المستحقين، ويتفضل بعفوه ورحمته على الطائعين، فتكون دلالة الاقتران موافقة لسياق الآية، والله اعلم، وقد جاءت صيغة الاقتران مشابهة من حيث دلالة ومفردات الاقتران السابق فلا داعٍ للتكرار.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (الممتحنة: ٥)

من المعلوم أنّ الأنبياء هم أعلم الناس بالله تعالى، وأكثرهم خوفا منه، وأشدهم خشيةً له، أسعدهم حباً فيه، جاءت الآية على لسان نبي الله إبراهيم –عليه السلام– تتمةً لدعائه وتضرعه إلى الله تعالى أن لا يفتنوا عن دينهم، ثم طلب المغفرة زيادةً في الاستعطاف والتحبب.

توجه الخليل –عليه السلام – إلى الله تعالى بالدعاء –وهو سلاح المؤمن – بكل افتقارٍ وإنابة، فكرر لفظ الربوبية مرتين وجاء بضميري الفصل ثمّ بصيغة الاقتران، يقول ابن عاشور: جاءت صيغة الاقتران تعليلاً للدعوات كلها فإن التوكل والإنابة والمصير تناسب صفة العزيز، وطلب أن لا يجعلهم فتنة باختلاف معانيه يناسب صفة الحكيم، وكذلك طلب المغفرة لأنهم لما ابتهلوا إليه أن لا يجعلهم فتنة للكافرين، وأن يغفر لهم رأوا أن حكمته تناسبها إجابة دعائهم.[١]

بعد أن تحدثت الآيات الكريمة عن براءة إبراهيم –عليه السلام – من أبيه وقومه، جاء الخطاب على لسان إبراهيم –عليه السلام – بالدعاء والطلب والاستعطاف إلى الله تعالى بحسن التوكل والإنابة، وحسن المنقلب ، فطلب أن لا يجعلهم فتنة للكافرين، وأن يغفر لهم الخطايا

([1]) انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج٢٨، ص١٤٩.

والزلات، فالتوكل والإنابة لا تكون إلاّ على من كانت له القوة والعزة، وأمر ونهي، والاستجابة الدعاء ومغفرة الذنوب لا تكون إلاّ عن حكمة مع قدرة وقوة، فالقوي والقادر قد لا يغفر، والحكيم أو الحاكم قد لا يستطيع أن يجري حكمه وأمره الذي أمر به، فليس كل عزيز حكيم، ولا كل حكيم ذو قوة ومنعة، ولكن لمّا اجتمعت هذه الصفات في حق الله تعالى، عُلم أنّ عزته عن كمال علم وحكمة، يجري الأمور وفق حكمه وأمره دون جور أو ظلم، بل يتفضل على عباده بالمغفرة، والثواب الحسن.

جاءت الآيات الثلاث في هذا الاقتران على لسان الأنبياء –عليهم السلام– بصيغةٍ واحدةٍ وهي (إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) وجاءت مؤكدة بأداة التوكيد، مع ضمير الشأن ليفيد الحصر، وجاء بالتعريف للاستغراق في الوصف، وإثبات كمال العزة والحكمة له وحده سبحانه ونفيها عن غيره، وفيه أيضاً كيفية حسن الطلب من الله تعالى، وإثبات جميع صفات الكمال له، وهو من باب تعليم الأنبياء للمؤمنين حسن الثناء على الله تعالى بما هو أهله.

ب- التوحيده وإفراده بالعبودية

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ ﴾ (آل عمران: ٦)

جاء الخطاب الرباني في هذه الآية والآيات التي سبقتها من سورة آل عمران لتبيّن كمال قدرته تعالى، وإحاطته في الخلق، وليدلل به على وحدانيته، وأنه المستحق للعبادة دون غيره، فهو تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي يصور في الأرحام كيف يشاء.

يقول الرازي : فكان قوله (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) دالا على كونه قادرا على كل الممكنات، ودالا على قوله (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) وإذا

ثبت أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، وقادر على كل الممكنات، ثبت أنه قيوم المحدثات والممكنات، فظهر أن هذا كالتقرير لما ذكره تعالى من أنه هو الحي القيوم.[١]

لما دلل سبحانه على أنّه المتصرف في الكون بالخلق والملك، لا يشاركه في ملكه أحد، ليبطل بذلك مزاعم المتكلمين من أهل الكتاب الذين قالوا بألوهية غيره، يقول السعدي: "تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة، المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات الشرائع الكبار، وأنها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقرير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته."[٢]

بعد ما أورد الحق سبحانه وتعالى بعض الأمور الدالة على أنّه وحده المستحق للعبودية دون سواه، بيّن بعض الشواهد على ذلك، بأنّه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو دليل على وسعة علمه وملكه، ثمّ بين أنّه المتصرف في الخلق فيصور في الأرحام كيف يشاء، يهب من يشاء ذكوراً، ويهب من يشاء إناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً، وهو دليل على كمال قدرته وعزته، فإذا ثبت له كمال القدرة والعلم، ثبت أنّه ليس له ند ولا شريك في الأمر ولا في النهي، ثبت أنّه واحد أحد، وإذا ثبت أنه لا ندّ له ثبت أنّه العزيز الذي لا مثيل له، الحكيم الذي يعلم ببواطن الأمور، فيكون الاقتران موافق لسياق الآية، والله أعلم .

٢-قَالَ تَعَالَى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ (آل عمران: ١٨)

---

(1) انظر: الرازي، مفاتح الغيب، مصدر سابق، ج٧، ص ١٣٥.

(2) السعدي، تيسير الرحمن،مرجع سابق، ج١، ص١٢١

تضمنت هذه الآية أعلى درجات التوحيد، واسما وأعظم الشهادات التمجيد، وهي شهادة الحق تعالى لنفسه، وشهادة الملائكة، وأولوا العلم، أنّه لا إله غيره، المستحق للعبودية دون سواه، وأنّ حكمه وملكه قائماً على العدل والقسط، ثمّ أعاد كلمة التوحيد للتدليل والتأكيد على وحدانيته، ثمّ جاء بصيغة الاقتران بقوله: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

يقول القشيري : أخبر الله وحكم الله بأنه لا إله إلا هو، فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق، وأول من شهد بأنه الله- الله، فشهد في الأزل بقوله وكلامه وخطابه الأزلي، (شهد الله) أي: بين الله بما نصب من البراهين، وأثبت من دلائل اليقين، وأوضح من الآيات، وقوله جل ذكره: (والملائكة) لم يؤيد شهادته بوحدانيته بشهادة الملائكة، بل أسعدهم وأيدهم، حين وفقهم بشهادته وسددهم ، وقوله جل ذكره: (وأولوا العلم) وهم أولياء بني آدم إذ علموا جلال قدرته، وعرفوا نعت عزته فأكرمهم حيث قرن شهادته بشهادتهم، فشهدوا عن شهود وتعيين، لا عن ظن وتخمين.[١]

أخبر الحق بشهادته وشهادة ملائكته وأولوا العلم على وحدانيته، ثمّ تحدث عن وحدانيته بقوله (لا إله إلاّ هو)ثمّ ختم الآية بصيغة الاقتران، يقول ابن القيم: تضمنت الآية توحيده وعدله، وعزته وحكمته، فالتوحيد: يتضمن ثبوت صفات كماله، ونعوت جلاله، والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، والعزة تتضمن كمال قدرته وقوته وقهره، والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته، فاسمه العزيز يتضمن الملك، واسمه الحكيم يتضمن الحمد، وأول الآية يتضمن التوحيد، فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة: الدالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل، والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة.[٢]

([1]) انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، ت إبراهيم البسيوني، الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ،د.ت،ج١، ص٢٢٦-٢٢٧.

([2]) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، مصدر سابق، ج٣، ص٤٢٧.

لمّا كانت شهادته تعالى هي أعظم الشهادات، وشهادة ملائكته، وهم أعلم الخلق بالله تعالى، وشهادة أهل العلم، وهم أعلم البشر بالله تعالى، فحمل الخطاب الرباني دلالة التوحيد من جهة، والعدل والقسط –من جهة آخرا– الذي لا يقوم بدوره إلاّ على أساسين القوة والمنعة من جانب، والحكمة والعلم من جانب آخر، ولا يقع الجور والظلم إلاّ إذا انعدم شرط من هذه الشروط، القوة والمنعة، أو الحكمة والعلم، فالعزة دون حكمة توقع الظلم والجور، والحكمة دون عزة لا تستطيع أن توصل الحق لصاحبه، ولهذا جاء الخطاب الرباني ليثبت لله تعالى كمال القدرة والعزة والحكمة والعلم، بالإضافة إلى التوحيد، فناسب الاقتران سياق الآية، والله أعلم .

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ (آل عمران: ٦٢)

أوضحت الآية الكريمة صدق الله تعالى بكل ما أخبر نبيه به، وأنّ هذه القصص التي نقصها عليك يا محمد هي أحسن القصص وأصدقها، لا كما ينسج المتكلمون من بنيّات أفكارهم قصص وأشعار، كل ما فيها وهم وخيال وبُعد عن الواقع والحياة، وأمّا القصة القرآنية فلها زمانها ومكانها وأشخاصها، فعيسى –عليه السلام – وقصة خلقه إن كان متعذراً قبولها عند بعض البشر من مرضى القلوب، إلاّ أنها في قدرة الله تعالى كن فيكون، فهو عبد من عباد الله تعالى مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فكان كما أراد الله تعالى، ثمّ إنّ الله تعالى أيده بالدلالات والآيات الدالة ليكون مبشراُ ونذيراً، ثمّ بيّن أنّ الله تعالى هو المتصرف في الكون المستحق للعبودية دون سواه، وأنّ ما أجراه الله تعالى على يد عيسى –عليه السلام – ليست إلاّ دليلاً على صدق رسالته.

يقول الرازي: " وفيها إشارة إلى الجواب عن شبهات النصارى، وذلك لأن اعتمادهم على أمرين أحدهما : أنه قدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فكأنه تعالى قال: هذا القدر من القدرة لا يكفي في الإلهية، بل لا بد وأن يكون عزيزا غالبا لا يُدفع ولا يُمنع، وأنتم قد اعترفتم بأن عيسى ما كان كذلك، وكيف وأنتم تقولون إن اليهود قتلوه؟ والثاني: أنهم قالوا: إنه كان يخبر عن الغيوب وغيرها، فيكون إلها، فكأنه تعالى قال: هذا القدر من العلم لا يكفي في الإلهية، بل لا

بد وأن يكون حكيما، أي: عالما بجميع المعلومات، وبجميع عواقب الأمور، فذكر العزيز الحكيم هاهنا إشارة إلى الجواب عن هاتين الشبهتين."[١]

أثبت النص الكريم كمال ألوهيته تعالى ووحدانيّته، ويبيّن أنه ما من إلهٍ إلاّ الله تعالى، وإنّ هذه الآيات وما تحتويه من قصصٍ لهي الحق الذي لا ريب فيه، والصدق الذي لا شك فيه، فحمل سياق الآية كل هذا التأكيد والحصر على أنّه وحده المستحق للعبودية، فجاءت صيغة الاقتران بقوله تعالى (وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) لينفي ألوهية عيسى –عليه السلام– التي زعمتها النصارى، وألوهيته غيره، فكان الخطاب لأهل الكتاب مناسباً للمقام للمقال، وجاء بصفتي العزيز الحكيم، فالعزيز من القدرة والقوة والمنعة، والحكيم من الحكمة والعلم، فكأن الخطاب أنّ عيسى –عليه السلام – وغيره ممن عُبد من دون الله تعالى، وإن كان له بعض القدرة والقوة والعلم (معجزات)، فإن قدرته وقوته وعلمه ناقصة بالمقارنة بقدرة الله تعالى وعلمه.

بعد الوقوف على هذه الدلالة يبرز الفارق بين هذه الدلالة في أفراده تعالى بالعبودية وبين الدلالات السابقة التي تناولت هذا الجانب، ففي الاقترانات السابقة "الحكيم العليم" أو "الحكيم الخبير" جاءت موجهة للمجتمع العربي المشرك الذي ليس له أدنا درجات العلم، فجاء الاقتران ليبرز عليه الجانب التعليمي لهذا المجتمع الذي يجهل أغلب الأمور عن الديانات السماوية، في حين أنّ الآيات المدنية لم تتناول الجانب العقدي إلاّ في قضية القضاء والقدر، وأمّا في اقتران اسم الله العزيز مع اسم الله الحكيم فقد تناول الجانب العقدي (إفراده تعالى بالألوهية) ليبيّن كمال قدرته في الخلق والرزق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الروم: ٢٧)، وكمال ملكه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الجاثية: ٣٧) ،وأمّا في هذه الدلالة فإن الخطاب موجه لأهل الكتاب

([1]) الرازي، مفاتح الغيب، مصدر سابق، ج٨، ص٢٥١.

المتعنتين، للرد على افترائهم، وتفنيد اعتقادهم، في ألوهية عيسى وغيره، فغلب عليه جانب الشدة والتخويف، فأثبت الحق وحدانيته بشهادته وشهادة ملائكته وأولي العلم، مع ما يحمله السياق من تهديد ووعيد للمتعنتين الجاحدين.

ت- في إظهار فضله ومنّه على عباده المؤمنين.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٦)

لقد أنعم الله تعالى على أهل بدر بالنصر والتثبيت، فنصرهم وهم أذلة لم يكن إلاّ من تأييد الله لهم، لا من عدتهم وعتادهم، ولا من حولهم وقوتهم، فجاءت الآية في معرض الحديث عن غزوة أحد لتذكرهم بحالهم يوم بدر، حين كانوا قلة مستضعفين في الأرض، يتخطفهم الناس من كل مكان، فأنعم الله عليهم بنصره، وأيّدهم بملائكته، ثمّ بيّن أنّ الإمداد لم يكن إلاّ بشرى ولتطمئن قلوب المؤمنين به، ولتكون غزوة أحد عبرة لهم ولمن بعدهم من المؤمنين، يقول الطبري: وما جعل الله وعده إياكم من إمداده إياكم بالملائكة ،إلا بشرى يبشركم بها ، وكي تطمئن بوعده قلوبكم، فتسكن إليه، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم، وقلة عددكم، وما ظفركم بعدوكم إلا بعون الله، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة.[1]

أوضحت الآية الكريمة، أنّ النصر من الله تعالى لا من غيره، ليكون المؤمن متوكلاً عليه مستعيناً به في كل حال، ومن المعلوم أنّ النصر لا بد أن يقوم على أساسين القوة والحكمة ، فالشجاعة والقوة دون حكمة تؤدي إلى التهور والتسرع ، فيفقد النصر، والحكمة دون قوة وعزة قد تؤدي إلى الجبن والتخاذل والخوف، فلا يكون نصرا ، فبين الحق سبحانه، أن النصر من عنده عن كمال قوة وقدرة وعزة ، فهو القوي الذي لا يغلب ، الحكيم: الذي يهيء للنصر أسبابه ومسبباته، فينزل سبحانه الملائكة بأمره، في الوقت المناسب، والمكان المناسب، وينزل نصره أيضاً وقت ما يشاء، ويرفعه وقت ما يشاء، فناسبت صيغة الاقتران دلالة الآية، مع ما تحمله من طمأنة للمؤمنين

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج٧، ص١٧٠.

بحسن التوكل على الله تعالى، والانقياد لحكمه وأمره، وأنّه ناصر جنده، وإن خذلهم أهل الأرض جميعا .

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ (الجمعة: ٣)

لمّا ذكر الحق سبحانه فضله على المؤمنين عامةً، وعلى العرب خاصةً، بأن بعث فيهم رسولاً من بني جلدتهم، يتلو عليهم آيات ربهم، ويعلمهم الكتاب الحكمة، بيّن حالهم وما كانوا عليه من الضلال والشقاوة قبل مبعثه –صلى الله عليه وسلم–، فجاء الاقتران بقوله :"وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم، وتأييده عليه، واختياره إياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي أعطاه محمداً، وهو أن يكون نبي أبناء عصره، ونبي أبناء العصور الغوابر، هو فضل الله يؤتيه من يشاء وفق ما تقتضيه حكمته."(١)

ثمّ يخبر الحق سبحانه أنّ هناك أمماً أخرى غير العرب تدخل في دين الله أفواجاً، وذلك مصداقاً لقوله:(وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ) يقول القاسمي : وفي الآية معجزة من معجزات النبوة، وذلك في الإخبار عن غيب وقع، والبشارة بدخول أمم غير العرب في الإسلام قد حصل، فقد صارت تلك الأمم التي أسلمت، من العرب لأن بلادهم صارت بلاد العرب، ولغتهم لغة العرب، وكذلك دينهم وعاداتهم، حتى أصبحوا من العرب جنسا ودينا ولغة."(٢)

فالعزيز الذي لا رادّ لقضائه، ولا مانع لأمره وسلطانه، فهو قضى بقوته، وقدر بقدرته، أن تكون هذه الرسالة لهذا الرجل الأمي، ولهذه الأمة الأمية، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه دون خلل بإحكام وإتقان ، فاختار هذا النبي لهذه الأمة، واختيار هذه الأمة من بين الأمم لهذه الرسالة، وقد تكون من كمال العلم بإخباره عن الغيب بدخول العرب وغير العرب في هذا الدين

---

(1) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٤، ص٥٣٠.

(2) القاسمي، محاسن التأويل، مصدر سابق، ج٩، ص٢٢٨.

فتكون من دلالات النبوة، ومن معجزات هذا الكتاب العظيم، وقد جاء الضمير في هذا الاقتران ليفيد الحصر.

ث- في مقام المدح والثناء والتعظيم.

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحشر: ٢٤)

تحدثت الآيات القرآنية عن صفات الله تعالى، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وهي صفات تدل على العظمة والملك والخلق، فأثبتت هذه الأسماء لله تعالى جميع صفات الكمال، فهو الموصوف بأشرف الأسماء وأجل الصفات، ثمّ ذكرت الآية صفات الخلق والتكوين دون سواها من الصفات، قال الرازي: "الخالق: هو المقدر، وأنه يقدر أفعاله على وجوهٍ مخصوصة، وهي راجعة إلى صفة الإرادة، والبارئ: وهو صانع وموجد، إلا أنه يفيد اختراع الأجسام، والمصور: وهو أنه يخلق صور الخلق على ما يريد، وقدم ذكر الخالق على البارئ، لأن ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور، لأن إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات" .[١]

فجاء الترتيب في هذه الآية على غاية الإتقان والتناسق، فالإرادة والإخراج من العدم أولاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا ﴾ (الحجر: ٢٨)ثم الصنع والإيجاد(مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾)ثمّ التصوير وهي الخلق على أحسن صورة فلا إنساناً يشبه إنساناً منذ أن خلق الله الخلق إلى أن تقوم الساعة قال تعالى:(فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(الحجر:٢٩) ، يقول الغزالي :" قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق

---

(1) الرازي، مفاتح الغيب، مصدر سابق، ج٢٩، ص٥١٤.

والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا، والله سبحانه وتعالى خالق من حيث إنه مقدر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد ،ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب."(١)

بيّنت الآية الكريمة أنّه تعالى الموصوف بجميع صفات الكمال، المنزه عن كل صفات النقص، فجاء الاقتران بقوله:(وهو العزيز الحكيم) التي تفيد الحصر من حيث الضمير، والتعريف الذي يفيد الاستغراق، وأما سبب ذكر هذين الاسمين فإنّ الآية بينت كمال القدرة في الخلق، ثمّ في الإيجاد، ثمّ في التصوير، وجاء اسم الله العزيز؛ لبيان كمال القدرة والإرادة في الخلق، والحكيم من الإحكام والإتقان فلا خلق يشبه خلقا، ولا لساناً يشبه لساناً ولا صورة تشبه صورة، فكشفت الآية عن كمال قدرته في الخلق، وإتقانه للخلق، وأن خلقه تعالى للأشياء على أحسن صورة، وأتم حالة، وأبها تقويم، فناسب الاقتران سياق الآية، والله أعلم.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ (التغابن: ١٨)

بعد أن كشفت الآية السابقة من سورة التغابن فضل الإنفاق وأجر المنفقين، عقبه بقوله: "عالم الغيب والشهادة"؛ للدلالة على كمال علمه، وأنه يعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق المرائي، ومن يريد بنفقته وجه الله تعالى، ومن يريد غير ذلك ، جاءت الآية القرآنية لتبين كمال قدرته تعالى وأنّه لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

يقول ابن عاشور : جاء الوصف ب (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) فهو تتميم للتذكير بعظمة الله تعالى مع مناسبتها للترغيب والترهيب اللذين اشتملت عليهما الآيات السابقة كلها؛ لأن العالم بالأفعال ظاهرها وخفيها لا يفوّت شيئا من الجزاء عليها، ولأن العزيز لا يعجزه

---

(1) الغزالي، المقصد الاسنى،مصدر سابق، ص٧٥.

شيء، والحكيم: الموصوف بالحكمة لا يدع معاملة الناس بما تقتضيه الحكمة من وضع الأشياء مواضعها ،والحكيم: المحكم، أي: المتقن في صنعه ومعاملته وهما معا من صفاته تعالى.(١)

جاء الاقتران في هذه الآية بقوله (ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) لتنزهه سبحانه عن كل شوائب النقص، واختصاصه بجميع صفات الكمال، وشمول قدرته، وإحاطة علمه بأحوال الكافر والمؤمن، فيكون سياق الآية قد حمل كمال العلم، وكمال القدرة، وباطن الإرادة، وأمّا الآيات السابقة من سورة التغابن قد أمرت المؤمنين بالتقوى، وحثتهم على والنفاق في سبيل الله تعالى، وحذرتهم من الشح، ثمّ بيّنت أجر المنفقين بمضاعفة الأجر، ومغفرة الذنوب، ومن المعلوم أنّ مضاعفة الأجر ومغفرة الذنوب، لا تكون إلاّ من كمال قدرة وحكمة، فيغفر وهو قادر على إنزال العقوبة، فهو العزيز الذي لا ند له ولا مثيل، حكيم، يغفر لمن يستحق المغفرة، ويعذب من يستحق العذاب.

ثانياً: الآيات التي جاءت في فواتح السور والسياقات التي وردت فيها والموضوعات التي تناولتها.

يرى الناظر في كتاب الله تعالى هذه الاقترانات وهي تضفي على هذا الكتاب جمالاً وبهاءً فوق بهائه، فتراها في كل سورةٍ ترد بطريقةٍ ونسقٍ مختلفٍ عن سابقه، فمرةً تأتي في أول السورة، وأخرى تختتم بها السورة، وثالثة تراها في سياق السورة القرآنية، إمّا بعد حكمٍ شرعيٍ، أو أمرٍ رباني، أو للدلالة عن محور الآية وسياقها الذي وردت به، كل هذا ليلفت الحق سبحانه عباده إلى أسرار هذه الأسماء وجمالياتها، وقد ورد هذا الاقتران في فواتح السورة القرآنية في أربعة مواضع، جاءت في مقام التسبيح والتعظيم والتنزيه لله تعالى عن كل نقص، وحملت جميعها صيغةً واحدةً وهي

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق،ج ٢٨، ص٢٩١.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) فتقدم الضمير للحصر ، عدا سورة الجمعة التي جاءت باقترانٍ رباعي، وبصيغةٍ مختلفة، وأما الآيات فقد جاءت على النحو الأتي:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ (الحديد: ١)

بدأت السورة القرآنية بصيغة التسبيح والتعظيم والتنزيه لله تعالى عن كل نقص، وذلك أنّه وحده سبحانه المستحق للعبودية في السماوات والأرض دون سواه، فالسماوات والأرض ملكه، والخلق في قبضته وتحت سلطانه وقهره، يقول الرازي :جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أن كون هذه الأشياء مسبحةً غير مختص بوقت دون وقت، بل هي كانت مسبحة أبداً في الماضي، وتكون مسبحة أبدا في المستقبل، ثم قال في تفسير قوله :وهو العزيز الحكيم فالمعنى أنه القادر الذي لا ينازعه شيء، فهو إشارة إلى كمال القدرة، والحكيم إشارة إلى أنه العالم الذي لا يحتجب عن علمه شيء من الجزئيات والكليات، وهو الذي يفعل أفعاله على وفق الحكمة والصواب، ولمّا كان العلم بكونه قادرا متقدما على العلم بكونه عالما لا جرم قدم العزيز على الحكيم في الذكر.وهو العزيز الحكيم يدل على أن العزيز ليس إلا هو لأن هذه الصيغة تفيد الحصر، فهذا يقتضي أنه لا إله إلا الواحد، لأن غيره ليس بعزيز ولا حكيم وما لا يكون كذلك لا يكون إلها[١].

جاءت الآية القرآنية لتبيّن كمال قدرته، وعظيم صنعه وإتقانه، وأنّه سبحانه المنزه عن كل نقص، المستحق للمعبودة دون سواه، ودلل على ذلك بأنّ له ملك السماوات والأرض، المتصرف بهما، يحيي ويميت يخلق ويرزق، الأولٌ بلا ابتداء، الآخرٌ بلا انتهاء، بيده كل شيء، غني عن كل شيء، فخلق السماوات والأرض، واستواؤه على العرش، دليل على كمال قدرته، ونفاذ أمره، وأن الإنسان خليفة الله في أرضه، فواجبه المسلم أن ينفق في سبيله، قال تعالى ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

([1]) انظر: الرازي، مفاتح الغيب، مصدر سابق، ج٢٩، ص٤٤١ –٤٤٣.

وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾(الحديد–٧)، فجاءت الاقتران بقوله: (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) ومن خلال سياق الآيات القرآنية تبرز الدلالة، فالخلق والملك، والموت والحياة لا تكون إلاّ عن كمال قدرة، والتعظيم والتنزيه والتقديس لا تكون إلا ّعن كمال عزة، والخلق والإبداع والإحكام، لا تكون إلاّ عن كمال حكمةٍ وعلم، فإذا كان سبحانه كذلك – وهو كذلك – كان مستحقاً للتسبيح والتعظيم والتقديس، فناسب الاقتران سياق الآيات، والله اعلم.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ (الحشر: ١)

لزيادة الترقي في مراتب العبودية، وحثاً على حسن الاستقامة، جاءت الآية الكريمة في معرض التذكير للمؤمنين بالتسبيح والتنزيه والتعظيم لله تعالى عن كل نقص؛ لأنّ جميع ما في الكون يعج بتسبيحه، فواجبكم أيها المؤمنون أن تسبحوه وتنزهوه وتقدسوه كما هو الحال مع الكون وما فيه، ثمّ ذكرهم فضله ومنّه عليهم، فهو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم، بعد ما ضاق الأمر على المؤمنين.

يقول ابن عاشور: افتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح ما في السماوات والأرض لله تعالى تذكير للمؤمنين بتسبيحهم لله تسبيح شكر على ما أنالهم من فتح بلاد بني النضير فكأنه قال سبحوا لله كما سبح له ما في السماوات والأرض،وقد جاءت مشابهة لبداية سورة الحديد إلا أنها في سورة الحديد:ما في السماوات والأرض وهاهنا قال: ما في السماوات وما في الأرض، لأن فاتحة سورة الحديد تضمنت الاستدلال على عظمة الله تعالى وصفاته وانفراده بخلق السماوات والأرض، فكان دليل ذلك هو مجموع ما احتوت عليه السماوات والأرض من الموجودات فجمع ذلك في ما الموصولة التي صلتها قوله:في السماوات والأرض، وأما فاتحة سورة الحشر فقد سيقت للتذكير بمنة الله تعالى على المسلمين في حادثة أرضية وهي خذلان بني النضير ، فناسب فيها أن يخص أهل الأرض باسم موصول خاص بهم ، وعلى هذا المنوال جاءت فواتح سور الصف والجمعة، وأوثر

الإخبار عن (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض) بفعل المضي لأن المخبر عنه تسبيح شكر عن نعمة مضت قبل نزول السورة وهي نعمة إخراج أهل الكتاب.[١]

جاءت الآية الكريمة مشابهة للاقتران في الآية الماضية، إلاّ أنّ السياق والدلالة في السّورتين مختلف، ففي سورة الحديد بينت كمال قدرته في الخلق وسعة ملكه وسلطانه، وأنه المتصرف في سماواته وأرضه، وأما في سورة الحشر فقد جاء السياق ليبيّن فضله ومنته على المؤمنين، وأنّ النصر من عنده، وأنّ الحصون والقلاع والقوة والمنعة لا تسوي مع عزته سبحانه وقوته ومنعته شيئاً، وإن ظن من ظن بقلاعه وحصونه منعته نجاةً، فهي لا شيء أمام قوة الله وقدرته، فهو العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يمنع قضاؤه شيء، الحكيم الذي يضع نصره حيث يشاء، العليم بالسرائر والضمائر وما يدور في خلجات نفوسهم، مع ما تحمله الآية من الحث التحفيز للمؤمنين على تسبيحه وتعظيمه تعالى؛ لأنّ جميع ما في السماوات والأرض تسبحه وتعظمه، وتنزهه عن كل نقص، كما تحثهم على حسن التوكل على الله تعالى في كل الأمور فهو سبحانه لا يعجزه شيء.

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ (الصف: ١)

إنّ المتأمل في الآيات القرآنية السابقة يرى تشابهاً كبيراً بين هذه الآيات من حيث الألفاظ، غير أنّ سياق الآيات جاء مغايراً تماماً، فقد جاء السياق في سورة الصف يحمل نوعاً من العتاب والتوبيخ لمن يكون قولهم مخالفاً لفعلهم، لأنه فعل يمقته الله، وينهى عنه، ولا يرضاه لعباده.

يقول البقاعي:" ذكر أول هذه السورة من تنزيهه بألسنة أحوال ما لا يعقل،ما يخجل المسلم بشيء من ذلك تأديبا لأمثاله، وتدريبا لمن يلم بشيء من المخالفة بباله، وكان العاقل أولى من غيره بتنزيه جناب القدس بالطاعة، فكيف إذا كان ممن أقر بالإيمان وتقلد عهدة الإذعان، وكان من عصى منهم مناديا على نفسه بمخالفة قوله لفعله، ومن نزهه حق تنزيهه لم يقصر في حق من حقوقه بتضييع شيء من أوامره كما أن تنزيه ما لا يعقل بأن لا يخالف شيئا من مراده، قال مرهبا

([1]) انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢٨، ص٦٤-٦٥.

بنداء البعد والتوبيخ الذي من مبادئ الغضب والإنكار بالاستفهام والتعبير بما يفهم أدنى مراتب الإيمان."[١]

جاء الاقتران في هذه الآية مكملاً للاقترانات السابقة، فكل سورة جاءت تعالج موضوعاً مختلفاً عن سابقه، فسورة الحديد جاءت تحث على الإنفاق في سبيل الله، وتبيّن أجر المنفقين، وأما سورة الحشر فقد أمرت بحسن التوكل على الله تعالى، وتبيّن أنّ النصر من الله –تعالى – وحده .

وأما دلالة الاقتران في هذه الآية فهي مشابهة لسابقتها، فالتنزيه والتقديس والتعظيم لا تكون إلاّ للعزيز والخلق والملك والإبداع لا تكون إلاّ من حكيم ، وأمّا ربطها بالآيات التي تليها فقد جاءت الآيات تتحدث عن الجهاد، وتأمر بتوحيد الصفوف، وتصحيح النية؛ حتى يكون العمل في سبيل الله تعالى، وابتغاء مرضاته، مع ما تحمله من الإنكار والعتاب والتوبيخ لمن يكون قوله مخالفاً لفعله، فجاءت الآيات تأمر المؤمن بحسن التوكل على الله ؛ لأنّه يأوي إلى ركنٍ شديد، فهو العزيز الذي لا ندّ له ولا مثيل، الحكيم في شرعه، فلم يشرع الجهاد إلاّ لمصلحتهم لتكونوا أعزةً بعزته تعالى، تهابكم الشعوب، وتخشاكم الأمم، فتكونوا به سادة البشر وخلفاء الأرض.

وأما الاقتران الأخير في هذا الفصل فقد جاء اقتراناً رباعياً ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ (الجمعة:١) حيث اقترن العزيز الحكيم مع اسمي الملك والقدوس ،وقد جاء مشابهاً للاقترانات السابقة من حيث افتتاح السورة به ، وجاء في مقام التسبيح والتعظيم والتقديس من جهةٍ أخرى ،إلاّ أنّ السياق والدلالة مختلفة فقد جاء هنا في مقام إظهار الفضل والمنة على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم ومن بني جلدتهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة، وهو خارج نطاق الدراسة.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٢٠، ص٥.

الفصل الرابع

اقتران اسم الله الحكيم مع الأسماء الله

(التوّاب، الحميد، العليّ، الواسع) في القرآن الكريم

المبحث الأول

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله التواب والسياق الذي ورد فيه

المطلب الأول

التعريف باسم الله التواب

التعريف في اللغة

التواب : قال ابن فارس : (تَوَبَ) التَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الرُّجوعِ. يُقَالُ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَيْ رَجَعَ عَنْهُ،ومنها يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا."[١]

ويقول الراغب الأصبهاني : التَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار... والتَّوْبَةُ في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال .[٢]

ويقول الفيروز آبادي : تابَ إلى اللَّه تَوْباً وتَوْبَةً ومَتاباً وتابَةً وتَتْوِبَةً: رَجَعَ عن المَعْصيَة، وهو تائِبٌ وتَوَّابٌ، وتابَ الله عليه: وفَّقَه للتَّوبةِ، أو رجَعَ به من التَّشْدِيد إلى التَّخْفيفِ، أو رَجَعَ عليه بِفَضْلِهِ وقبوله، وهو تَوَّابٌ على عبادِه.[٣]

([1]) أبن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج١، ص٣٥٧.

([2])الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ج١، ص١٦٩.

([3]) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج١، ص٦٢.

التعريف باسم الله التواب في الاصطلاح

قال الخطابي : "هو الذي يتوب على عبده، ويقبل توبته، يقال: تاب الله على العبد: بمعنى وفقه للتوبة."[١]

يقول الغزالي : "هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فصل الله تعالى بالقبول تنبيه."[٢]

من خلال المعاني السابقة يظهر أنّ المعنى يرجع إلى أصل واحد وهو الرجوع والعودة ، فهو سبحانه التوّاب يقبل العائد إليه والمقبل عليه فلا يردّه.

([1]) الخطابي،شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٩٠.

([2]) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص١٣٩.

المطلب الثاني

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله التواب والسياق الذي ورد فيه

لم يرد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى إلاّ في موضعٍ واحد وهو في سورة النور وهي سورة مدنية كما نعلم، حيث جاء الخطاب الرباني ليبيّن كمال فضله على عباده بقبول توبتهم إن هم عادوا وأنابوا إليه، ثمّ بيّن أنّ قبوله للتوبة عن كمال حكمة ورحمة منه سبحانه، لا عن غير ذلك .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (النور: ١٠)

جاء الخطاب الرباني من الله تعالى لبيان كمال فضله ورحمته بعباده، ولتظهر آثار مغفرته عليهم، فبيّن حكم اللعان، وما يترتب عليه من أحكام، ثمّ ذكّرهم فضله بان سترهم رحمةً بهم، ولم ينزل عليهم عقابه وعذابه رأفةً لحالهم، بل تلطف بكرمه عليهم، فأبقى لهم باب التوبة مفتوحاً للعودة إليه، والإقبال عليه.

يقول الطبري :"ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم، وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه."(١)

وأما عن ورود اسم الله تعالى التواب مع الحكيم فقد ورد في بعض الموضوعات التي تنولها اقتران اسم الله العليم مع اسم الله الحكيم الحث على التوبة والتحفيز عليها -(ص، ٧٦)-، فجاء هذا الاقتران ليبيّن أن من كمال حكمته تعالى أنه تواب، فكان هذا الاقتران بمثابة التكميل لهذه

---

(1) الطبري،جامع البيان،مصدر سابق، ج١٩، ص١١٥.

الدلالات، يقول ابن عاشور: "وفي ذكر وصف الحكيم هنا مع وصف تواب إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة، وهي استصلاح الناس ، وحذف جواب لولا للتفخيم والتعظيم"([1]) فهذه التوبة عن حكمة أرادها الحق سبحانه وتعالى وهي تحفيزهم إلى طاعته، وحثهم إلى معرفته، ومعرفة صفاته وأسمائه، والعودة إليه تعالى، وأن لا يستمروا على المعصية والغيّ، فحكمته تعالى تقتضي قبول المذنبين، وستراً على العاصين المقبلين عليه.

جاءت الآية القرآنية بعد حكم اللعان وما يترتب عليه من أحكام، للرّجال وللنساء على السواء، فبيّن سياق الآية كمال فضله ورحمته تعالى على عباده؛ بأن جعل باب التوبة مفتوحاً للعصاة المذنبين من هذه الأمة للعودة والإنابة إليه تعالى، ومن رحمته أيضاً أنّه لم يعجل لهم العقوبة بالدنيا بفضحهم وهتك أستارهم، فناسب اقتران اسم الله التواب، الحكيم، في شرعه وشريعته، فلم يشرع لهم ما لا يطيقون من الأحكام، ولا ما لا يستطيعون من الأوامر، بل جاء لهم بشريعةٍ تُصلح لهم دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وأمّا أثر الاقتران فقد حثّ على فعل الخيرات، والمسارعة إلى الطاعات، مهما بلغت الذنوب والمعاصي؛ لأنّه تعالى هو القائل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾(٨٢–طه) يغفر الذنوب جميعا بفضله ورحمته ومنّه، مع ما يحمله الاقتران أيضاً من طمأنة للنفوس بعدم القنوط من رحمة الله تعالى وإن عظمت الذنوب وكثرت.

([1]) أبن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٨، ص١٦٩.

المبحث الثاني

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله الحميد السياق الذي ورد فيه

المطلب الأول

التعريف باسم الله الحميد

التعريف في اللغة

قال الهروي : الحَمدُ: نَقيضُ الذَّمِّ، يُقَال: حَمِدْتُه على فعله، وَمِنْه المحْمدَةُ.[١]

ويقول أبن فارس: "(حَمِدَ) الْحَاءُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الذَّمِّ. يُقَالُ حَمِدْتُ فُلَانًا أَحْمَدُهُ. وَرَجُلٌ مَحْمُودٌ وَمُحَمَّدٌ، إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ غَيْرُ الْمَذْمُومَةِ."[٢]

ويقول الراغب الأصفهاني :الحَمْدُ لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخصّ من المدح وأعمّ من الشكر.[٣]

التعريف بالاصطلاح

قال الخطابي : الحميد: هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ؛ فهو محمود على كل حال."[٤]

---

(1) الهروي،تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج٤، ص٢٥١.

(2) أبن فارس،مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج٢، ص١٠٠.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٦.

(4) الخطابي، شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٧٨.

يقول الغزالي : هو المحمود المثنى عليه، والله عز وجل هو الحميد بحمده لنفسه أزلا وبحمد عباده له أبداً، ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا إلى ذكر الذاكرين له، فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال تنبيه."[١]

من خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي فإنّ الأصل واحد، وهو الحمد والثناء، فالله تعالى هو وحده المستحق للحمد والثناء، الموصوف بأعلى صفات الكمال، وأجل صفات الجمال، فله الحمد على خلقه، وله الحمد على رزقه، وله الحمد على عدله وقضائه.

المطلب الثاني

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله الحميد والسياق الذي ورد فيه

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في موضعٍ واحد في سورة فصلت، وهي سورة مكية، وقد تقدم فيها اسم الله الحكيم على اسم الله الحميد، فجاء الخطاب ليبيّن كمال فضله على عباده بحفظ كتابه من عبث العابثين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤٢).

كشفت الآية الكريمة عن شرف هذا الكتاب –القرآن الكريم – ومكانته وفضله، وأنّ الباطل لا يأتيه ولا يتطرق إليه؛ وأنّه محفوظ بحفظ الله له من الزيادة والنقص، تنزيل من حكيم حميد، فبعد أن بيّنت الآيات السابقة لهذه الآية حال المشركين، وكفرهم وإعراضهم عن آيات الله تعالى وعنادهم

---

(1) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص١٣٠.

للحق ومعدتهم له ، جاءت هذه الآية لتبيّن مكانة هذا الكتاب وأنّه منزل من الله تعالى الموصوف بأعلى صفات الكمال المستحق لكل صفات الحمد.

ويقول ابن عاشور : تنزيل من حكيم، ولا يصدر عن الحكيم إلا الحكمة ، فإن كلام الحكيم يأتي محكما متقنا رصينا لا يشوبه الباطل، ثمّ إنه تنزيل من حميد، والحميد هو المحمود حمدا كثيرا، أي: مستحق الحمد الكثير، فالكلام المنزل منه يستحق الحمد وإنما يحمد الكلام إذ يكون دليلا للخيرات وسائقا إليها لا مطعن في لفظه ولا في معناه، فيحمده سامعه كثيرا لأنه يجلب الخير الكثير، ويحمد قائله لا محالة أيضاً، وفي إجراء هذه الأوصاف إيماء إلى حماقة الذين كفروا بهذا القرآن وسفاهة آرائهم إذ فرطوا فيه ففرطوا في أسباب فوزهم في الدنيا وفي الآخرة.(١)

بيّنت الآية القرآنية مكانة القرآن الكريم وفضله، وأنه محفوظ بحفظ الله له، لا يتطرق له عبث ولا شك، فجاءت صيغة الاقتران تؤكد على صدق لهذا الكتاب وأنّه من لدن حكيم حميد، ومن المعلوم أنّ الحكيم لا يصدر منه إلاّ الحكمة والعلم، فهو كلام محكمٌ متقنٌ لا تشوبه شائبة، ومن كان كلامه كذلك فهو مستحق للحمد والثناء عليه، فالعرب في الجاهلية كانوا يفتخرون بقصائدهم ويمدحونها ويثنون على أنفسهم وعشيرتهم بها، حتى أنهم علقوها على أستار الكعبة، وهو كلام بشر معرض للخطأ والصواب، ومن هؤلاء الأعشى الذي سمى القصيدة المحكمة حكيمة.

هذا في كلام البشر فكيف بكلام الله تعالى الذي قال:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤٢) ومن أصدق من الله قيلا، فله الحمد على القرآن، وله الحمد على أن هداانا للإيمان، وله الحمد في السر والعلانية ، فناسب الاقتران سياق الآية، والله اعلم.

---

(1) انظر :ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٤، ص٣٠٩.

وأمّا أثر الاقتران فقد جاءت الآية القرآنية لتطمئن المؤمنين على صدق هذا الكتاب ،وصدق ما جاء فيه من أحكام وقصص وأخلاق، ولتهدئ من روع المسلمين حول ما تشيعه قريش وغيرها من الأقاويل الباطلة عن القرآن، مع ما فيه من تثبيت لفؤاد النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، وأنّه تعالى هو وحده المستحق لأعلى درجات الحمد والثناء.

المبحث الثالث

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله العلي والسياق الذي ورد فيه

المطلب الأول

التعريف باسم الله العلي

التعريف في اللغة

قال الهروي: فالعليّ الشريف فعيل من علا يَعْلُو، وَهُوَ بِمَعْنى العالي، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقه شَيْء. ويقال: هو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته. وأمّا المتعالي فَهُوَ الَّذِي جَلّ عَن إفْك المفترين، وتنزّه عَن وساوس المتحيّرين. وَقد يكون المتعالي بِمَعْنى العالي. وَيُقَال رجل عليّ أَي شرِيف، وَجمعه عِلْية، يُقَال: فلَان من عِلْية النَّاس أَي: من أَشْرَافهم، وقال الليث: العَلْياء، رَأس كل جبل مشرِف.[١]

وقال ابن فارس: "(عَلَوَ) الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَاءً كَانَ أَوْ وَاوًا أَوْ أَلِفًا، أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى السُّمُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، لَا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ. وَمِنْ ذَلِكَ الْعَلَاءُ وَالْعُلُوُّ. وَيَقُولُونَ: تَعَالَى النَّهَارُ، أَيِ ارْتَفَعَ."[٢]

يقول الراغب: العُلْوُ: ضدّ السُّفْل، والعُلْوِيُّ والسُّفْليُّ المنسوب إليهما، والعُلُوُّ: الارتفاعُ، وقد عَلَا يَعْلُو عُلُوّاً وهو عَالٍ، وعَلِيَ يَعْلَى عَلَاءً فهو عَلِيٌّ،(عَلَا) يقال في المحمود والمذموم، و(عَلِيَ) لا يقال إلّا في المحمود، قال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (القصص-٤). [٣]

([1]) الهروي، تهذيب اللغة، مصدر سابق،ج٣، ص١١٩.

([2]) أبن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج٤، ص١١٢.

([3]) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ج١، ص٥٨٢-٥٨٣.

التعريف باسم الله العلي في الاصطلاح

قال الخطابي : هو العالي القاهر. فعيل بمعنى فاعل، كالقدير والقادر والعليم والعالم، وقد يكون ذلك من العلو الذي هو مصدر: علا، يعلو، فهو عال. كقوله:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (طه-٥)، ويكون ذلك من علاء المجد والشرف. يقال منه: علي يعلى علاء، ويكون: الذي علا وجل أن تلحقه صفات الخلق، أو تكيفه أوهامهم.[١]

وقال الغزالي : "هو الذي لا رتبة فوق رتبته، وجميع المراتب منحطة عنه وذلك لأن العلي مشتق من العلو والعلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل ."[٢]

من خلال الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي يُظهر المعنى واحد وهو العلو المطلق المنزه عن كل صفات النقص، وهو أيضاً علو قهر؛ فقد قهر العباد بقدرته ودانت جميع الموجودات لعظمته.

([1]) الخطابي، شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٦٦.

([2]) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص١٠٦.

المطلب الثاني

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله العلي والسياق الذي ورد فيه

ورد هذا الاقتران في كتاب الله تعالى في موضع واحد أيضاً، في سورة الشورى ، وهي سورة مكية كما نعلم، فجاءت الآية الكريمة تبيّن صور الوحي والطرق التي يأتي بها إلى الرسل عليهم السلام .

قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (الشورى: ٥١)

لمّا بيّن النص القرآني السابق من سورة الشورى كمال قدرة الله تعالى، وأنه المتصرف في هذا الكون، فالسماوات والأرض في ملكه وسلطانه وتحت قبضته تعالى، وهو وحده من يخلق ويرزق، فيهب الإناث ويهب الذكور ويجعل من يشاء عقيماً، جاءت الآية القرآنية تبين أنواع الوحي وصوره التي يوحي بها الله تعالى إلى أنبيائه، وأنّ هذه الصور وإن اختلفت فإنّ مصدرها واحد وهو الحق سبحانه وتعالى.

يقول الطبري : وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهاما وإما غيره ،أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل، وإما غيره ، فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي.[١]

([1]) انظر: الطبري،جامع البيان، مصدر سابق، ج٢١، ص٥٥٨.

من حكمة الله تعالى بالبشر أن أرسل لهم الرسل، وأنزل لهم الكتب، وشرع لهم الشرائع، حتى لا يبقى للناس على الله تعالى حجة، ومن حكمته أيضاً أن جعل لكل نبيّ خصوصيته بالوحي، وطريقته في تلقي الرسالة، وجعل لكل رسولٍ معجزةً مختلفةً عن غيره من الرسل، وذلك أنّ حاجات الشعوب وثقافاتهم وشرائعهم مختلفة، يقول ابن عاشور عن المناسبة بين اقتران هذين الاسمين : "وإنما أوثر هنا صفة العلي الحكيم لمناسبتهما للغرض؛ لأنَّ العلو في صفة العلي علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدس بالتصفية فما كان لها أن تتلقى من الله مراده مباشرة فاقتضى علوه أن يكون توجيه خطابه إلى البشر بوسائط يفضي بعضها إلى بعض لأن ذلك كما يقول الحكماء: استفادة القابل من المبدأ تتوقف عن المناسبة بينهما. وأما وصف الحكيم فلأن معناه المتقن للصنع العالم بدقائقه وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه على تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه ولا خروج عن طاقة المتلقين."[١]

جاء الاقتران ليبيّن عظمته تعالى وأنه منزه عن كل شيء، وأنّ العقول البشرية قاصرة عن إدراكه تعالى، وإدراك أوامره وشرعه، إلاّ عن طريق واسطة بينه تعالى وبين خلقه، وهذه الواسطة هم الأنبياء والرسل –عليهم السلام – ، فبيّنت الآية القرآنية صور الوحي، وكيفية تلقي الأنبياء –عليهم السلام– للرسالة، فيوصلها سبحانه بأيّ صورةٍ شاء وكيف شاء، فلا تهم الكيفية، ولكن المهم أن تصل هذه الرسالة كما أرادها الله تعالى إلى عباده، فواجب المسلم أن لا يلتفت إلى المغرضين والحاقدين على الإسلام وأهله مادام مصدرها الحق جل جلاله، فهذه الصور تدل على عظمته وعلو شأنه تعالى، فسبحانه لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول ، فإذا كان ملوك الأرض يرسلون الرسل، ويحتجبون عن الناس، ويسنون يشرعون، ويأمرون وينهون، ويعدونها من صفات العلو،

([1]) ابن عاشور التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٥، ص١٥٠.

وهي صفة مذمومة في بني البشر، فإنها في حق الله تعالى صفة كمال؛ لأنه علوٌ عن حكمةٍ وقدرةٍ، الحكيم المتقن للصنع العالم بالدقائق ، فيجعل لكل نبيٍ خصوصيته في النبوة، فمنهم من رأى في المنام كإبراهيم –عليه السلام –، ومنهم من كلم الله، نحو موسى –عليه السلام –، ومنهم من أرسل إليه رسولا ، نحو عيسى –عليه السلام ، ومنهم من جمع الله له كل هذه الصور، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن خلال سياق الآية وصيغة الاقتران يبرز الأثر النفسي لتطمئن النفوس بصدق الرسول –صلى الله عليه وسلم – ، وصدق رسالته، وأنّ جميع ما يوحى إليه صدق وعدل، كيفما كانت الصورة التي يوحى بها إليه، وكيفما كانت الحالة التي هو –عليه الصلاة والسلام – عليها .

المبحث الرابع

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله الواسع والسياق الذي ورد فيه

المطلب الأول

التعريف باسم الله الواسع

التعريف في اللغة

يقول الفراهيدي : وسع: الوُسْعُ: جِدةُ الرَّجلِ، وقدرة ذات يده. تقول: انفِقْ على قَدْرِ وُسْعِك، أي: طاقتك. وَوَسُعَ الفرس سَعَةً ووَساعَةً فهو وَساعٌ. وأَوْسَعَ الرّجل: إذا صارَ ذا سَعَةٍ في المال، فهو مُوسِعٌ وإنّه لذو سَعَةٍ في عيشه."[١]

ويقول ابن فارس :" (وَسَعَ) الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالْعَيْنُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ. يُقَالُ وَسُعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ. وَالْوُسْعُ: الْغِنَى. وَاللَّهُ الْوَاسِعُ أَيِ: الْغَنِيُّ. وَالْوُسْعُ: الْجِدَةُ وَالطَّاقَةُ. وَهُوَ يُنْفِقُ عَلَى قَدْرِ وُسْعِهِ. "[٢]

التعريف في الاصطلاح

قال الخطابي الواسع : "هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه. والسعة في كلام العرب: الغنى.ويقال: الله يعطي عن سعة، أي: عن غنى."[٣].

وقال الحليمي : "ومعناه الكثير مقدوراته ومعلوماته ، واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء ، ولا يخفى عليه شيء ، ورحمته وسعت كل شيء."[٤]

([1]) الفراهيدي، العين، مصدر سابق، ج٢،ص٢٠٣.

([2]) أبن فارس،مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج٦، ص١٠٩.

([3]) الخطابي،شأن الدعاء، مصدر سابق، ص٧٢.

([4]) البيهقي، الأسماء و الصفات، مصدر سابق، ص١١٤.

ويقول الغزالي : "مشتق من السعة والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم وكيف ما قدر وعلى أي شيء نزل فالواسع المطلق هو الله سبحانه وتعالى لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته، بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف والذي لا ينتهي إلى طرف فهو أحق باسم السعة وهو الله سبحانه وتعالى."[١]

من خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي يظهر أنّ المعنى يدل على السعة والكثرة والإحاطة ، فنقول واسع العلم وكثير العلم ومحيط بجميع العلوم، فهو الذي وسع جميع الصفات، فلا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنا على نفسه.

المطلب الثاني

اقتران اسم الله الحكيم مع اسم الله الواسع والسياق الذي ورد فيه

ورد هذا الاقتران أيضاً في كتاب الله تعالى في موضع واحد، وفي سورة النساء بالتحديد، وهي سورة مدنية في جميع آياتها، جاءت بنظام عام وشامل للحياة الأسرية، وكيفية العلاقة متبادلة ضمن الأسرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ (النساء: ١٣٠)

أوضحت الآيات القرآنية السابقة من سورة النساء شيئاً من أحكام النكاح وما يكون من نشوز أو إعراض بين الزوجين، أنّ الرجل لا يستطيع العدل بين النساء في ميل القلب والمحبة، ولو

([1]) الغزالي، المقصد الأسنى، مصدر سابق، ص١١٩.

حرص كل الحرص على ذلك، ثم بينت الآية الكريمة أن العلاقة الزوجية يجب أن تُبنى على المحبة والمودة المتبادلة بين الطرفين، وأنّ الفراق والنشوز أمراً عارضاً، وإذا ما حصل ذلك ووقع الفراق فإنّ الله واسعا حكيما.

يقول الطبري : فإن يتفرقا بطلاق الزوج إياها يغن الله الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله. أما هذه، فبزوج أصلح لها من المطلق الأول ، أو برزق أوسع وعصمة. وأما الزوج ، فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة ، وكان الله واسعا لهما، في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه ، حكيما ، فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق، وفي تدبيره وقضاياه في خلقه.[١]

وقد يظن الزوج أو الزوجة أنّ بطلاقهما نهاية المطاف، ووقوف عجلة الزمان، فجاءت الطمأنة من الله تعالى أنه واسعاً حكيما، ليُعلم أن هذا الشرع جاء من سعة لا من ضيق، فجاء باسمه الواسع غير مضاف " لأنه تعالى واسع الرزق، واسع الفضل، واسع الرحمة، واسع القدرة، واسع العلم، ولما ذكر الواسع ولم يضفه إلى شيء معين دل على أنه واسع في جميع الكمالات.[٢]

ويقول صاحب المنار : " وكان الله واسعا حكيما ، أي كان ولا يزال واسع الفضل والرحمة يوفق بين أقدار، ويؤلف بين المسببات والأسباب، حكيما فيما شرعه من الأحكام، جاعلا لها على وفق مصالح الناس." [٣]

بعد أن بيّن الحق سبحانه أنّ الأصل في العلاقة الزوجية أن تكون مبنية على المحبة والمودة والتسامح، لبناء مجتمع متحاب متماسك، تسوده الألفة والأخوة والمحبة، ولكن إذا شاب هذه العلاقة النبيلة شائبة، فحصل نشوز أو إعراض، أو أصبح في الحياة الزوجية شقاقاً ونزاعاً، وصار من الصعب أن تستمر هذه الرابطة النبيلة، وأن تؤدي دورها النبيل ، فعند ذلك لا بد من نهاية هذه

([1]) انظر: الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،ج٩، ص٢٩٤.

([2]) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج١١، ص٢٣٨.

([3]) محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٣٦٧.

الرابطة؛ للحفاظ على تماسك المجتمع وهيبته، ولحفظه من الانحراف والضيق، فلأجل ذلك شرع سبحانه الطلاق والفراق .

فجاءت صيغة الاقتران لتبين كمال سعته تعالى في العطاء والرحمة والعلم، وهي أيضاً منضبطة بضابط الحكمة، فعطاؤه عن حكمة ومنعه كذلك، لا كعطاء البشر، الذي يعطي ويمنع بناءً على الهوى والميل دون ضابط له او رابط ، وهو واسع العلم فيعلم من يصلح من الزوجين للأخر ومن لا يصلح، وواسع الرزق فيرزقها خيراً منه ويرزقه خيراً منها، فجاء باسمه تعالى الواسع ، حكيما، في شرعه فلم يشرع لهم إلاّ ما يصلح دينهم ودنياهم وآخرتهم، خلاف الديانات الأخرى التي ترفض الطلاق والفراق – مثل النصارى –، فيعلم من يصلح منهما للأخر فيوفقه للصلح ومن لا يصلح فيفرق بينهما بحكمته تعالى.

وأمّا أثر الاقتران، فقد بيّن سبحانه سعة فضله تعالى ورحمته، وأنّ الحياة الزوجية مبنية على المحبة والمودة والاحترام، وأنّ النشوز والإعراض خلاف الأصل من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه العلاقة إذا انتهت بين شخصين فليست نهاية المطاف، بل قد يكون فيها خير كثير لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، فتكون صيغة الاقتران تحمل طمأنة للأسرة –الزوج والزوجة على سواء – أن الخير كل الخير في هذا الشرع، وفي الأحكام التي جاء بها، وأنه جاء لسعادة المؤمن في الدنيا والآخرة.

الخاتمة

بعد الوقوف على اقتران اسم الله الحكيم بالأسماء الأخرى، ومعرفة تلك الدلالات التي اتضحت من اقتران هذه الأسماء معاً، مما يعطي لهذه الأسماء والصفات كمالاً فوق الكمال، وجمالاً فوق الجمال .

ورأت الدراسة أنّ التأمل والتدبر في كتاب الله لبقية الأسماء التي وردت منفردة أو مقترنة لمعرفة تلك المعاني الجليلة، والدلالات الكبيرة، التي حوتها هذه الأسماء وتلك الصفات ، فإن هذا من شأنه أن يزيد الإنسان معرفة بربه سبحانه وتعالى ، ومن زادت معرفته بالله سبحانه زادت خشيته، ومن ثمّ تزداد طاعته ومحبته، ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة كذلك:

١- كثرة المعاني لهذا الاسم –الحكيم –دليل على شموليته وعظمته وغزارة معانيه.

٢- إنّ اسم الله الحكيم لم يرد في كتاب الله تعالى مفرداً من غير اقتران، بل جاء في جميع الآيات مقترناً بأسماءٍ أخرى.

٣- إنّ اسم الله الحكيم جاء مقترناً اقتراناً ثنائياً في إحدى وتسعين موضعاً ، وجاء اقتراناً رباعياً في موضعٍ واحدٍ مع (الملك القدوس العزيز الحكيم)

٤- إنّ الدلالات التي تناولتها الاقترانات المختلفة، جاءت مكملة بعضها بعضا كالنسيج المتكامل، رغم تنوع صيغ الاقترانات، واختلاف السورة القرآنية، وتباعد فترة النزول .

٥- ذكرت بعض الدلالات موضوع الألوهية فتناولت الدلالات توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات كما بيّنت هذه الدلالة كمال قدرة الله تعالى.

٦- تحدثت الدلالات عن بعض أعمال الملائكة من تبليغ الرسل والأنبياء، وتثبيت المؤمنين ونصرهم ، والدعاء للمؤمنين ومن صلح من آبائهم.

٧- تناولت بعض دلالات الاقتران القرآن الكريم فبينت مصدره، ومكانته، وإحكامه من التحريف والتبديل.

٨- تناولت آيات الاقتران موضوع النبوات، فبيّنت صور الوحي، واللغة التي يخاطب الأنبياء بها أقوامهم، وحفظ الله تعالى لهذه الرسالة من همز الشياطين ولمزهم ، والغاية من إرسال الرسل ، وأنّ هذه الرسالة جاءت للناس جميعا.

٩- ذكر الاقتران في كثير من دلالاته اليوم الآخر فبيّن أنّ الله هو الذي يحشرهم ، ودلل على كمال قدرته بأنّ من أوجد أول مرة فهو على إعادة الخلق أقدر، وأن الحشر يعم جميع الخلق ،ثمّ بين حال المؤمن والكفر في ذلك اليوم إمّا إلى جنّة أو إلى نار كلاً حسب عمله .

١٠- ذكرت بعض الدلالات القدر وأنّ فعل العبد يقع بكسبه ، وأنّ مشيئة الله نافذة في خلقه، فغطت هذه الدلالات أركان العقيدة الخمس كاملة.

١١- بينت الآيات الاقتران التوبة وحثت عليها، وذكرت شروطها، وأنّ أمر العبد إلى الله تعالى إن شاء عذب وإن شاء غفر ليكون العبد بين الخوف والرجاء ، وجاءت الآية الأخيرة فبينت كمال فضل الله تعالى على عباده بأن شرع لهم هذه التوبة.

١٢- ذكرت الآيات القرآنية قصة إبراهيم وترقيه في درجات اليقين بين علم اليقين في محاجّته لقومه، وعين اليقين بأن طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى، وحق اليقين حين رزق الولد ، وعن دعائه وهجرته.

١٣- أوضحت الآيات القرآنية كرامة الله تعالى لأنبيائه وأوليائه فذكرت قصة يوسف وما حل به من المحن ومن ثمّ الاجتباء والملك والنبوة ،وكرامته على عيسى عليه السلام، وتكليمه موسى عليه السلام ، وكرامته على رسوله –صلى الله عليه وسلم- بالنصر والتمكين ، وإنزال السكينة عليه، والفتح القريب.

١٤- ذكر المؤمنين وأوصافهم وأجورهم، وكشف المنافقين، وبيان درجات النفاق، وأعمالهم الظاهرة وباطنة، وأقوالهم في السر والعلانية ، وحذر نبيه –عليه الصلاة والسلام – منهم.

١٥- كثرة الأحكام والأوامر الربّانية في هذا الاقتران، فذكرت الدلالات بعض الأحكام التربوية والأحكام التوجيهية، والأحكام الشرعية.

التوصيات

بعد الوقوف على آيات هذا الاقتران ودلالاته يرى الناظر الدقة والموضوعية والترابط في آيات هذا الكتاب العظيم، ويدرك للوهلة الأولى ما امتاز به هذا الكتاب الخالد عن غيره من الكتب السماوية، الذي أعطى لهذه الأمة شرفاً فوق شرفها، ورفعةً فوق رفعتها، فكانت بحق كما أخبر الحق سبحانه، خير أمة أخرجت للناس، فهي خير أمة بكتابها، وخير أمة بنبيها –صلى الله عليه وسلم – ، وخير أمة بدعوتها .

أوصي بدراسة أسماء الله تعالى المقترنة والمفردة على سواء، التي وردت في كتاب الله تعالى والتأمل فيها وفي أسرارها، وتدبرها وتدبر معانيها، وضرورة الكتابة فيها.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يرزقنا علماً نافعا، وقلباً خاشعا، ولساناً ذاكراً، وأن يمن علينا بخشيته وتقواه، إنه على كل شيء قدير.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

وهي مرتبة حسب الحروف الأبجدية

١- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ،ت محمد زهير بن ناصر الناصر ،الأولى، دار طوق النجاة ،د.م،١٤٢٢هـ

٢- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الأسماء والصفات للبيهقي ، ت عبد الله بن محمد الحاشدي ، الأولى ، مكتبة السوادي، جدة ،المملكة العربية السعودية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م ،

٣- التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (المتوفى: ٢٨٣هـ) ، تفسير التستري ،جمعه :أبو بكر محمد البلدي ،ت محمد باسل عيون السود، الأولى، دارالكتب العلمية ،بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٤-ابن تيمية، محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،السعودية ،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير،ت عبد الرزاق المهدي، الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٢٢ هـ.

٦- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، البحر المحيط ، ت صدقي محمد جميل ،د.ط ،دار الفكر ، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، شأن الدعاء، ت أحمد يوسف الدّقاق ،الأولى،دار الثقافة العربية،١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م،

٨- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، الطبعة: الثالثة،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩- الراغب الأصفهانى ،الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية ،دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٠- الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ) ، تفسير أسماء الله الحسنى ، أحمد يوسف الدقاق ،د.ط، دار الثقافة العربية د.م، د.ت.

١١- الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله(المتوفى-٧٩٤) ، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم،الأولى،: دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ١٣٩١هـ.

١٢- الزمخشري ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الثالثة، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ،١٤٠٧هـ.

١٣- سراج الدين الدمشقي ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، اللباب في علوم الكتاب، ت عادل عبد الموجود و علي معوض ، الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان:، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

١٤- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الأولى، مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م

١٥- السعدي، عبد الرحمن السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى ،ت عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،السعودية ، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ -١٤٢١هـ،

١٦- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، د.ط ، دار القلم، دمشق.

١٧- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،الأولى ، دار الفكر للطباعة و النشر ،بيروت ، لبنان ،١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ .

١٨- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن ،ت أحمد محمد شاكر، الأولى، مؤسسة الرسالة ، د.م، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٩-الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ،التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٠- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، د.ط ، الدار التونسية للنشر تونس ، ١٩٨٤ هـ.

٢١- ابن العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الأولى،: دار الوطن للنشر، الرياض،١٤٢٦ هـ،

٢٢- ابن العثيمين ،محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ،الثالثة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،السعودية،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢٣-ابن العطار، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ، د.ط ، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

٢٤-ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،عبد السلام عبد الشافي محمد،الأولى،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٢٥- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى،ت بسام عبد الوهاب الجابي، الأولى، الجفان والجابي ، قبرص، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٢٦- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، قواعد العقائد، ت موسى محمد علي ، الثانية، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان،١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٧- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، ت أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٨- ابن فارس ،أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٩- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة لابن فارس ،ت زهير عبد المحسن سلطان، الثانية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٣٠- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ت مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، الثامنة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣١- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،ت محمد علي النجار،الأولى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،مصر،١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٣٢- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ،ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الثانية ، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م،

٣٣- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات ، ت إبراهيم البسيوني، الثالثة،: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر،د.ت.

٣٤- القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى:١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م،

٣٥- القِنَّوجي ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، ت عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ،د.ط ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا ، بَيروت،١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣٦- القيعي، محمد عبد المنعم القيعي، الأصلان في علوم القرآن، الرابعة ،د.د، د. المدينه ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٣٧- ابن قيم الجوزية ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٨- ابن قيم الجوزية ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، التبيان في أقسام القرآن ،ت محمد حامد الفقي ، د.ط ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٩- قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، الأولى، دار المعرفة – المغرب، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤٠- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، هشام ت عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي، الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦.

٤١- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) طريق الهجرتين وباب السعادتين، الثانية،: دار السلفية، القاهرة، مصر،١٣٩٤هـ.

٤٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، الرسالة التبوكية، محمد جميل غازي،د.ط، مكتبة المدني ، جدة، السعودية، د.ت.

٤٣- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،الأولى ، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، د.ت.

٤٤- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ،ت محمد عبد السلام إبراهيم ، الأولى،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،١٤١١هـ- ١٩٩١م،

٤٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة ، يوسف بن أحمد البكري ، الأولى، رمادي للنشر – الدمام، ١٤١٨- ١٩٩٧م.

٤٦- ابن قيم الجوزية ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان.

٤٧- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، تفسير المراغي، الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

٤٨- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري٢٦١ هـ ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، د.ط، دار الجيل- بيروت، ١٣٣٤ هـ.

٤٩- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، الثالثة، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٥٠- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الطبعة: الثالثة،دار صادر، بيروت، لسان العرب،١٤١٤هـ.

٥١- ابن النجار الحنبلي ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي (المتوفى: ٩٧٢هـ) ،شرح الكوكب المنير، ت. محمد الزحيلي ونزيه حماد،الطبعة الثانية ،مكتبة العبيكان، د.م، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧مـ.

٥٢-النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ت يوسف علي بديوي ،الطبعة: الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٣- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ت محمد عوض مرعب، الأولى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠١م .

Abstract

Below research had the title of (binary association between the name of ALLAH, the wise and the other names of ALLAH in the holy QURAN) and this research include introduction, prepration and four chapters.

The name of ALLAH, the wise has been coupled with the other name of ALLAH in ninety one verses in the holy QURAN, eighty five verses MAKYAH and thirty three verses MADANYAH.

In relation to the other names that had been coupled with the name of ALLAH, the wise, there is ALAZEEZ (the beloved) that has been companied in forty seen verses, ALALEEM (the omniscient) in thirty six verses, and ALKHABEER (the expert) in four verses, at the time, the name of ALLAH , the wise , has been coupled with other four names in different four positions ,in each one , it was couples with ALTWAB , ALHAMEED , ALWASE" and ALA"LY .

Taking into consideration that each name has full chapter, except the last four names where hold in one chapter.

All above companied names, hold a lot of indications , bringing all these indications together , we find out that , they do cover a whole group of origins and branches , as all of them show very clear the pillars of faith in all its aspects , divinity , goodness, names, adjectives and prophecies , so it shows the deeds and duties of angels , prophets and their miracles , the shape of the judgment day , and destiny .and it also describe the legislative side , so a lot of SHARIA provisions had been mentioned, including the attributes and deeds of the hypocrites and warnings from them, then it shows the attributes of believers including within it the conditions to repent and urgings to do it . This binary association spoke about the holy QURAN

showings its source; position and being protective form inclines and modification, as well as the privilege of private prayer and the perfection of ALLAH capability, showing his nobility for his prophets and heirs.

At the very end of this research, I have mentioned clarifications of theses binary associations coming up with the following results:

- The verities of the name of ALLAH, the wise, is great evidence of its totalitarianism, holiness and its rich meaning
- This name was never mentioned separately in the holy Quran, as it was always companied with other names
- The name of ALLAH, the wise, has been advanced in twelve positions, seven of them were companied with the name of ALLAH ALALEEM (the omniscient) , also four positions with the name of ALLAH ALKHABEER (the expert) which was never prior for his name ALHAKEEM (the wise) never ,and one time with the name of ALLAH ALHAMEED (the benign) .mentioning that all the rest of the results are mentioned at the end of this research.